الإمامُ المُجدد

الفقيه والمُحدِّث والإنسان

اســـم الكتـــاب: الإمـام المجـدد الليـث بـن سـعد الفقيـه والمحـدِّث والإنسـان
التـأليـــف: د. أحمـــد علـــي سليمـــان
رقـم الإيـداع: 2023/ 2399
التـرقيم الـدولي: 978-977-835-345-7
إخـراج فـني: سـالم عبـدالمعز سـوّاح
تصـميم الغـلاف: فريـد محمـد محسـن
تـدقيق لغـوي: محمـد القرشـي
الناشـر: دار زحمـة كُتَّـاب للنشـر والتوزيـع
٤ ش بديع خيري متفرع من ش عبد الحميد بدوي خلف كنتاكي نادي الشمس مصر الجديدة – مصر.

دار زحمة كتاب للنشر Facebook
za7ma.kotab@gmail.com Email
002 01205100596
002 01100662595 Tel

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار زحمة كُتَّاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

الإمام المجدد

الليث بن سعد

الفقيه والمحدِّث والإنسان

تأليف

الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية

الحاصل على المركز الأول على مستوى جمهورية مصر العربية

في جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي (وقف الفنجري ٢٠٢٢)

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من برع في جبر الخواطر ومحبة الناس

إلى من بذر حبهم الله الخير في قلوب المحيطين به

الوالدي (رحمه الله)

أهدي هذا الكتاب ...

داعيا الله تعالى أن يجبر خاطره في قبره ويوم الحساب

اللهم أسكنه فرادیس الجنان بجوار سيدنا رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم)

أحمد علي سليمان

المحتويات

الإهداء ٥

تصدير بقلم الكاتب الكبير الأستاذ/ أحمد المسلماني رئيس مركز القاهرة للدراسات الاستراتيجية- المستشار السابق للرئيس المصري ١١

تقديم بقلم المفكر الإسلامي أ.د/ محمد كمال إمام أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بجامعة الإسكندرية ١٧

مقدمة المؤلف ٢١

الفصل الأول: عصر الإمام الليث بن سعد ٢٩

المبحث الأول: الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في عصر الليث ٣١

تمهيد: ٣١

الحياة السياسية: ٣١

الحياة الاجتماعية والاقتصادية: ٥٧

المبحث الثاني: الحياة العلمية في عصر الليث ٦١

المطلب الأول: الحياة العلمية في المجتمع الإسلامي في عصر الليث ٦٢

المطلب الثاني: الحياة العلمية في مصر وأثرها في منهج الليث ٦٩

المطلب الثالث: مناهج البحث العلمي في هذا العصر ٧٩

المطلب الرابع: تدوين الحديث في عصر الليث بن سعد.....٨١

الفصل الثاني: معالم شخصية الإمام المجدد الليث بن سعد.....٨٧

المبحث الأول: نسبه.. ومولده.....٨٩

نسبه:.....٨٩

مولده: ٩٢

المبحث الثاني: نشأته وحياته العلمية ٩٤

محنة الليث: ٩٨

المبحث الثالث: رحلاته وشيوخه وأثرهم فيه..... ١٠٠

المطلب الأول: رحلات الليث في طلب العلم ١٠٠

رحلته إلى الحجاز:.....١

رحلته إلى العراق:.....١٠٣

المطلب الثاني: شيوخه وأثرهم فيه ١٠٥

المبحث الرابع: صفات الليث الخُلُقية والخَلْقِيَّة..... ١١٢

ورعه: ١١٣

فضله: ١١٤

صدقه: ١١٥
ولاؤه وارتباطه بمسقط رأسه وحبه لها: ١١٦
دفاعه عن الصحابة الأخيار: ١١٦
تأدبه: ١١٧
الليث بن سعد تجديده في أساليب العطاء ١١٧
جوده وبذله وكرمه: ١١٧
ثراؤه الواسع وما وجبت عليه زكاة!! ١١٧
من جميل عطائه: ١١٨
تقويمه المعوجّ بالصدقة: ١١٨
جوده للغرباء: ١١٩
جوده على المترددين عليه: ١٢
إنفاقه على رجال الحديث: ١٢
صلته للإمام مالك: ١٢
جوده في الشتاء.. وجوده في الصيف: ١٢١
جوده في النوائب: ١٢١
المبحث الخامس: منزلته في الرواية ومكانته العلمية..... ١٢٣
المطلب الأول: منزلته في الرواية جرحًا وتعديلا ١٢٣
المطلب الثاني: مكانته العلمية..... ١٣٢
المطلب الثالث: مناقب الإمام المجدد الليث بن سعد ١٣٦

المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه ١٣٩

المبحث السادس: تلاميذه وأثره فيهم..... ١٤٣

المبحث السابع: وفاة الإمام المجدد الليث بن سعد (رضي الله عنه)..... ١٤٨

الفصل الثالث: مصنفات الإمام المجدد الليث بن سعد ومختارات من آثاره في الفقه والحديث..... ١٥٣

أولاً: مختارات من آثار الإمام الليث بن سعد الفقهية ١٥٩

ثانيًا: مختارات من مرويات الإمام الليث بن سعد في الحديث النبوي الشريف ١٧٢

منهج الإمام الليث بن سعد في رواية الحديث ٢١٥

الخاتمة والتوصيات..... ٢١٩

المصادر والمراجع..... ٢٢٧

الكاتب في سطور..... ٢٣٧

تصدير بقلم

الكاتب الكبير الأستاذ/ أحمد المسلماني

رئيس مركز القاهرة للدراسات الاستراتيجية

المستشار السابق للرئيس المصري

شيخ الإسلام الليث بن سعد.. قصة حضارتين

أضاعتْ مصر الإمام الأعظم الليث بن سعد.. ثلاثة عشر قرنًا، خبَا خلالها اسم الإمام، وبدلًا من أنْ يتصدّر الأئمة الخمسة، سطعَ الأئمة الأربعة، وغاب الليث وتراثُه.. كأنْ لم يكن.

الإمام الليث بن سعد هو مفتي الديار المصرية. يرى كثيرون أنه كان أفقه من الأئمة الأربعة، ويقول الإمام الشافعي: "الليث أفقه من مالك إلّا أنّ أصحابه لم يقوموا به". كما يقول الشافعي الذي لم يُدرك الليث في حياته: "ما فاتني أحد فأسِفتُ عليه كالليث بن سعد". ويقول الإمام أحمد بن حنبل والنسائي: "الليث ثِقة".

كان الليث "ملياردير‌ًا" بالمقاييس المالية المعاصرة، فقد كان يمتلك أراضي شاسعة، في القليوبية والجيزة وبور سعيد ورشيد. وكان "الإمام الملياردير" كريمًا على نحوٍ مثير، حتى إن عددًا من المؤرخين يؤكدون أنّه لم تجب عليه زكاة قطّ.. ذلك أنه كان يتصدّق بكل ما يربح حتى لا يصل أبدًا إلى مرحلة بلوغ النِّصَاب الذي يمر عليه العام، الذي يُوجِب الزكاة.

* * *

الليث بن سعد هو ابن حضارتين: الحضارة المصرية والحضارة الإسلامية. لقد درس الليث في جامعتيْن: جامعة دينية وجامعة مدنيّة. كان "جامع عمرو ابن العاص" هو الجامعة الدينية، حيث درس فيها اللغة العربية والقرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الفقه. وكانت "جامعة الفسطاط" هي الجامعة المدنيّة حيث درس فيها الحضارة الفرعونية، كما درس الحضارات والثقافات العالمية. ولقد كان الليث متحدثًا بارعًا باللغات المصرية واليونانية واللاتينية إلى جانب اللغة العربية.

كانت الجامعتان المصريتان "جامع عمرو" و"الفسطاط" عظيمتيْن، كان يُدَرِّس في "جامعة الفسطاط" كبار الفلاسفة والمفكرين وعلماء اللغة وأساتذة التاريخ والحضارة. وكان يُدَرِّس في الجامعة الإسلامية "جامع عمرو" منذ نشأتها أجيال متعاقبة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين. ويذكر الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي في كتابه "أئمة الفقه التسعة" أنه كان من بين الأساتذة الكبار في جامع عمرو: أبو ذر الغفاري، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ونخبة من الصحابة الذين جاءوا إلى مصر. كان جامع عمرو هو أول مسجد جامع في قارة أفريقيا، وهو الجامعة الإسلامية المصرية التي سبقتْ الجامع الأزهر الشريف.

وهكذا تشكلت ظاهرة استثنائية أنتجتْ شيخ الإسلام. فلقد نشأ "الإمام المليارديرِ" في قرية قلقشندة مركز طوخ محافظة القليوبية، في بيئة جماليّة لا مثيل لها، وحسب وصف المؤرخين فإنها تفوق ريف ميونخ أو الريف السويسري المعاصر. ثم إنَّهُ وقد نشأ وسط هذا الجمال الأسطوري، قد جمعَ بين أكبر حضارتيْن، ودَرَسَ في أكبر جامعتيْن.

* * *

كان شيخ الإسلام الليث بن سعد مصريًّا وعالميًّا في آن. يعيش في القاهرة وتمتد ممتلكاته في أكثر من منطقة، كما أنه يحجّ إلى بيت الله الحرام باستمرار، وكان يلتقي الإمام مالك في المدينة.

ولقد زار الإمام الليث العراق.. وناقش في بغداد مدرسة أهل الرأي، كما ناقش في المدينة مدرسة الأثر. وكان في كل مناقشاته ومناظراته حضاريًّا كبلادِه.. كان يقدِّم الأخلاق على المعرفة، وكان يقول: "تعلّموا الحِلم قبل العلم".

ارتبط شيخ الإسلام بصلاتٍ طيبة بالخلفاء، ولم يكن يخشى من مزايدات المزايدين، استثمر الإمام صِلاته الطيبة بالسُّلطة في تحسين حياة الناس وصوْن حقوقهم. ولقد كان الليث الذي رفض منصب "والي مصر" عالمًا بوطنه، ولديه رؤية بشأن تنميته وتقدمه. وحين سألَّ هارون الرشيد: يا ليث.. ما صلاح بلدكم؟

قال الليث: "صلاح مصر في جريان النيل، وإصلاح أميرها. فمن رأس العين يأتي الكدَر.. فإنْ صفَا رأسُ العين.. صَفَتْ السّواقي". وهكذا صاغ الليث رؤيته الاستراتيجية في كلمتين "النيل" و"الأمير".

للأسف.. فإن شيخ الإسلام الليث بن سعد لم يدوّن معظم علمه، ولقد أخطأ تلاميذُه بحقّه، وأضاعوه. ولقد استطاع بعض المؤرخين أن يجدوا أحاديث رواها، وفتاوى قال بها.. ضمن كتب متعددة تحدثت عنه، أو أشارت إليه. كما حفظ التاريخ رسالتيْن في الجدل الفقهي بينه وبين الإمام مالك. ولقد اختلف الليث ومالك في كثير من الأمور.. حسبما يرصد عبد الرحمن الشرقاوي في "أئمة الفقه التسعة".

* * *

أجاز مالك ضرب المتهم بالسرقة حتى يعترف، ورفضَ الليث. ولقد اختلف الإمامان أيضًا في قضايا الزواج والولادة. كان مالك يعتدّ بالنسب، فلا يصح زواج القرشي بغير القرشية، أو العربي بغير العربية. وقد رفض الليث رأى مالك، استنادًا إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. كما أفتى مالك بأن الجنين يمكن أن يستقر في بطن أمّه ثلاث سنوات، ورفض الليث، ورأى أن ذلك خطأ علمي وشرعي، ويفتح الباب للفساد الأخلاقي. ولقد وافق مالك الليث وعاد عن فتواه.

ولقد اختلف الليث مع أبي حنيفة في مسألة الأوقاف. كان أبو حنيفة لا يجيز الوقف لأنّه في حبس المال قيدًا وضررًا. وقد أجاز الليث الوقف. وحين قام أحد الولاة بهدم الكنائس، اعتبر الليث أن هدم الكنائس في مصر بدعة تخالف دين الإسلام. وقد استجاب الخليفة لطلبه بإعادة بناء الكنائس وإضافة كنائس جديدة.

* * *

لقد أبدع الفنان أشرف عبد الغفور في المسلسل المصري الرائع "الليث بن سعد".. كما أبدع كبار نجوم العمل ولا سيما الفنان كمال أبو رية الذي قام بدور شعيب "الإمام بن الإمام". إن هذا المسلسل يستحق إعادة العرض، ويستحق كاتبه ومخرجه وأبطاله التكريم الرفيع.

ولقد قام مركز القاهرة للدراسات الاستراتيجية الذي تشرفت برئاسته، بتكريم أبطال هذا العمل الفني الرفيع، ولكن المزيد من التكريم يعني المزيد من التذكير، والمزيد من الإضاءة والإحياء.

يجب العمل على نشر مشروع فكري متكامل عن ذلك الإمام الجليل. هناك كتاب "الرحمة الغيثيّة في الترجمة الليثية" لابن حجر العسقلاني، وهناك كتاب

نشره الدكتور السيد أحمد خليل عام ١٩٦٩م بعنوان "الليث بن سعد: فقيه مصر".. وهناك إلى جوار ذلك رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر للباحث محمد حسن عبد الغفار بعنوان "الليث بن سعد وأثره في الفقه الإسلامي". وهناك رسالة دكتوراه في جامعة عين شمس للباحث محمد أحمد أبو الشيخ بعنوان "الإمام الليث، علمه، حياته، طلبه للعلم، فقهه ومروياته".

واليوم.. تضيف المكتبة العربية عملاً جديدًا عن الإمام الليث، من خلال صفحات هذا الكتاب الرصين. إن جمْع هذه الأعمال كلها في مشروع فكري واحد بعنوان "شيخ الإسلام الليث بن سعد" يمكنه أن يعيد الإمام إلى مكانته، ويدفع المدرسة الوسطية المصرية قُدمًا إلى الأمام. لقد أخطأنا أكثر من ألف عام.. ويمكن إنجاز هذا العمل في أقل من ألف ساعة.

في عام ٢٠٢٠م تشرفنا في مركز القاهرة للدراسات الاستراتيجية بمنح فضيلة الدكتور/ أسامة الأزهري جائزة "الإمام الليث بن سعد العالمية" في دورتها الأولى، وذلك حيث أصدَر موسوعته الشهيرة «جمهرة أعلام الأزهر الشريف» والتي تقع في ١٠ مجلدات، واستغرق العمل فيها ١٦ عامًا، وقد تضمنت طبقات العلماء لأكثر من قرنين من تاريخ الأزهر الشريف العامر.

واليوم.. يطيب لي أن أتشرف مجددًا بالعودة إلى الإمام، وذلك عبْر هذا الكتاب المتميز "الإمام المجدد الليث بن سعد.. الفقيه والمحدث والإنسان" لمؤلفه فضيلة الدكتور أحمد علي سليمان عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والمدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية.

* * *

إن كتاب الدكتور أحمد علي سليمان هو كتاب جادّ، جاء نتيجة بحث طويل ومعمّق، وقراءة متفحصّة لحياة الإمام الليث وفكره وعصره، وهو -بلا شك- إضافة كبرى للمكتبة العربية الإسلامية، وإنجاز جديد وثمين في محاولاتنا الدؤوبة لاستعادة الشيخ واستعادة تراثه وتاريخه.

سوف يسعد القارئ وهو يتجول بين صفحات كتاب "الإمام المجدد الليث ابن سعد" للدكتور أحمد علي سليمان. ومن المؤكد أنه سيحوز الكثير من المعرفة حين تصل به رحلة القراءة إلى الغلاف الأخير.

تحية لهذا العمل الرائع وصاحبه، وتحية للقارئ العزيز، والآن.. حان وقت القراءة.

أحمد المسلماني

رئيس مركز القاهرة للدراسات الاستراتيجية

المستشار السابق للرئيس المصري

*****

تقديم بقلم

المفكر الإسلامي أ.د/ محمد كمال إمام

أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بجامعة الإسكندرية

الكتابة عن الأعلام في مجالات الفكر الإسلامي فنٌّ صعب ومهمة شاقة؛ لأنها تستدعى من الباحث صبرًا في التعامل مع المصادر التي قد تكون غائبة، أو مجهولة، أو متحركة على كل موسوعات الإسلام، وتستدعي حذرًا في تركيب الصورة؛ لأن قراءة العصور -فكرًا وثقافَة وأحداثًا- ليست بالأمر الهين اليسير؛ بل ربما كانت استعادة الماضي هي أصعب ما يواجه الباحث في التاريخ العقلي للإنسان.

والكبار من أبناء الأمة قدامى ومعاصرون أحسوا بثقل هذه المهمة، وخطورة التبعة التي تُلقى على عاتق الباحث في تقويم الرجال؛ لأنها لا تتعرض لِعَلَمٍ فحسب، أو لأحداث مجردة؛ بل تتناول نفوسًا بشرية كانت تتحرك في عصر لم نعايشه، وعلينا أن نعرف تفاصيله ورُؤاه، والعلماء جميعًا في ذلك سواء، سواء أكانوا من رجال العسكرية، أم من المفكرين، أم من الفلاسفة، أم من الفقهاء.

ويأتي الإمام المجدد الليث بن سعد (رضي الله عنه)، الفقيه والمحدث المصري، بل رأس المدرسة المصرية في الفقه والحديث، في مقدمة هؤلاء الأعلام الذين يصعب كتابة تاريخهم، والترجمة لعصرهم، وجمع شتات

مؤلفاتهم وآرائهم الفقهية؛ فقد كان -كما قيل- أفقه من مالك، ولكن أصحابه لم يقوموا به، أي: لم يحملوا تراثه نشرًا وتدوينًا، ولم يحملوا مذهبه إلى سُدَّة الحكم والقضاء؛ مما جعل جمع آرائه من موسوعات الحديث والفقه أمرًا محفوفًا بالمخاطر، ولولا أمانة علمائنا الموسوعيين واهتمامهم بعرض الرأي ودليله، لكان الوصول إلى فقه الليث بن سعد أمرًا يستحيل إدراكه.

وقد آثر الباحث الدكتور/ أحمد على سليمان أن يخوض هذه البحار العلمية الصعبة؛ ذلك لأن في المغامرة الفكرية متعة تستحق الإقدام عليها، وفي اكتشاف عقل الفقيه ما يساعد على تكوين علمي للباحث، يدفعه إلى الأمام.

ولعل الباحث الجاد أراد -باعتباره مصريًّا- أن يدخل إلى عالِم فقيه مصري يحتل مرتبة صاحب المذهب في خريطة المذاهب الفقهية الإسلامية.

وقد وُفِّق الدكتور/ أحمد سليمان للتعريف بالليث بن سعد، والوصول إلى أهم آرائه ومواقفه، وتحليلها واستخلاص العبر والدروس منها، ولو قُدر له أن يدرس الليث في إطار بيئته الجغرافية، ومن خلال الجهود العقلية في زمانه ومكانه لكان لديه آلية لتحليل منهج «الليث محدثًا وفقيهًا» بأكثر مما فعل؛ لأن الصحابة والتابعين في مصر لم يكونوا مجرد حملة لحديث رسول الله (ﷺ)، بل كانوا رجال حديث، وأعلام فقه، وقادة فكر وقلم.

ويبقى للباحث الغيور على شريعته ووطنه دوره المتميز في الكتابة عن شخصية بلغت شأو المعالي في الإنسانية، ومحدث وفقيه مصري له أهمية خاصة في تاريخ الإسلام العقلي.

وليست هذه هي الدراسة الأولى عن الليث بن سعد (رضي الله عنه)، وليست أيضا هي الأخيرة، فسوف يظل هذا العَلَم الشامخ دومًا محلاً للدراسات، ولكن دراسة د/ أحمد علي سليمان تتميز بأنها عمل رائد ومتكامل وأمين، في دراسة «الليث بن سعد المحدث والفقيه» يفتح آفاقًا جديدة لفهم المدرسة المصرية في الفقه والحديث على سواء.

وبالله تعالى التوفيق

*****

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أقام من كل موجود دليلاً على عزته، ونَصَبَ عَلَمَ الهدى على باب حجته، الأكوان كلها تنطق بالدليل على وحدانيته، وكل موافق ومخالف في الخلق يمشي تحت إرادته ومشيئته... إن رفعت بصرَ الفكر ترى الفلكَ في قبضته، وتُبْصرُ شمسَ النهارِ، وبدرَ الدجى يجريان في بحر قدرته...

وأشهد أن لا إله إلا الله، ولي الصالحين، وقيوم السموات والأراضين.. وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، إمام المرسلين، وقائد الغر المحجلين..

اللهم صل وسلم وبارك على مبعوث العناية الإلهية، وشمس الهداية الربانية، خير الخلق عندك، وأكرمهم لديك، وأحبهم إليك، سيدنا محمد (ﷺ) الذي اصطفيته للرسالة، وأيدته بالمعجزة، وآتيته من جوامع الكلم ما طوى به غزير المعاني في اليسير من الألفاظ، فكانت سنته أبلغ بيان عرفته العربية بعد كتاب الله -ﷻ- وبهما هدى اللهُ -ﷻ- الضَّالَّ، وعلَّم الجاهل، وأرشدَ الحائر.

أما بعد...

فما أحوج الأمة إلى استلهام القيم التربوية والحضارية والتجديدية التي أرساها العلماء الكبار من مجددي الأمة، والتي أسهمت في ثراء

الفكر الديني، وتجديد خطابه عبر عصور الإسلام المختلفة؛ لتستوعب متغيرات الحياة المتطورة، وتُسهم في توظيف القيم الدافعة للتقدم في الفكر الإسلامي، واستثمارها لتحقيق رفاهية الإنسان، وتَقدم الأوطان!.

وهذا الكتاب يمثل سياحةً تاريخيةً وحضاريةً في حقبة مهمة، كانت وستظل المرتكز والقاعدة الصُّلبة -مع ما تلاها من عقود التشييد الفكري والحضاري- التي قامت عليها حضارة إسلامية زاهرة؛ علَّمت العالم وأنارت الوجود.

كما يمثل سباحةً فكريةً في عقل واحد من عقول الأمة الكبيرة، وصاحب أحد المذاهب الإسلامية المندثرة، أنار عصره بفكره الباني المتجدد، وبعطائه الوطني، وإنسانيته التي فاقت الحدود.

إن دراسة سيرة الإمام المجدد المصري الليث بن سعد (رضي الله عنه)، وهو نجل الحضارتين المصرية والإسلامية، ومسيرته، وتراثه الذي جمع بين العلوم الشرعية والعلوم المدنية، وعصره، وبيئته المصرية التي كانت تعج بحركة علمية فريدة؛ من الأهمية بمكان؛ إذ تسهم في إبراز مناجم التاريخ العقلي للأمة بمنتجاته المختلفة، ومن أهمها: ريادة العقل المسلم في إبداع المنهج العلمي، وتفرده في ابتكار علوم ما يزال العالم كله يستفيد منها، ويسير على هداها حتى الآن.

كما تصب مباشرة في دعم تدفقات نهر التجديد والاجتهاد، الذي شيَّدته وتغذيه القوة الذاتية التي أودعها الله تعالى في المنهج الإسلامي. كما تعدُّ خطوة مهمة على طريق الإنارة الفكرية، والبناء السلوكي

الرشيد للنشء والشباب؛ من خلال استلهام الدروس، والعبر، والقيم البانية للوجدان وللإنسان وللأوطان، من سير هؤلاء الأماجد، أصحاب الأمجاد السامقة (الفكرية، والإنسانية، والحضارية).

إن من واجب علمائنا علينا أن نحفظ إرثهم وما خلَّفوه من كنوز فكرية، وننقل تراثهم للعالمين، وحتى لا نتألم من جلدات التاريخ عندما نقرأ مثلا قول الشافعي: «الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به» وفي رواية له «...إلا أن قومه ضيعوه» أي: لم يؤدوا حقه بتدوين علمه، ونشره للناس.

ولما كانت السُّنة النبوية نور يستضيء به المسلم في حياته الدنيا، وينال به رضوان الله تعالى يوم القيامة.. وهى المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، توضح، وتخصص، وتفصل، وتبين، ما في المصدر الأول -القرآن الكريم- قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، فقد أمرنا الله -ﷻ- باتباعها، والاستجابة لرسوله (ﷺ) فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، والعناية بها.

ولقد أَولَى الصحابةُ الأخيارُ، والتابعون الأبرارُ، ومَن جاء بعدهم مِن علماء المسلمين السنةَ الشريفةَ جُلَّ اهتمامهم، وعنوا بها أشد عناية تدقيقًا وتحقيقًا وشرحًا وتوضيحًا، فأخرجوا لنا وللدنيا كلها كنوزًا زاخرةً بالنور المضيء من أقوال سيد البشر سيدنا محمد (ﷺ)، فحفظت بهم السنة الشريفة من النقص والضياع؛ بتلقينها، وتبليغها، وسماعها، وإسماعها، فأدوها كما وعوها، خالف عن سالف، فبلغتنا عبر السنين بصفائها ونقائها وبهائها ونورها..

وكان مِن هؤلاء الأماجد الذين جنَّدهم الله (ﷻ) وهيأهم لخدمة كتابه وسنة رسوله (ﷺ) الإمام الليث بن سعد (رضي الله عنه)، الذي بدأ حياته بحفظ القرآن الكريم، ثم شرع في حفظ حديث رسول الله (ﷺ).. وكان قوي الذاكرة في حفظه، بارعًا في تلقي العلم عن مشايخه؛ حيث أكثر من جلوسه إليهم، واقتفاء آثارهم أينما كانوا أو حلّوا، فتعلم على أعظم علماء عصره من المصريين والحجازيين والشوام، منهم: ابن شهاب الزهري، ونافع مولي ابن عمر، ويزيد بن أبي حبيب، وابن مليكة، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم...

فنبغ في جُلِّ العلوم الدينية واللغوية، لكنه اعتنى عناية كبيرة بسنة النبي (ﷺ)، وبالفقه الإسلامي، حتى صار فيهما إمامًا، ولا غرو أن يُقبل عليه جموع الناس؛ ليستزيدوا من بحر علمه الفيَّاض، حيث كان المسلمون يهرعون إلى دروسه ومجالسه، ويقبلون عليه في شوق، ويستمعون إليه بإنصات.

وقد أردنا من هذه الدراسة أن نرسم صورة واضحة المعالم لشخصية الإمام الليث بن سعد (رضي الله عنه)، وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف، والفقه الإسلامي، وما تخلق به هذا العالم من أخلاق نبيلة؛ لنقدمها إلى المسلمين لتسهم في تقويمهم وتوجيههم وبنائهم على أساس من الأخلاق العليا والمثُل الفاضلة التي أرساها رسول الإنسانية (ﷺ) وامتثلها الصحابة والتابعون مِن بعدهم.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

* لما طالعت كتب الحديث الشريف، والفقه، والتفسير، والتاريخ، أخذت أتعرف على الإمام الليث بن سعد (رضي الله عنه) فأدركت أنه كان محدثًا، وكان كذلك فقيهًا من الطراز الأول، مجتهدا مثله -في ذلك- مثل الإمام مالك، والإمام الثوري، والإمام الأوزاعي، والإمام أحمد بن حنبل.. وغيرهم من الفقهاء (رضي الله عنهم).

فظهر لي بوضوح أثره وفضله في الفقه الإسلامي والحديث الشريف والدراسات الفكرية، والإسلامية بوجه عام، حتى تمنيت أن أكون من أهل عصره؛ لأنهل من علمه الفيَّاض، وأتعلم على يديه حديث رسول الله (ﷺ)، والفقه الشريف؛ فأردت أن أكتب عنه وأدلي بدلوي في تاريخه المشرق؛ لأضع أمام طلاب العلم وأساتذته أنموذجًا لشخصية مصرية فريدة كان لها أعظم الأثر في تعليم مَن حوله من الخلفاء والأمراء وطلاب العلم وعامة الناس.

وعلى الرغم من النبوغ المبكر والسريع للإمام الليث بن سعد (رضي الله عنه) في شتى العلوم، وجلوسه مبكرًا للتدريس، وكثرة مجالسه التي تعلم فيها الكثيرون، وكثرة عطائه، فإنه ظُلم بسب عدم تدوين علمه، ربما لميل تلاميذه إلى الحفظ الشفاهي والنقل الروائي، وربما لعدم وجود تلاميذ نجباء يدونون عنه ذلك... فأردت أن أسهم بهذه الدراسة في جمع بعض علمه وآثاره خوفًا عليها من الاندثار.

* الرد على كثرة التساؤلات التي تقول: هل الإمام الليث بن سعد فقيه أم محدث؟ فأردت أن أبين أن الليث بن سعد لم يكن فقيهًا فحسب -كما هو مشهور- بل كان من المحدثين الأفذاذ، الذين كانت لهم بصماتهم الواضحة في خدمة الحديث النبوي الشريف.

* إبراز دور البيئة المصرية على سير الشريعة الإسلامية وتطورها، وفضلها على العلم والعلماء والطلاب الذين كان لهم الدور الكبير في تطور الحركة العلمية.

* لما أخذت الفتن تطل برأسها بين المسلمين، وظهرت الفرق والتيارات السياسية، وتعصب كل شخص إلى فريقه من غير تبصر، شرع المغرضون في وضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله (عليه السلام) بهدف تأييد توجهاتهم الإيدولوجية، وقد بادر باقتراف هذا الإثم جماعة ممن تستروا بالإسلام، وأرادوا أن يشفوا غليلهم منهم بإثارة الأحقاد بين أبنائه بغية إحداث الخلل والوهن في جداره المتين.

ولم تكن تلك المحاولات الخبيثة لتعيث فسادًا دون رادع، بل تصدي لها كبار علماء المسلمين آنذاك، وكان من بين هؤلاء الذين حفظوا السنة الشريفة، ودافعوا عنها، ونفضوا الغبار المثار في وجهها في وقت حرج من تاريخ الإسلام، الإمام الليث بن سعد (رضي الله عنه)؛ لذلك أردنا أن نُجلِّي صفحة مشرقة من تاريخ هذا العالِم والمحدث الفذ، ونُظهر دوره في الحفاظ على السنة النبوية، ونُلقي الضوء على منحاه الفكري والفقهي، ومنهجه في رواية الحديث الشريف.

وقد قسَّمت الكتاب إلى فصول ثلاثة، تسبقها مقدمة، كما زيلته بخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

وقد جاءت فصول الكتاب على النحو التالي:

الفصل الأول: عصر الإمام الليث بن سعد (رضي الله عنه)

الفصل الثاني: شخصية الإمام المجدد الليث بن سعد

الفصل الثالث: مختارات من آثار الإمام الليث بن سعد الفقهية والحديثية

وهذا الكتاب يأتي وفاء لحق هذا العالم العلم، صاحب الفكر والقلم، شاحذ الهمم، جابر الخواطر، وناثر الأمل، أسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يتقبله مني، وأن ينفع به، إنه سميع قريب مجيب.

فهيا بنا الآن لنتقرب في سكينة من هذا الرجل العظيم؛ لنستقبل فيه أروع نماذج البشرية الفاضلة وأبهاها.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ (النمل:١٩).

وبالله تعالى التوفيق

د/ أحمد على سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

ahmedsoliman٩٩٩@gmail.com

*****

الفصل الأول

عصر الإمام الليث بن سعد

الفصل الأول

عصر الإمام الليث بن سعد

المبحث الأول

الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في عصر الليث

تمهيد:

عاش الإمام المجدد الليث بن سعد (رضي الله عنه) فترة تحول مهمة في تاريخ الأمة الإسلامية، فترة سقوط دولة وبزوغ أخرى... وشهد الليث ما شهد من دولتي الأمويين والعباسيين، وما كان بينهما من صراع، وما ثار في المجتمع من ثقافات...

وكان هذا التحول في كل شيء من مقررات ذلك المجتمع، سواء منها ما يتصل بتركيب المجتمع نفسه والعناصر المكونة له، أم بأساليب الحياة [1].

ونعرض بإيجاز للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في هاتين الدولتين، في الفترة التي عاشها الليث بن سعد (رضي الله عنه) من سنة٩٤-١٧٥هـ.

الحياة السياسية:

حكم الأمويون العالمَ الإسلامي إحدى وتسعين سنة، من سنة (٤١هـ إلى

(١) كان من آثار هذه النقلة: الترخيص في رواية الحديث والآثار واتساع حركة التأويل والإسراف فيها.. ثم ظهور الإمام الشافعي، وقد أدرك طرفًا من هذا الاتساع، وشارك في صده، كما شارك فيه من قبله سلفه الليث بن سعد، وقد ظهر ذلك في رده للقضاة وشهادته لهم وعليهم. راجع: السيد أحمد خليل: الليث بن سعد فقيه مصر، القاهرة: دار المعارف سنة ١٩٦٩م، ص١٠٧ وما بعدها.

١٣٢هـ)، وكانوا خلالها متعصبين للعرب والعربية، ولا شك أن هذا التعصب نأى بالكثير من العناصر المشتركة [١] عن الإسهام في صنع الحياة نفسها، لا سيما ما يتصل فيها بالجانب الفني والمادي، وإن شاركوا أحيانًا في صنع الحياة التشريعية؛ وذلك لبعدها عن سلطان الخلافة[٢].

وعلى الرغم من ذلك امتاز العهد الأموي، على قصره، بمجموعة من الحركات الفكرية والثورية، لم تتأت لسواه، فهو بذلك كان أخصب العهود في ثوراته الفكرية وثوراته العسكرية [٣].

ولم يكن الأمويون أقل من غيرهم، إن لم يكونوا أفضل منهم، سواء في نوعية الشخصيات الحاكمة وإمكاناتها الخلقية والنفسية والفكرية والتزامها بالإسلام، أم في الأعمال العامة، الحربية والسلمية التي قامت بها كل دولة من هذه الدول التي أتت بعدها. ويرى كثيرٌ من دارسي التاريخ أن ميزان الأمويين في التاريخ -على قصر عمرهم- لا يقل عن ميزان العباسيين مع طول عمرهم (١٣٢-٦٥٦هـ)!! [٤].

ومن العجب أنه قد تحالفت ظروف كثيرة قلَّلت من شأن الأمويين بقصد أو بدون قصد. وتكاد المراجع التي بين أيدينا أن تخلو خلوًا تامًّا من كلمة مدح أو ثناء على أكثر خلفاء هذه الدولة، أما عبارات القذف والطعن فقد أسهبت

(١) نعني بالعناصر المشتركة هنا: الموالي الذين شعروا بكثير من الضيق تحت حكم الدولة الأموية من جرَّاء تفضيل العرب عليهم.. ثم ما لبثوا أن تبدد سلطان هذه الدولة، وعصفت بها الحوادث، حتى كانوا من العناصر المهيئة والمهيمنة على حكم الدولة الجديدة (الدولة العباسية).

(٢) السيد أحمد خليل: الليث بن سعد فقيه مصر (مرجع سابق) ص١٠٨.

(٣) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي.. الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها، الطبعة السادسة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢م، ١٢٣/٢.

(٤) عبد الحليم عويس: بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي، القاهرة: رابطة الجامعات الإسلامية، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، ص٧ وما بعدها.

فيها كتب كثيرة واقتصدت كتب أخرى، وكان أيسرها ما اكتفى باللوم والتقريع..[١].

وقد كان بنو أمية -بصفة عامة وبنسبة لا تتحقق لكثير من الخلفاء بعد الراشدين- عند حسن ظن الأمة بهم.. سواء في مستوى كفايتهم الشخصية أم في مستوى أعمالهم العامة [٢].

ويشاء الله -عزَّ وجلَّ- أن يكون مولد الليث بن سعد (رضي الله عنه) في هذه الدولة، وبالتحديد في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان، الذي تولى الخلافة في الفترة من ٨٦-٩٦هـ/ ٦٠٥ــ٦١٥م، بعد وفاة والده عبد الملك بن مروان، الذي بذل جهدًا كبيرًا؛ ليعيد للعالم الإسلامي وحدته، واستطاع أن يحقق أمله ويصل إلى غايته، ويترك لابنه الوليد ملكًا مستقرًا هادئًا. وكان الوليد خير من يتسلم هذا الملك، وأعظم من يرعى هذا التراث، وكأن عبد الملك كان رجل صراع في عهد يحتاج للصراع، وكان الوليد رجل سلم وإصلاح، فجاء في عهد سلم، وقام بالإصلاح.

لقد بنى عبد الملك بناءً شاهقًا، ثم جاء الوليد فزَّينه وحسَّنه ونمَّاه.

وكان الوليد أمْيَل إلى العدل والقسطاس، حتى إن محمد بن يوسف، عامله على اليمن حمل إليه هدايا وألطافًا، فقيل للوليد: إن محمدًا غصب هذه الهدايا من الناس، وكلفهم عملها دون أجر، فامتنع الوليد عن أخذ الهدايا، وأصر محمدٌ علَى أنها من ماله الخاص، فلم يقبلها الوليد، حتى حلف محمد بين الركن والمقام في مكة خمسين يمينا ما غصب شيئًا منها، ولا ظلم أحدًا ولا أصابها إلا من طيب [٣].

وقد وُصِف الوليد بأنه أكثر الأمويين فتوحات، وأعظمهم نفقة في سبيل الله،

(١) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي (مرجع سابق)، ١٧/٢.
(٢) عبد الحليم عويس: (مرجع سابق) ص٧ وما بعدها.
(٣) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي (مرجع سابق) ٦٤/٢ وما بعدها بتصرف.

وهو الذي بنى جامع بني أمية بدمشق، وعمَّر مسجد النبي (ﷺ) بالمدينة، وعمل المنابر، وأغنى المساكين عن سؤال الناس [١].

وكان عهد الوليد -على العموم- عهد سعة ورخاء وأمن واطمئنان، وفي ظل هذا اليسر وتلك الوحدة القوية، اتسع العالم الإسلامي وامتد حتى شمل الأندلس، والسند، وغيرهما من البقاع [٢].

وكان يحكم مصر وقت مولد الليث بن سعد، قرة بن شريك بن مرثد، الذي وليها في العام التسعين من الهجرة، من قِبل الوليد، وكان قرة سيئ الخلق، رقيق الدين. يقول ابن تغري بردي: «كان قرة من أمراء بني أمية، وولاه الوليد حكم مصر، وكان سيئ التدبير خبيثًا ظالمًا غشومًا فاسقًا منهمكًا» [٣].

وتوفى قرة بن شريك بمصر، وهو وال عليها، في ربيع الأول سنة ٩٦هـ [٤]، وتولى مصر من بعده، عبد الملك بن رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمى -ولايته الأولى- في ربيع الآخر من نفس العام، وكان عبد الملك عفيفًا حريصًا على الرعية عادلاً، وكان ثقة فاضلا؛ ولذا أحبَّه الليث بن سعد، كما أحبَّه المصريون [٥].

وبعد وفاة الوليد بن عبد الملك، تولي الخلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ)، وكان من خيار بني أمية، وكان فصيحًا مفوهًا، مؤثِرًا للعدل، محبًّا للغزو، مطلِقًا من كانوا في سجون الحجاج، رادًّا المظالم إلى أهلها، مفتتحًا أيامه

(١) عبد الحليم عويس: بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي، ص٢٧.
(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي جـ ٢ص٦٤.
(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، سنة١٩٩٢م، جـ١ص ٢٨٠.وانظر: ناصر الأنصاري: موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم مع صورهم وأعلامهم ورموزهم، القاهرة: دار الشروق، الطبعة الخامسة، سنة١٩٩٣م. ص٦٢.
(٤) النجوم الزاهرة ٢٨٢/١.
(٥) المرجع السابق ٢٩٦/١، بتصرف.

بإحياء الصلاة لمواقيتها، مختتمها باستخلاف الراشد عمر بن عبد العزيز[1]، الذي تولى من سنة ٩٩ إلى سنة١٠١هـ.

وكان عمر من الخلفاء القلائل الذين سعت لهم الخلافة، دون أن يسعوا إليها، أو يحاولوا الحصول عليها، بل إنه كان حريصًا على إبعادها عن نفسه، ويرى فيها امتحانًا قاسيًا يثقُل عليه حمله، ولكن سليمان بن عبد الملك كان يُظهر إعجابه بعمر، ويراه أكفأ بني قومه، فلما مرض (سليمان) عهد إليه بالخلافة، وكتب بذلك عهدًا، وأعطاه لرجاء بن حيوة، وطلب سليمان من بني أمية ومن قادة الجند أن يبايعوا مَن ارتضاه لهم، فبايعوا.

ومات سليمان بعد ذلك، فكتم رجاءُ بن حيوة، خبرَ وفاته، وجمع وجوه الناس، وطلب منهم تكرار البيعة ففعلوا، ثم نعى رجاءُ لهم سليمان، وفضَّ الكتابَ، وأعلن أن عمر بن عبد العزيز هو الخليفة الجديد [2]، ثم صعد المنبر وانطلق يقول: "أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة لي، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم" وأخذ عمر ينزل من فوق المنبر، ولكن الناس صاحوا به، وقالوا له: "قد اخترناك"، وأقبلوا عليه وبايعوه [3].

وهكذا كان إدراك عمر (رضي الله عنه) للمسؤولية منذ اللحظة الأولى..

ويروى أن زوجته دخلت عليه عقب تولية الخلافة فوجدته يبكي، فقالت له: ألشيء حدث؟ قال: لقد توليت أمر أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ففكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمقهور، والمظلوم، والغريب، والأسير، والشيخ الكبير، وعرفت أن ربي سائلي عنهم جميعًا، فخشيت

(١) محمود محمد زيادة: الدولة الأموية، القاهرة: مطبعة دار التأليف بالمالية بمصر، سنة ١٩٦٨- ١٩٦٩م. ص٥٥ وما بعدها.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٣١، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ٧٢/٢-٧٣.

(٣) الدولة الأموية (مرجع سابق) ص٦١.

ألا تثبت لي حجة؛ فبكيت [١].

وعاد عمر بعد ذلك إلى نفسه يحاسبها، فجرَّد نفسَه من كل نعيمٍ، وردَّ القطائعَ التي كان قد ورثها؛ اعتقادًا منه أنها لم تكن حلالا طيبًا، ونزع ثيابه الثمينة، وقنع بكساء بثمانية دراهم خشنًا، فأصبح يرى الكساء الذي يبلغ ثمنه ثمانية دراهم لينًا، ويبحث عن كساء أكثر منه خشونة، وغسل عمر الطيب عن نفسه، ودعا الحجام فقص فضلة شعره، وباع ما عنده من ملبس وعطر، ووضع أثمانها في بيت مال المسلمين، كما ترك ألوان الطعام الجميلة، وأخذ يأكل الطعام الجاف، وتولى خدمة نفسه بنفسه ولم يسمح لأحد أن يخدمه.

وانثنى إلى زوجته -وهي حفيدة خليفة، وبنت خليفة، وأخت خلفاء، وقد انحدر لها من هذا المحتد أغلى الجواهر واللآلئ، وأثمن المتاع والرياش- فقال لها: قد علمت حال هذا الجوهر، ومن أين أصابه ذووك، فإما أن تختاريني وتَدَعِي كلَّ هذا المتاع، وإما أن تختاري متاعَك وأسرحك.. فاختارته، وقبلت العيشَ معه في البساطة التي أرادها [٢]، وبذلك أصبح عمر وزوجته وبيته في

(١) السيوطى ٢٣٦، الدولة الأموية ص٦١، موسوعة التاريخ الإسلامي ٧٣/٢.

(٢) فعمر سليل بني أمية، أبوه عبد العزيز بن مروان، وعمه الخليفة العظيم عبد الملك، وزوجته فاطمة بنت عبد الملك وأخت الوليد. ومن هنا انفسح له الرزق، وعرف حياة القصور وعاش فيها، وتربى في نعيم وبحبوحة ورخاء، وامتد ثراؤه فأصبحت له قطائع يستغلها في الحجاز والشام وفي مصر واليمن والبحرين.. وقد ورد عليه منها دخل ضخم من المال، قُدِّر بأربعين ألف دينار كل عام. ولقد عرف عمر قبل الخلافة الطيب ومطرف الخز، كما زوّد قصوره بأفخر الأثاث وأغلى الرياش. ويروى أنه كان مما يؤخذ عليه قبل الخلافة، مبالغته في التنعم، وإفراطه في حسن المظهر، واختياله في مشيته، وكانت مشيته تُسمى العمرية نسبة إليه، وكانت الجواري يتعلمنها من حسنها وتبخترة بها، وكان يستعمل نوعًا رائعًا من الطيب فإذا مشي انتشرت رائحته في المكان الذي يمر فيه.. ثم جاءت الخلافة إلى عمر فكانت حدًّا فاصلاً بين حياته السابقة وحياته اللاحقة، فقد أحس بالمسؤولية ضخمة، وبالمظالم كثيرة، والتبعات ثقيلة، فبدأ يعمل بجد من اللحظة الأولى، وأول ما ابتدأ به أنه جيء له بمراكب الخلافة عقب =

حالة متواضعة.

لقد عاش عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) تجربة الحكم، في وقت بلغت فيه العلاقة بين الأسرة الحاكمة وبين الفئات الشعبية العريضة، حدًّا كبيرًا من التعثر والانهيار.

وأدرك عن وعي جسامة الخطر الذي يتربص بالنظام الأموي، مع استمرار الأقلية الحاكمة معزولة خلف جدران الترف والامتيازات، عن الأغلبية المتذمرة، الفاقدة أحيانًا أبسط قواعد الاستقرار والحياة الكريمة، فكانت أثقل همومه بعد أن أصبحت في يده السلطة العليا، الإحاطة بهذه المشكلة وتطويق أسباب النقمة ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

ولا ريب أن عمر بن عبد العزيز الذي جاء إلى الخلافة عن طريق الفقهاء، ومعه تراث من التجربة، ورصيد من التقدير في الأوساط الدينية والعلمية على الخصوص، ومن ثم علاقته الوثيقة بـ «المدينة» التي كانت من المراكز الثقافية المهمة وقتذاك، اكتسب من خلال ذلك كله، موقعًا خاصًّا ومكانة مميزة عن أقرانه من البيت الأموي [1].

ولقد استطاع عمر بن عبد العزيز القيام بعدة إصلاحات في مختلف الميادين، فبذل كل جهده في نشر الدعوة الإسلامية بالحسنى في أقطار الأرض، وكتب إلى ملوك الهند يدعوهم إلى الإسلام والطاعة، على أن تبقى أملاكهم وإماراتهم بأيديهم، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم.. وكانت سيرة عمر ومذهبه في الحكم والحياة قد بلغت هؤلاء، فأسلموا وتسموا بأسماء العرب..

دفن سليمان، وكانت هذه المراكب تشمل: البراذين والخيل والبغال. فقال: دابتي أوفق لي، وباع هذه المراكب، ووضع ثمنها في بيت المال، كما باع السرادقات والفرش والأوطئة المخصصة للخلفاء، وضم ثمنها إلى بيت المال. راجع: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٣١، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي (مرجع سابق) ٢/ ٧٥.

(١) إبراهيم بيضون: تكوّن الاتجاهات السياسية في الإسلام الأول، الطبعة الأولى، بيروت: دار اقرأ، ص ص ٢٩١- ٢٩٢.

كما دفع عمر برسائله ووفوده إلى ملوك ما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام، فاستجاب له كثير من أهل تلك المناطق، وأمر ببناء الخانات؛ كي تكون محطات يأوي إليها الغرباء والمسافرون والمنقطعون، كما كتب إلى (ليو) الثالث إمبراطور الروم، يدعوه إلى الدخول في الإسلام..

وكان لعمر المنتهى في العلم والفضل والورع ونشر العدل، مقرِّبًا أهل الفضل، مؤْثِرًا الدين على الدنيا، وكان يجمع العلماء والزهاد كل ليلة، فيتذاكرون الموت وكأن بينهم جنازة..!! (١).

أما الأرض المغتصبة والتي لا سجل لها، فقد أعلن عمر عودتها إلى أصحابها أو إلى بيت المال إن لم يكن لها صاحب.

وسارع عمر بخلع الولاة الظالمين والعمال القساة، فعزل أسامة بن زيد التنوخى عن صدقات مصر؛ لأنه كان غاشمًا ظلومًا كثير الاعتداء، وعزل يزيد بن أبي مسلم عن إفريقية، وصالح بن عبد الرحمن عن العراق، والحارث بن عبد الرحمن الثقفي عن الأندلس(٢).

كما أوقف عمر الحروب مع غير المسلمين، ومع المتمردين من المسلمين، واستبدل بذلك دعوة غير المسلمين للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة -كما سبق- كما حاجج المتمردين والخوارج فتغلَّب عليهم بالدليل والإقناع، وقد انتصر في مناظراته مع الثائرين من المسلمين.. وكانت سيرته العطرة خير مساعد له لتحقيق هذا الانتصار.. ودخل الإسلامَ كثيرٌ من المصريين والشوام والفرس الذين لم يدخلوا الإسلام من قبل، على الرغم من دخول الإسلامُ بلادهم، مكتفين بدفع الجزية والدخول في الذمة، ثم جذبتهم سماحة عمر، إلى الإسلام مما جعل عصره يسمى بعصر «البلاد المفتوحة» (٣).

---

(١) عبد الحليم عويس: (مرجع سابق)، ص٣٠.
(٢) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي (مرجع سابق) ٧٦/٢.
(٣) الطبري ٤٠٩/٥.

أما الخوارج فقد بهرتهم سيرته وأعماله، فأوقفوا نشاطهم الثوري، والتقوا مع عمر للتفاهم معه بالحجة، فعلَّمهم بخُلُقِه وعلمه وبيانه، فانصاع كثيرٌ منهم، وخفف عمر من أثقال الخراج الذي كان يؤخذ من النصارى، وأوقف أخذ الجزية ممن دخل الإسلام منهم، فانهال الناس على الإسلام، تقديرًا للإسلام، ولعمر خليفة المسلمين.. وقد كتب له عامل يقول: إن هذا يضر بالجزية. فتلقى من عمر الجواب الآتي: "قبَّح الله رأيك، ارفع الجزية عمن أسلم، فإن الله بعث محمدًا هاديًا، ولم يبعثه جابيًا". كما سوَّى عمر بين العرب وغيرهم، كما تقضي بذلك شريعة الإسلام، فأوقف مشكلة الموالي التي أكثر المؤرخون الحديث عنها[١].

وهكذا كانت خلافة عمر بن عبد العزيز، أحد أهم المنعطفات في التاريخ الأموي؛ لما تمثله من محاولة رائدة في استيعاب المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي أفرزتها الفتوحات، والعلاقة المتدهورة بين النظام وخصومه[٢].

وتوفى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بعد أن ملأ طباق الأرض علمًا وحلمًا وعدلا وفضلاً، وكان ذلك في شهر رجب سنة إحدى ومائة هجرية.

وبعد وفاته تولى يزيدُ بن عبد الملك، الخلافة سنة ١٠١-١٠٥هـ وحاول يزيد أن يسير سيرة عمر، إلا أنه لم يستطع الصمود في القمة [٣].

وسرعان ما قام يزيد بهدم الجهد الذي بذله عمر بن عبد العزيز لرد المظالم وحماية بيت مال المسلمين، فاسترد القطائع وأعاد الهبات [٤].

ويرى بعض المؤرخين أن النهاية المأسوية للنظام الأموي، أخذت تنسج

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٧٧/٢.
(٢) إبراهيم بيضون: تكوّن الاتجاهات السياسية في الإسلام الأول، ص ٢٩٤.
(٣) عبد الحليم عويس: بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي، ص ٣١.
(٤) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ٨١/٢.

خيوطها على يد هذا الخليفة، حيث تبلورت وقتذاك معالم ما يسمى بالتيار «الشعوبي» وذلك في أعقاب ارتفاع موجة التذمر لدى الفئات غير العربية، التي عانت من قسوة الولاة وثقل الضرائب [١].

ويبدو أن عائلة الليث بن سعد كانت على علاقة قوية بالبيت الأموي، مما جعل الخلفاء يؤثرونهم بالمناصب الرفيعة في مصر، فقد ولي عبد الملك بن رفاعة الفهمى مصر ولايتين: كانت الأولى سنة ست وتسعين، وكانت الثانية في السنة التاسعة بعد المائة، ولم تظل تلك الولاية إلا أيامًا قليلة توفى بعدها، وتولى أخوه الوليد بن رفاعة في السنة التاسعة بعد المائة.

وتذكر بعض المصادر أن الوليد قد هدم بيت الليث بن سعد ثلاث مرات، غير أن تلك المصادر لم تذكر سبب ذلك. وربما كان مرد ذلك إلى حسد الوليد لليث لما آتاه الله من علم ومال وشهرة بين الناس، كما قال بعض الباحثين(٢).

وقد استمرت ولاية الوليد على مصر حوالي تسع سنوات حتى توفى سنة سبع عشرة ومائة. ومما روي في وفاته أنه لما هدم دار الليث ثلاث مرات، أتاه آت في منامه فقال له: يا ليث ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص: ٥] فأصبح وقد أفلج [٣] ابن رفاعة[٤].

---

(١) تكون الاتجاهات السياسية في الإسلام الأول، ص٢٩٩.

(٢) وليد كساب: الليث بن سعد الفقيه المحدث، بحث تقدم به لجائزة مؤسسة أقرأ سنة٢٠٠١م، ص٦.

(٣) فَلِجَ الرجل ونحوه: فَلجًا، وفَلَجَة: تباعد ما بين ساقيه، أو يديه، أو أسنانه. و الفالج: شلل يصيب أحد شقي الجسم طولا (المعجم الوجيز، ص ٤٧٩ مادة: فلج).

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (مرجع سابق)، ٣٥٦/١، ومعني أفلج: أي أصيب بالشلل، راجع: المعجم الوسيط. ط مجمع اللغة العربية ٧٢٥/٢. والآية رقم ٥ من سورة القصص.

وبعد وفاة الوليد تولى أمر مصر عبد الرحمن بن خالد، وهو فهمي أيضًا، وكان في عبد الرحمن لين، فعزله الخليفة.

ثم تولى الخلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥-١٢٥هـ، وفي عصره بدت الدولة الأموية متعثرة الخطى، سائرة نحو مصيرها القلق، ثم تولى الوليد بن يزيد سنة ١٢٥-١٢٦هـ وهو في الخامسة عشرة من عمره، وخاض عدة معارك، ولكنه في النهاية قتل، ثم تولى يزيد بن الوليد سنة ١٢٦هـ بيد أنه مات بعد شهور قليلة، ثم تولى إبراهيم بن الوليد سنة ١٢٦هـ ولم يستقر له الأمر هو الآخر[١]، ثم تولى مروان بن محمد في سنة ١٢٧-١٢٣هـ ولم يستقر الأمر له إلا بعد شهور عديدة، فقد كانت هناك شهور نضال؛ إذ إن مروان لم يتول ببيعة سابقة، وإنما تولى بحد السيف، فلم تتم له البيعة إلا بعد وقت مملوء بالكفاح.

غير أن الثورات استمرت في وجه مروان بعد البيعة، وقد شملت هذه الثورات الشام كله، حيث ثار عليه أهل حمص فقاتلهم، وثار عليه أهل الغوطة فحاربهم، وهبَّ في وجهه سليمان بن هشام فحاربه. وإضافة إلى ذلك اشتعلت ثورات الخوارج، وهبَّت ثورات أخرى بالحجاز، واشتد الصراع الشيعي في الحروب، فبدلا من تقسيم الجيش إلى فرق تنتسب كل منها إلى قبيلة، رأى تأليف جيش نظامي يخدم أفراده برواتب معينة بإمرة قادة محترفين، وينقسم المجندون للخدمة العسكرية إلى فرق قليلة العدد، تفوق في سرعة حركتها وقوتها، نظام الخطوط الطويلة عند العرب.

ولكن هذا كله لم يغن شيئا؛ لأن الظروف كلها كانت ضده وكانت عوامل فشله محكمة، فقد جاء في وقت تهلهل فيه ثوب الخلافة الأموية، ولم يعد هنالك أمل في إصلاحه ولا مكان لوضع الرقاع فيه، وقد شغلت أحداث الشام والعراق والحجاز الخليفة فلم يستطع أن يقدم عونًا لواليه في خراسان، فانهزم واليه نصر بن سيار، أمام أبي مسلم الخراساني، واستمر زحف الشيعة من

(١) الطبري: تاريخ الطبري ٥٦٤/٥، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ٩٠/٢.

خراسان حتى شمل العراق فمصر، وفرَّ مروان إلى مصر، فقُتل في قرية اسمها بوصير [1] من قرى الصعيد سنة١٣٢هـ بعد حياة مملوءة بالكفاح والجهاد.. وبموته سقطت الدولة الأموية [2].

وتعدُّ السنوات السبع الأخيرة من عمر الدولة الأموية -وهي التي حكم فيها أربعة خلفاء، هم: الوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد، ومروان بن محمد- سنوات فتنة. دخلت فيها الدولة الأموية مرحلة الاحتضار، ولم تصلح الجهود الكبيرة لمروان بن محمد -آخر خلفاء بني أمية- مع كل ما أوتيه من ذكاء وحكمة وشجاعة، أن تحول دون السقوط؛ ذلك لأن كل ظروف السقوط كانت قد توافرت وتضافرت، ولم يعد في قدرة أي فرد عظيم أن يقف ضد التيار..!! [3].

وقد سقطت الخلافة الأموية سقوطًا مدويا بعد أن أبلى الأمويون بلاء حسنًا في خدمة الإسلام، وبذلوا أقصى طاقاتهم، سواء أكان ذلك في ميادين الجهاد والغزو، أم في مجال الإدارة والتنظيم، في فترة حكمهم للعالم الإسلامي، التي ظلَّت إحدى وتسعين سنة (٤١ــ١٣٢هـ)، وتولى الحكم منهم خلال هذه الفترة أربعة عشر خليفة.. تركوا أمجادًا باقية، رفعت ذكرهم على مر الزمان، تتمثل في الفتوحات الإسلامية.. وغيرها. فعلى الرغم من المصاعب الجمَّة التي كانت تعترض طريقهم، والقوى المتعددة المعادية لهم، التي كانت تشدهم إلى الوراء، فقد نفَّذوا برنامجًا رائعا للفتوحات، ورفعوا راية الإسلام، ومدوا حدود العالم

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٩١/٢.

(٢) لما انهزم الأمويون يومئذ، وولوا الأدبار وفي ركابهم مروان الذي اجتاز العراق، فالشام، فمصر، وبلغ قرية قور يدس (بوصير الملق) بالقرب من الوسطى ببني سويف- بصعيد مصر ــ والقوات العباسية في أثره، اختفى بكنيسة في تلك القرية، فقبض عليه، وقتل هناك سنة ١٣٢هـ راجع تفصيل ذلك في: إبراهيم شعوط: المجتمع العربي والإسلامي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

(٣) راجع: أحمد شلبي (مرجع سابق)، ٩٢/٢.

الإسلامي من حدود الصين في الشمال، حتى المحيط الهندي في الجنوب.

ولم يكن هذا الفتح العظيم فتحًا عسكريًّا لبسط النفوذ السياسي واستغلال خيرات الشعوب، كما يدَّعي أعداء الإسلام؛ وإنما كان فتحًا دينيًّا وحضاريًّا، حيث عمل الأمويون بجد واجتهاد على نشر الإسلام، وأحسنوا في معاملة أبناء البلاد المفتوحة -كما يأمرهم دينهم- واحترموا العهود والمواثيق التي أبرموها معهم، وأشركوهم في إدارة بلادهم، كل ذلك هيأهم لقبول الإسلام دينًا، فأقبلوا على اعتناق الإسلام عن اقتناع ورضا، وبذلك تكوَّن في العصر الأموي عالم إسلامي ممتد، على هذه الرقعة الكبيرة من الأرض، أخذ يشق طريقه تدريجيًّا نحو التشابه والتماثل في العادات والتقاليد والأخلاق ومعاملات الحياة، وأخذت أممه وشعوبه تنسلخ من ماضيها كله، وتنصهر في بوتقة الإسلام -الذي حقق لها العزة والكرامة والحرية والمساواة- مكونة الأمة الإسلامية.

* * *

وعلى أطلال الدولة الأموية قامت الدولة العباسية، فتغير الحال.. ونشط الموالى وشاركوا مشاركة جادة في صنع الحياة العقلية الإسلامية..

وعلى الرغم من أن الليث بن سعد أدرك هذا التغير وهذه الصراعات، إلا أنه لم يشارك فيها؛ بل ظل بعيدًا عنها مقدرًا تبعاتها، وما ينتج عنها من اضطراب [1].

ومع أنه كان بعيدًا عن المشاركة في تلك الفتن؛ إلا أنه لم يسلم من مغبتها، فقد ذكرت بعض الروايات أن ابن رفاعة -وهو والى مصر من قبل الأمويين- هدم داره -كما سبق- وظلَّ الإمام الليث صابرًا محتسبًا، راضيًا بما أصابه، مفوضًا أمره إلى الله[2].

(١) الليث بن سعد فقيه مصر(مرجع سابق) ص ١٠٨ بتصرف.

(٢) محمد رشيد نافع: الليث بن سعد وأثره في الفقه، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الشريعة والقانون بالقاهرة- جامعة الأزهر، سنة ١٩٧٣م.

وفى فترة هذا التحول وذلك التغير، عاش الليث كما عاش غيره من الفقهاء، وقد قضى الجانب الأغلب من حياته في طلب العلم والبحث عن مصادره في الأقاليم الإسلامية، إلى جانب ما وعاه عن شيخيه الأولين يزيد بن حبيب، وعمرو بن الحارث، فلما تم له ذلك وأحسَّ في نفسه القدرة على مواجهة الاتجاهات المتعددة في الأمصار الإسلامية، شرع يختار لنفسه منهجًا في المعرفة وطريقًا فيها[١].

وتعد عوامل سقوط الدولة أسبابًا رئيسة لقيام دولة بني العباس[٢] على أثرها سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، فضلا عن ذلك فقد انتهز العباسيون فترة الهدوء والاستقرار التي تولى الخلافة فيها الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي سنة ٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م، ولين جانبه مع الرعية، وجميل سلوكه إزاء بني هاشم، فأضحوا يبثون -تحت طي الكتمان الشديد- دعاتهم السبعين، ونقباءهم الإثنى عشر هنا وهناك بين العناصر العربية والأعجمية؛ لاستمالة القلوب وجذب العقول نحوهم [٣].

وقد حرص العباسيون على التخطيط الدقيق لنشر دعوتهم [٤] فراحوا بعدما قويت شوكتهم وكثر أتباعهم يعلنون حقهم في الخلافة، على أساس أنهم أقرب إلى الرسول (ﷺ) من بني أمية. ثم تزعموا جموع الخارجين عن طاعة الأمويين،

(١) السيد خليل: الليث بن سعد، ص ١١٣.

(٢) تنسب الخلافة العباسية إلى العباس عم النبي (ﷺ)، ومؤسس دولة بني العباس هو: عبد الله (السفاح) بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس، ويعتبر قيامها انتصارًا للفكرة التي نادى بها بنو هاشم عقب وفاة الرسول بإسناد الخلافة إلى أهل الرسول(ﷺ) وذويه، راجع: (موسوعة التاريخ الإسلامي)٣ /٢٠.

(٣) السيد أحمد حمور: الدولة العباسية- العصر العباسي الأول عصر القوة والنفوذ والعمل ١٣٢-٢٣٢هـ، الطبعة الثالثة، القاهرة: سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ص ١٣-١٤.

(٤) محمد عبد الفتاح عليان: قيام الدولة العباسية وتفسير جديد لدوافع الفرس إلى مؤازرتها، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الهداية للنشر والتوزيع، سنة ١٩٩٤م، ص ٥١.

وجعلوا مركز حركتهم في قرية "الحُمَيْمةَ" قرب البحر الميت [١].

وأرسلوا دعاتهم إلى خراسان من أجل زيادة أتباعهم. والمعروف أن سكان تلك المنطقة دخلوا الإسلام على أساس أنه الدين الذي يجعلهم متساوين، ولا يفرق بين الناس إلا بالتقوى. ولكن الأمويين أظهروا تعصبهم للعنصر العربي - كما سبق- وجعلوا الشعوب الأعجمية التي دخلت تحت طاعتهم في مرتبة دنيا، وقد ساء الأعاجم أن يروا خلفاء بني أمية يؤثرون العرب من ناحية، ويحتقرونهم من ناحية أخرى، فاستيقظت في نفوسهم النزعة الفارسية واجتمعوا تحت لواء حزب عرف باسم "الشعوبية". وبين هؤلاء الناقمين وجدت بذور الحركة العباسية تربة صالحه للنمو، وسرت فكرة الثورة وانتشرت في خراسان [٢].

وقد استفاد العباسيون من التجارب التي مر بها غيرهم -والتي أدت إلى هزيمتهم والتنكيل بهم مثلما حدث للعلويين الذين فشلت جميع الثورات التي قاموا بها رغم ما كانوا يلقونه من تأييد؛ ذلك لأنهم لم يخططوا لها تخطيطًا سليمًا، وكثيرًا ما كانوا يخرجون بغير سلاح ولا إعداد، فينتهي الأمر بالقضاء عليهم، وتذهب دماؤهم هدرًا- فحرصوا على التخطيط والتنظيم؛ لتثبيت سلطانهم[٣].

كما أدرك العباسيون التناقضات والصراعات التي يعج بها المجتمع الإسلامي. هذه الصراعات التي كانت تنخر في عظام الدولة الأُموية من الداخل، والتي استطاع الدعاة العباسيون أن يقوموا باستقطاب أكبر عدد من الفرق المتصارعة حولها عندما حملوا شعارات: عدم شرعية الحكم الأموي، والدعوة إلى الكتاب

(١) بطرس البستاني: موسوعة الحضارة العربية- العصر العباسي، دار كلمات للنشر،، شركة بروفيشينال برينينغ برونداكشن. ش. م. م، سنة ١٩٩٥م، ص ٥٣٩.

(٢) موسوعة الحضارة العربية- العصر العباسي (المرجع السابق) ص ٥٣٩.

(٣) محمد عبد الفتاح عليان: قيام الدولة العباسية وتفسير جديد لدوافع الفرس إلى مؤازراتها، (مرجع سابق)، ص ٥١ وما بعدها بتصرف.

والسنة، وإقامة حكم إسلامي قوامه العدل والمساواة.

كما عرفت الدعوة العباسية العمل من أجل كسب الجماعات الإسلامية، وحاولت التأثير على عواطف الشيعة العلوية، وأفادت من الغلاة في الدعوة السرية؛ لتزيد من أعداد مؤيديها.

وقاد أبو العباس عبد الله (السفاح) جموع الثائرين على بني أمية، وفي عام ٧٤٧م دخل أبو مسلم الخراساني -وهو مولى فارسي كوفي النشأة- مدينة «مرو» عنوة، ورفع الراية السوداء التي أصبحت شعار الدولة العباسية.

وبعد سقوط «مرو» عاصمة خراسان، سقطت مدينة الكوفة سنة ٧٤٩م، وفي مسجدها بايع الناس أبا العباس، فنودي به خليفة، وأراد مروان أن يقف في وجه المد العباسي، فسار على رأس اثني عشر ألف محارب، والتقي في مطلع عام ٧٥٠م، بالجيوش العباسية بقيادة عبد الله عم الخليفة الجديد، قرب نهر الزَّاب، فدُحر الأمويون وشتتوا، وأكمل العباسيون سيرهم باتجاه دمشق، وفتحوها عنوة بعدما فرَّ مروان بن محمد إلى مصر، ولكن العباسيين تعقبوه وقبضوا عليه وقتلوه -كما سبق- وأرسلوا رأسه إلى أبي العباس، وبذلك انتهى حكم بني أمية، وبدأ حكم بني العباس، وانتقل مقر الخلافة من الشام إلى العراق [١].

ويعد القرن الأول من عمر الدولة العباسية الذي يبدأ من سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م، هو العصر الذهبي للحكم الإسلامي، بسبب ظهور الكفايات الممتازة في شخصية الخلفاء التسعة: (السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق) الذين تولوا في هذه الفترة، حيث كانوا يجمعون إلى جانب الصفات السياسية والحربية، مؤهلات عقلية لم تكن لغيرهم من الخلفاء[٢].

(١)بطرس البستاني: موسوعة الحضارة العربية- العصر العباسي، ص٥٣٩-٥٤١ بتصرف.
(٢)السيد أحمد حمور: الدولة العباسية، ص ١٣.

ولقد تولى أبو العباس عبد الله (السفاح) من سنة ١٣٢- ١٣٦هـ، وكان كما تقول بعض الروايات كريمًا حليمًا وقورًا، عاقلا، كثير الحياء، حسن الأخلاق. قال عنه السيوطي: «إنه كان أسخى الناس، ما وعد عدة فأخرها عن وقتها، ولا قام من مجلسه حتى يقضيها»، بينما يرى بعض المؤرخين عكس ذلك. وربما يجد القارئ نفسه في حيرة وهو يطالع السطور الماضية، فيجد تناقضا بين سلوكه وقسوته، وبين نعته بالأخلاق الكريمة..!!

ويمكن تعليل تصرفات أبي العباس القاسية يومئذ بأنه كان بصدد تكوين دولة وإرساء قواعد ثابتة لها، ولا يتأتى ذلك ولا يتحقق إلا بإيجاد الهيبة لهذه الدولة، وغرسها في نفوس الجماهير في شتى الأقطار والأمصار، كما أنه قد وجد نفسه أمام نفر من القادة والولاة الموالين للأمويين، ويعملون على إرجاع دولتهم الأموية التي كان للعناصر العربية فيها مكانة سامية [١].

ويعلل د. أحمد شلبي، هذه القسوة بقوله: «ولولا هذه القسوة لهبت بالشام حركات كان يمكن أن تزعزع عرش الدولة الناشئة» [٢].

وعلى الرغم من هذه القسوة فإن الدولة الجديدة لم تستطع أن تبسط نفوذها على كل البلاد التي كانت خاضعة لبني أمية. ذلك أن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، هرب إلى الأندلس من أجل تأسيس دولة أموية في المغرب، شملت بلاد الأندلس، وقسما من المغرب العربي [٣].

وكان أبو العباس في أول خلافته قد اتخذ الكوفة مستقرًا له، إلا أنه لم يطمئن إلى نوايا أهلها تجاهه لتشيعهم [٤] فبحث عن مقر جديد لخلافته [٥] فاتخذ

(١) السيد أحمد حمور (مرجع سابق)، ص ٤١.
(٢) موسوعة والتاريخ الإسلامي ٧٢/٣.
(٣) بطرس البستاني: موسوعة الحضارة العربية- العصر العباسي، ص ٥٤٢.
(٤) د. السيد أحمد حمور ص ٦٠.
(٥) بطرس البستاني ص ٥٤٢.

(الهاشمية) -وهي إلى جوار الكوفة-عاصمة له، ثم انتقل منها إلى الحيرة، ثم إلى الأنبار[1] التي مات فيها يوم الأحد في النصف الأول من شهر ذي الحجة سنة ١٣٦هـ [2].

ولم تطالعنا المصادر التي بين أيدينا عن أية علاقة أو صلة بين الليث بن سعد والسفاح، ولعل ذلك يرجع إلى انتقال السفاح من مكان لآخر فلم يستقر في مكان في فترة خلافته التي استمرت أربع سنوات وتسعة أشهر، فضلا عن انشغال السفاح بالمناوئين له على شتى الأصعدة، زد على ذلك أن الليث كان بعيدًا عن هذه الفتن وتلك الصراعات، منصرفًا لطلب العلم والترحال لأجله.

وبعد السفاح تولى الخلافة أبو جعفر المنصور من سنة ١٣٦- ١٥٨هـ وكان هذا الرجل من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وعلمائهم، ومن ذوي الآراء الصائبة، والتدبيرات السديدة، وكان وقورًا حسن الخلق.. [3] كما اتصف بالدهاء والجرأة، وعرف بالمكر، واستمر حكمه اثنين وعشرين عامًا، استطاع فيها أن يوطد الحكم العباسي، وينجز الأعمال الكبيرة، وقد ثار عليه عمه عبد الله، وادعى الخلافة لنفسه، فوجه إليه المنصور أبا مسلم الخراساني، فهزمه في نصيبين، وفر عبد الله ولجأ إلى أخيه سليمان، وسلمه الأخير إلى المنصور، بعدما أخذ الأمان على عبد الله، إلا أن الخليفة قضى عليه بطريقة غامضة..!!

وقد عظم شأن أبي مسلم الخراساني، بعد قضائه على ثورة عبد الله، مما جعل المنصور يقلق ويصمم على إزاحته، وما زال يراوغه حتى استقدمه إليه وقتله، واسترضى قادة جنده بالأموال والهبات. إلا أن مقتل من كان صاحب الفضل في وصول العباسيين إلى الحكم، كان له عدة ردات سلبية، فظهرت في خراسان فرق غريبة تناهض العباسيين والمسلمين، منها «المسلمية» في نيسابور

(١) الدولة العباسية ص ٦٠.
(٢) د. أحمد شلبي ص ٧٤.
(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي ٧٥/٣.

وقد تزعمها «سنباذ» أحد أتباع أبي مسلم، و«الراوندية» في أصفهان، وقد استطاع المنصور أن يقضي على هذه الفرق[١].

ولم يستطع المنصور أن يخلد إلى الراحة، بعد مقتل عمه عبد الله وقائده الخراساني؛ لأن محمد بن عبد الله بن الحسن بن على ابن أبي طالب، المعروف بالنفس الزكية، نهض يطالب بالخلافة لنفسه في المدينة؛ لأن الدعوة في الأساس علوية؛ ولأن المنصور نفسه كان قد قبل بمبايعة النفس الزكية، فأرسل المنصور عيسي بن موسي على رأس جيش ضخم، فحاصر المدينة، ثم دخلها، وقتل محمد النفس الزكية في رمضان سنة١٤٥هـ/٧٦٢م، واحتز رأسه وأرسله إلى المنصور، ثم انتقل عيسي بن موسي إلى البصرة لمحاربة إبراهيم بن عبد الله، شقيق محمد النفس الزكية، بعدما بايعه أهلها على أثر مقتل أخيه، وقضى عليه وقتله في العام نفسه، أما إدريس بن عبد الله، شقيق محمد وإبراهيم، فقد فرَّ إلى المغرب الأقصى واستطاع هناك أن يؤسس دولة الأدارسة. وهذه الكوارث التي حلت بالعلويين زادتهم تشبثًا بآل البيت، فكثرت الانتفاضات، وقامت دول علوية متفرقة في العالم الإسلامي، ولم يستطع المنصور القضاء عليها كلها [٢].

وهكذا كان من أهم الرجال الذين اعتمد عليهم المنصور في الميادين العسكرية، عيسى بن موسي، وأبو مسلم الخراساني، وأيضا معن بن زائدة الشيباني. ومن العلماء الذين تألقوا في عهد المنصور، محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي قاضي قضاة المنصور، والإمامان العظيمان أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس[٣].

ولقد توطدت صلة الإمام الليث بن سعد بالمنصور، فأضحى محل ثقته وإعجابه، وفي ذلك يقول الليث: لما ودعت أبا جعفر المنصور ببيت المقدس

(١) موسوعة الحضارة العربية- العصر العباسي، ص٥٤٢-٥٤٣.
(٢) موسوعة الحضارة العربية ص ٥٤٢- ٥٤٣.
(٣) د. أحمد شلبي ٨١،٨٢/٣.

قال: «أعجبني ما رأيت من شدة عقلك، والحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك»، وكان الليث يقول لأصحابه وتلاميذه: "لا تخبروا بهذا ما دمت حيا"[١].

ولم يكتف الأمر عند ذلك، بل عرض المنصور عليه أن يوليه مصر فرفض الليث..!!

روى الإمام الذهبي عن يحي بن بكير قوله: «قال لي الليث: قال لي أبو جعفر المنصور: تلي لي مصر؟

قلت: لا يا أمير المؤمنين، وإني أضعف عن ذلك، وإني رجل من الموالي.

فقال المنصور: ما بك ضعف معي، ولكن ضعفت نيتك، أتريد قوة أقوى مني؟!

فأما إذ أبيت فدلني على رجل أقلده مصر.

قلت: عثمان بن الحكم الجذامي[٢]، رجل له صلاح، وله عشيرة.

قال فبلغه ذلك فعاهد الله ألا يكلم الليث بعدها»[٣].

ولما توفي المنصور سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م، تولى المهدي الخلافة من بعده في نفس اليوم الذي مات فيه أبوه، وهو على جانب كبير من الرعية، جد خبير[٤].

وكان المهدي ميالاً إلى حياة الترف والإنفاق، على عكس والده الذي كان مقترًا [٥].

ولقد بدأ المهدي عهده بعدة إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية، حيث أطلق المسجونين، إلا من كان محبوسًا بأمر القضاء، كما أجرى الأرزاق

---

(١) الليث بن سعد إمام أهل مصر (مرجع سابق) ص ٤٨رتصرف.

(٢) هو من رجال التهذيب، قال الحافظ في التقريب: صدوق له أوهام، من الطبقة الثامنة، مات سنة ١٦٣هـ ونقل عن ابن وهب أنه أول من أدخل مسائل مالك إلى مصر.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥٦/٨-١٥٧، تاريخ بغداد ٥/١٣، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام للذهبي، ط: دار الكتاب العربي سنة ١٩٩٣م ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٤) السيد حمور ص ٩٥-٩٦.

(٥) بطرس البستاني ٥٤٤.

على من بقي مسجونًا وعلى المجذومين، وكانوا من قبل يُتركون فريسة للجوع!!

وأمر بالزيادة في المسجد الحرام، ومسجد الرسول (ﷺ)، وكان أول خليفة عباسي يجلس للنظر في المظالم[١].

كما اهتم باسترضاء الناقمين، فردَّ الأموال المصادرة، وأطلق المساجين العلويين، ووزع الهبات على أبناء الحجاز. ووجه نظره بنوع خاص إلى مكة والمدينة، فبنى فيها الأحواض، ونظم البريد.

وواصل المهدي الحروب التي كانت قائمة مع البيزنطيين أيام أبيه، فاشترك في عدة حملات بحرية وبرية. كما اتصل بإمبراطور الغرب «شارلمان» بهدف القضاء على أمير الأندلس عبد الرحمن بن معاوية، ولكن عبد الرحمن استطاع أن يجابه الفرنجة وأن يقضي على الخصوم المتآمرين ضده، وقطع أمام المهدي سبيل ضم الأندلس إلى ملكه [٢].

وقد جرت لقاءات ومناقشات بين الليث بن سعد والخليفة المهدي الذي أعجب به إعجابًا كبيرًا وسُرَّ به أيما سرور..!!، وعرض عليه أن يلي له القضاء على أن يعطيه مائة ألف درهم من بيت المال، فرفض الليث واعتذر عن ذلك، فقال المهدي لوزيره يعقوب: «الزم هذا الشيخ، فإنه ثبت عندي أنه لم يبق أحد أعلم بما حمل منه»[٣].

وقبل وفاته (١٦٩هـ/ ٧٨٥م) أوصي المهدي بالخلافة لابنه الهادي ومن بعده لهارون الرشيد [٤].

---

(١) أحمد شلبي ص ١١٨.

(٢) موسوعة الحضارة العربية العصر العباسي، ص ٥٤٤-٥٤٥ بتصرف.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤٦/٨ بتصرف، عوالى الليث بن سعد لقاسم قطلو بغا، ط دار الوفاء سنة ١٩٨٧م- ٤٨٧.

(٤) بطرس البستاني ص ٥٤٥، السيد أحمد حمور ص ١٠٤.

وبعد وفاة المهدي تولى موسى الهادي من سنة١٦٩-١٧٠هـ وله من العمر يومئذ خمسة وعشرون عامًا [١].

ولم تدم خلافة الهادي طويلاً؛ إذ توفى سنة١٧٠هـ/٧٨٦م، فكانت مدة خلافته سنة وشهرين.. وكان كوالده ميالا إلى اللهو والغناء، فقرب إليه إبراهيم الموصلي، المغني المعروف، وابنه إسحاق الموصلي.

ويبدو أن سياسة التسامح الذي اتبعها والده مع العلويين لم تنسهم مطالبتهم بالخلافة، فراح يضيق عليهم بالمراقبة، وقطع الهبات التي كانت تخصص لهم. فقام الحسين بن على، ابن عم النفس الزكية. بثورة قمعها الهادي بعنف وقتل الحسين بن على، كما قتل الحسن بن محمد النفس الزكية. ولاحق الزنادقة الذين كان والده قد خصص جهازًا لمحاربتهم. وتوفى الهادي فجأة وبشكل غامض[٢]، وكان ذلك في ربيع الأول سنة ١٧٠هـ[٣].

هذا ولم تدلنا المصادر التي بين أيدينا على أية علاقة بينه وبين الليث..

وبعد وفاة الهادي بويع لهارون الرشيد بالخلافة، وكان توليه دون كبير معارضة، ومكث فيها ثلاثة وعشرين عامًا تبدأ من سنة ١٧٠هـ إلى سنة ١٩٣هـ.

والحق أن الرشيد كان من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم، كان يحجُ سنة ويغزو سنة طيلة خلافته إلا سنين قليلة، وكان يصلى في كل يوم مائة ركعة، وحج ماشيًا، وكان يتشبه في أفعاله بالمنصور إلا في بذل المال، فإنه لم ير خليفة أسمح منه بالمال، وكان لا يضيع عنده إحسان محسن ولا يؤخر، يحب الشعر والشعراء، ويميل إلى أهل الأدب والفقه، وكان كثير التواضع للعلماء[٤].

---

(١) الدولة العباسية العصر الأول د. السيد حمور ص١٠٥-١٠٦ بتصرف.
(٢) بطرس البستاني ص٥٤٥.
(٣) د. أحمد شلبي ١٤١/٣.
(٤) موسوعة التاريخ الإسلامي جـ٣ ص١٤١-١٤٥.

ولا يزال عصر الرشيد إلى يومنا هذا مضرب المثل في الازدهار والتقدم والرخاء والغنى.. ولم يصرفه قمع الفتن والقضاء على المساوئ والاهتمام بدفع العدوان عن الدولة من خصومها، عن حرصه على أداء واجبه في تنجيز الإصلاحات التي انتظمت في مختلف نواحي الحياة من دينية وسياسية واقتصادية إلى اجتماعية وثقافية وعمرانية [١].

وفي عهده كانت الدولة مهيبة الجانب، فاحترمتها الدول المجاورة وهابتها. وفي الداخل كان الرشيد أقوى من كل الأحداث والفتن التي ثارت هنا وهناك، فكان الاستقرار طابع الخليفة [٢]. يقول السيوطي: «إن أيام الرشيد كانت كلها أيام خير، كأنها في حسنها أعراس»[٣].

وقد ازدهرت الحياة العلمية في عصر الرشيد ازدهارًا كبيرًا فأسس (بيت الحكمة) ذلك المعهد الذي كان منارًا للثقافة والفكر في العالم آنذاك، والذي انبعثت منه الشعلة التي أضاءت الطريق للنهضة الأدبية فيما بعد، وكان بلاطه زاجرًا بنخبة متميزة من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء وأرباب الفنون مثل: (الإمام الشافعي، وأبي يوسف صاحب أبي حنيفة وقاضي القضاة، وعيسي بن أيوب أبي العتاهية، وأبي نواس، وعباس بن الأحنف، ومروان بن أبي حفصة، ومسلم بن الوليد، والأصمعي، والحسين بن الضحاك، وإبراهيم الموصلي، وابنه إسحق، والطبيب جبريل بن بختيشوع [٤] والليث بن سعد الذي اذهب محنة هارون الرشيد حينما قال لزوجته زبيدة: "أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة"وبذلك تكون زوجته طالقا منه إذا لم يكن من أهل الجنة.. فجمع

(١) الدولة العباسية ص ١٤١.
(٢) أحمد شلبي ص ١٤٢.
(٣ الإمام السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١١٢
(٤) راجع ذلك مفصلا: في مقدمة ابن خلدون ص١١٧- ١١٨، مروج الذهب للمسعودي جـ ٢ ص٣٨٠، تاريخ بغداد جـ١ ص ١١٩..

الرشيد فقهاء الأمصار فما استطاع أحد أن يحلها إلا الليث..

فعن أبي علي الحسن بن مليح الطرائفي قال: قال خادم الرشيد:

جري بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة، مناظرة وملاحاة في شيء من الأشياء، فقال هارون لها في عرض كلامه: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة، ثم ندم، واغتما بهذا اليمين، ونزلت بهما مصيبة لوضع ابنة عمه منه، فجمع الفقهاء وسألهم عن هذه اليمين، فلم يجدوا منها مخرجا، ثم كتب إلى عماله في سائر الأمصار أن يحملوا إليه الفقهاء من بلدانهم، فلما اجتمعوا جلس لهم وأدخلوا عليه، وكنت واقفًا بين يديه لأمر إن حدث يأمرني بما شاء فيه، فسألهم عن يمينه، وكنت المعبر عنه، وهل له منها مخلص، فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة، وكان إذ ذاك فيهم الليث بن سعد فيمن أشخص من مصر، وهو جالس في آخر المجلس لم يتكلم بشيء، وهارون يراعي الفقهاء واحدًا واحدًا، فقال له: بقي ذلك الشيخ في آخر المجلس لم يتكلم بشيء، فقلت له، إن أمير المؤمنين يقول لك: لماذا لا تتكلم كما تكلم أصحابك؟!.

فقال: قد سمع أمير المؤمنين قول الفقهاء وفيه مقنع، فقال: قل إن أمير المؤمنين يقول: لو أردنا ذلك سمعنا من فقهائنا ولم نشخصكم من بلدانكم، ولما أحضرت هذا المجلس، فقال: يخلي أمير المؤمنين مجلسه إن أراد أن يسمع كلامي في ذلك، فانصرف من كان بمجلس أمير المؤمنين من الفقهاء والناس.. ثم قال: تكلم، فقال: يدنيني أمير المؤمنين، فقال: ليس بالحضرة إلا هذا الغلام ليس عليك منه عين، فقال: يا أمير المؤمنين، أتكلم على الأمان، وعلى طرح التعمل والهيبة والطاعة لي من أمير المؤمنين في جميع ما آمر به؟ قال: لك، قال: يدعو أمير المؤمنين بمصحف جامع، فأمر به فأحضر، فقال: يأخذه أمير المؤمنين فيتصفحه حتى يصل إلى سورة الرحمن، فأخذه وتصفحه حتى وصل إلى سورة الرحمن، فقال: يقرأ أمير المؤمنين، فقرأ، فلما بلغ قوله تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}. قال: قف يا أمير المؤمنين ههنا، فوقف، فقال: يقول أمير المؤمنين: والله، فاشتد على الرشيد وعلي ذلك، فقال له هارون: ما هذا؟ قال: يا أمير

المؤمنين، على هذا وقع الشرط، فنكس أمير المؤمنين رأسه -وكانت زبيدة في بيت مسبل عليه ستر قريب من المجلس تسمع الخطاب- ثم رفع هارون رأسه فقال: والله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إلى أن بلغ آخر اليمين، ثم قال: إنك يا أمير المؤمنين تخاف مقام الله، قال هارون: إني أخاف مقام الله.

فقال: يا أمير المؤمنين، فهي جنتان وليست بجنة واحدة كما ذكر الله تعالى في كتابه، فسمعت التصفيق والفرح من خلف الستر، وقال هارون: أحسنت والله، بارك الله فيك، ثم أمر بالجوائز والخلع لليث بن سعد، ثم قال هارون: يا شيخ اختر ما شئت، وسل ما شئت تجب عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، وهذا الخادم الواقف على رأسك، فقال: وهذا الخادم، فقال: يا أمير المؤمنين، والضياع التي لك بمصر ولابنة عمك أكون عليها، وتسلم إليّ لأنظر في أمورها، قال: بل نقطعك إقطاعا، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أريد من هذا شيئا، بل تكون في يدي لأمير المؤمنين، فلا يجرى على حيف العمال وأعز بذلك، وأمر أن يكتب له ويسجل بما قال، وخرج من بين يدي أمير المؤمنين بجميع الجوائز والخلع والخادم، وأمرت زبيدة له بضعف ما أمر به الرشيد، فحمل إليه واستأذن في الرجوع إلى مصر، فحُمل مكرمًا، أو كما قال.

ويقول المرحوم الشيخ مصطفي عبد الرازق، معلقا على هذه القصة:

«أفتي الليث بن سعد هارون الرشيد في رد طلاقه مراعيا في ذلك الناحية الروحية من قبل أن يراعي ظواهر الأحكام» [(١)].

وفي ذلك يقول أحمد بن صالح: أعضلت الرشيد مسألة فجمع فقهاء الأرض -فلم يستطع أحد حلها- حتى أشخص الليث فأخرجه منها[(٢)].

وفي خلافة الرشيد كانت وفاة الإمام الليث بن سعد (رضي الله عنه) سنة١٧٥هـ.

(١) عبد الحليم محمود: الليث بن سعد،، ص ٣١-٣٣.

(٢) الإمام الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٨ ص١٥٩، عبد الحليم محمود: الليث بن سعد، ص ٣١-٣٢.

وظلت مدة خلافة الرشيد ثلاثة وعشرين عاما وبضعة أشهر، عدَّها المؤرخون من أزهى سنوات الحكم العباسي، وأقواها عسكريًّا وحضاريًّا، حتى لقب عهده وعهد ابنه المأمون بالعصر الذهبي للدولة العباسية [1].

ومات الرشيد سنة ١٩٣هـ وعمره تسعة وأربعون عامًا.

وهكذا يتبين لنا أن الليث كانت له علاقات حميمة مع بعض الخلفاء والولاة سواء من الأمويين أو العباسيين، وأثمرت هذه العلاقات ثمرات طيبة أسهمت في تنظيم الحياة العامة في مصر آنذاك، وحظي بمكانة علمية سامية عند هؤلاء الخلفاء، فأصبح الرقيب الشرعي على الولاة والقضاء في مصر فلا يقضون بشيء إلا بمشورته.

وإذا فعلوا ما يخالف كتاب الله أو سُنة رسوله (ﷺ) وعظهم، فإذا أصروا كاتب الخلفاء بذلك، فيأتي العزل عندئذٍ للمخالف.. هذا هو الليث الذي أتته الدنيا وهي راغمة، فرفضها، وولي ظهره لها، وجعلها مطية للدار الآخرة دار البقاء والخلود..

(١) السيد حمور، ص١٤٥، أحمد شلبي، ص ١٦٤-١٦٥.

الحياة الاجتماعية والاقتصادية:

وإذا تطرقنا للحياة الاجتماعية فنجد أن المجتمع كان ينقسم وقتذاك إلى أربع طبقات، وهي:

الطبقة الأولى: طبقة ملاك الأراضي الزراعية

الطبقة الثانية: طبقة الفلاحين

الطبقة الثالثة: طبقة الصناع

الطبقة الرابعة: طبقة التجار

وكالعادة في كل المجتمعات كانت طبقة التجار أرقى الطبقات في ذلك الوقت، ومن ثم انعكس ذلك على عاداتهم وتقاليدهم، ثم تليها طبقة الصناع الذين امتهنوا الحرف المختلفة، وأخيرا كانت طبقة الزراع [1].

ولم يخل المجتمع من أهل الكتاب، بل كانوا يعيشون بجانب المسلمين جنبا إلى جنب، ولقد تمتع اليهود والنصارى في ظل الحكم الإسلامي بعيشة آمنة راضية، تمتعوا فيها بكل حقوقهم دون أدنى تمييز بينهم وبين المسلمين..

ويذكر ابن تغري بردي أن موسى بن عيسى والي مصر قد أذن للنصارى في بنياء الكنائس التي كان هدمها على بن سليمان، فبنيت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة، وقالا: «هي من عمارة البلاد، واحتجا بأن الكنائس التي بمصر لم تبن إلا في الإسلام في زمان الصحابة والتابعين»[2].

ولا شك أن عصر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، يعد أزهى عصور بني أمية في المجالات المختلفة، لا سيما الاجتماعية والاقتصادية؛ فقد حرص عمر على رفع المستوى المعيشي للرعية، كما أحسن اختيار عماله ومراقبتهم، فساروا على دربه، وعمل على رفع رواتبهم، حتى أن بعض الروايات تذكر «أنه رفع

(١) المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي، لهويدا عبد العظيم رمضان ٤٠/١ بتصرف.

(٢) النجوم الزاهرة ٨٤/٢.

مرتباتهم حتى وصل مرتب العامل أحيانا إلى ثلاثمائة دينار، ولما سئل عن ذلك أجاب: أردت أن أغنيهم عن الخيانة» [1].

ومن إصلاحات عمر في البريد أنه لم يجعله لحمل الأخبار الرسمية إليه – فقط- من العمال والموظفين، كما كان من قبل، وإنما أصبح لخدمة الناس أيضا، فقد أمر أن يتسلم عامل البريد كل الرسائل التي تعطى إليه لتوصيلها إلى ذويها[2].

كما أصلح كثيرًا من الأرض للزراعة، وحفر الآبار، وعمر الطرق، وأعدَّ الخانات لأبناء السبيل، واهتم اهتماما كبيرًا بالمحتاجين والمرضى، كما أكثر من المساجد، ولكنه لم يكن يتأنق في إعدادها.. ولما طُلب إليه أن يدفع مبلغا كبيرا لذلك، أجاب: "لأن أنفقه على أكباد جائعة أحب إلى من أن أنفقه على الجدران والأثاث.."!!

وقد انتقلت الحالة الاقتصادية في عهد عمر بن عبد العزيز إلى مستوى يدعو للدهشة، فكل المراجع التي بين أيدينا تؤكد أن الفقر والعوز والحاجة قد اختفت في عهده، ولم يعد لها وجود تقريبًا، حتى كان دافع الزكاة لا يجد من يأخذها منه[3].

ولم يكن الحال في الدولة العباسية مختلفًا عنه في الدولة الأموية، فنجد أن المنصور -ثاني الخلفاء العباسيين- قد قام بإصلاحات اجتماعية واقتصادية عديدة أهمها: إصلاح ما عبثت به يد التخريب أثناء الإغارات الأجنبية، وجال بنفسه في أماكن مختلفة من دولته، تفقد فيها الأحوال وأشرف على التعمير والتجديد، فأعاد بناء مدن عديدة، وأعاد تنظيم الحكم في البلاد، واعتنى بالبريد، وكلف القائمين على شؤونه -من جهة- والعيون والجواسيس -من جهة أخرى- بمراقبة حكام الولايات.. وأحصى السكان في سائر أنحاء الدولة، واشتد

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي د. أحمد شلبي ٧٨/٢ بتصرف.
(٢) الدولة الأموية د. محمود محمد زيادة ص ٧٧- ٧٨ بتصرف.
(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي ٧٨/٢ بتصرف.

حرصه على الأموال العامة، حتى شاع عنه الشح والبخل.. ونتيجة لنشاطه وإصلاحاته ارتقت دولته وعظمت هيبتها في النفوس [١].

وعلى نفس النهج سار المهدى الذي اهتم بالفقراء والمسجونين، وكذلك المرضى والمجذومين الذين كانوا من قبل يُتركون فريسة للجوع..!!

ووزع الهبات على أبناء الحجاز، ونظَّم البريد فترابطت أجزاء الدولة الإسلامية بعضها البعض[٢].

وقد بلغت الدولة الإسلامية أوجها في عصر هارون الرشيد، الذي شهد عصره إصلاحات اجتماعية واقتصادية عديدة.. ففي عهده تقرر أن يلتزم بيت المال بالإنفاق على المسجونين، بحيث يصرف لكل منهم ما يكفي لطعامه وشرابه وكسوته في الشتاء وفي الصيف، وكان المهدي قد قدم بعضا من ذلك على أنه عطاء، ولكن الرشيد جعله التزاما [٣].

كما شيَّد الرشيد الكثير من المساجد والمدارس وحفر الترع وأقام الجسور وعبَّد الطرق... مما أدى إلى زيادة الرقعة الزراعية، واهتم بالصحة العامة لرعيته، فأنشأ البيمارستانات والملاجئ[٤].

وفيما يتعلق بمصادر بيت المال فكانت تتكون من الجزية والخراج والغنيمة والفيء والزكاة والعشور..

فالجزية: هي مبلغ معين من المال يوضع على الرؤوس ويسقط بالإسلام، ولا تجب الجزية إلا على الرجال الأحرار العقلاء، ولا تؤخذ جزية من مسكين، ولا ممن لا قدرة له على العمل، ولا من الأعمى أو المقعد أو المجنون أو غيرهم من ذوي العاهات، ولا من المترهبين في الأديرة إلا إذا كانوا من الأغنياء، وقد فرض الله

(١) الدولة العباسية د. السيد أحمد حمور ص ٩٣ بتصرف.
(٢) الدكتور أحمد شلبي ص ١٨٨ بتصرف.
(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي ١٤٦/٣ بتصرف.
(٤) موسوعة التاريخ الإسلامي ١٤١/٣، وما بعدها بتصرف، الدولة العباسية د. السيد حمور ص ١٤١ وما بعدها بتصرف.

هذه الجزية على أهل الذمة على أن يلتزم المسلمون نحوهم، بالكف عنهم وحمايتهم..

والخراج: هو مقدار معين من المال أو الحاصلات يُفرض على الأرض لا على الرؤوس، وكانت القواعد الإسلامية تقضي بأن الأرض التي أسلم عليها أهلها تكون أرضا عشرية ولا يفرض عليها خراج، وكذلك الأرض التي أحياها المسلمون أو أحرزها الفاتحون بطريق القهر والغلبة. أما الأرض التي صولح أهلها عليها فكان يوضع عليها خراج، فإن كان أهلها قد صولحوا على زوال ملكهم عنها ورضوا بذلك فلا يجوز لهم بيعها ويكون خراج الأرض كأنه إيجار لها ولا يسقط بإسلام أهلها. وإن كانوا صولحوا على بقاء ملكهم لها فيجوز لهم بيعها ويسقط خراجها بإسلام أهلها. وكان يقدر الخراج على الأرض وضعفها..

والغنيمة: هي كل مال يظفر به المسلمون من الكفار بطريق القهر والغلبة في ميدان الحرب والقتال.

وأما الفيء: فهو كل مال وصل للمسلمين من الكفار دون حرب وقتال، والقواعد الإسلامية تقضي بأن أربعة أخماس الفيء تذهب إلى بيت المال، والخمس الباقي يقسم كخمس الغنيمة.

وأما العشور: فهي أموال كانت تؤخذ من التجار الكفار إذا أرادوا أن ينقلوا تجارتهم من بلادهم إلى بلاد أخرى، وكان مقدارها العشر من هذه التجارة، ولم تكن تؤخذ إلا مرة واحدة في العام، مهما تكرر خروج هذا التاجر من بلاده، وهذه الضريبة هي ما نسميها في وقتنا الحاضر بالضريبة الجمركية. وهناك موارد أخرى من موارد المال وهي الأموال التي لم يعلم لها مستحق كاللقطة، ومال من يموت وليس له وارث، والأموال التي يصالح عليها المسلمون أعداءهم. وهذه الأموال كلها كانت تتجمع في بيت المال ويترك الأمر في صرفها للخلفاء والولاة حسبما يمليه عليهم دينهم [1].

(١)محمد الطيب النجار: الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ــ ومعاول الفناء، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٧م ص١٥٨ وما بعدها بتصرف.

المبحث الثاني

الحياة العلمية في عصر الليث

تمهيد:

لا يستطيع الباحث وهو يتناول شخصية كشخصية الليث بن سعد (رضي الله عنه) أن يغض الطرف عن الحياة العلمية في هذه الفترة المهمة من تاريخ الإسلام.. فترة سقوط دولة وبزوغ أخرى، وما صاحب ذلك من ظهور تيارات وصراعات كادت أن تفكك وحدة العالم الإسلامي.

وفي الصفحات التالية نطل إطلالة سريعة على الحياة العلمية في العصرين الأموي والعباسي، وسنتكلم كذلك عن الحياة العلمية في البيئة المصرية التي نشأ فيها الليث بن سعد، وأثرها في منهجه الفكري؛ ذلك أن عناية المؤرخين انصرفت أو كادت إلى بيئتين هما البيئة العراقية والبيئة المدنية، وأهملوا أو كادوا البيئة المصرية التي كان لها أثر كبير أيضا في مسيرة التشريع الإسلامي..!!

* * *

المطلب الأول

الحياة العلمية في المجتمع الإسلامي في عصر الليث

في العصر الأموي نجد أن الحياة العلمية كانت نواتها القرآن الكريم والحديث الشريف، وكل مسائل العلم تقريبا تدور حول هذه النواة، منهما يُستنبط، ولأجلهما يُروى الشعر، وبسببهما تبحث مسائل النحو، وعلى الجملة فالحركة العلمية كلها دينية إلا القليل [١].

ونلاحظ أن الأمة الإسلامية في هذا العصر خطت خطوة جديدة في حياتها العقلية، وحركاتها العلمية.. وكان ذلك نتيجة لازمة لكل ما أحاط بها من بيئة طبيعية واجتماعية، فقد ظل الدين أساس كل الحركات العلمية إلى أواخر هذا العصر -كما أشرنا- فأساس التاريخ سيرة النبي (ﷺ) وغزواته وفتوح المسلمين. والفقه مبني على ما ورد من قرآن وحديث. ووعظ الوعاظ، وبحث العلماء دائر حول الدين من تفسير وحديث وفقه وما إلى ذلك، وما أُثر عن ذلك العصر من دراسات دنيوية من طب وصناعة (كيمياء) فقليل [٢]، وأكثر من اشتغل بهما كان من غير المسلمين، وسرعان ما اقتنع العلماء بالإسلام وآمنوا به إيمانًا صادقًا لا مجال للشك فيه، فكان بحثهم في تفسير ما غمض من نصوصه، أو جمع ما تفرق من السنة، أو استنباط أحكام من القرآن والحديث، أو تطبيق

(١) مقدمة ابن خلدون ص٣٦٣ بتصرف.

(٢) يقول الإمام السيوطي في ذلك: إذا نظرنا إلى العرب وجدنا معلوماتهم في الجاهلية مبعثرة، نظرات في الطبيعة ونظرات في الإنسان لا تربطها رابطة، وتجارب يرويها الخلف عن السلف، طب موروث وكهانة مألوفة، وقول في النجوم والأنواء والرياح، سمعه جيل عن جيل، فظل الحال هكذا إلى قبيل الدولة العباسية. راجع: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠١ بتصرف طبع مصر.

ما ورد منهما على الحوادث الجزئية [١].

فليس هناك علم مستقل اسمه التفسير، ولا علم مستقل اسمه الفقه وهكذا، وكذلك العلماء فليس هناك ما يسمى مفسرًا أو محدثًا أو فقيهًا، فالعالم كان يتكلم في مجلس واحد في مسائل متنوعة في فروع متعددة، والثقافة كتلة واحدة ممتزجة من تفسير وحديث وفقه، وما يلزمها من لغة وشعر، كلها تلقى في درس واحد، ليس ذا فروع، ولا لكل فرع اسم، والذين يجمعون الحديث لا يبوبونه، ولا يضعون الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد تحت باب واحد، وبالتالي لم يكن تأليفًا بالمعنى المنظم [٢].

هذا هو الحال بالنسبة للحياة العلمية في المشرق في هذا العصر، أما فيما يتعلق بالأندلس فقد أسهمت عوامل كثيرة في نهضة الثقافة الأندلسية وتحريك عجلتها، وأهم هذه العوامل أن عددًا من الأندلسيين، طالبي المعرفة، رحلوا إلى المشرق، وتنقلوا بين مختلف المجالس الفكرية في بغداد وفي غيرها، وعادوا إلى قرطبة بشتى أنواع الثقافة المشرقية؛ لنشرها في الأندلس، فاهتموا بالدين واللغة والشعر والأدب والفلسفة والغناء... وحملوا معهم ما تركه المشارقة في حقل اللغة مثل: كتب الأصمعي والكسائي والفراء، وكتب الخليل بن أحمد الفراهيدي، كما اهتموا بنقل شعر أبي نواس وأبي تمام والبحتري. ولا شك أن التفات الأندلسيين إلى المشارقة في العصر الأموي، جعلهم يقلدونهم ويسيرون على منوالهم في مختلف ميادين المعرفة..

فضلا عن ذلك فإن أصحاب السلطة عملوا على تشجيع الثقافة وتقريب أصحابها الذين فرّعوا الفقه واللغة والطب والفلك والصيدلة، منهم..

ثم استطاعت الحركة الثقافية في الأندلس في أواخر العصر الأموي، أن تجد لها شخصية مميزة غير مرتبطة ارتباطًا كليًّا بالمشرق. وعرفت الأندلس في هذه

(١) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ١/٢-٩ بتصرف.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء (مرجع سابق)، ص ١٠١.

الحقبة أسماء كبيرة في حقول الفلسفة والفقه واللغة والطب والفلك والشعر والنثر[١].

وفي العصر العباسي ظهرت العلوم الدنيوية وبدأت تفيض فيضًا في المملكة الإسلامية [٢]، وبدأت العلوم تتمايز بعضها عن بعض وتم ذلك في أوائل هذا العصر.

يقول الإمام الذهبي: «في سنة ١٤٣هـ شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنَّف ابن جُريج بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عُروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومَعْمَرة باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنَّف ابن إسحاق المغازي، وصنَّف أبو حنيفة -رحمه الله-الفقه والرأي، وبعد ذلك بقليل صنَّف هُشَيم وابن لهيعة، ثم ابن المبارك، وأبو يوسف، وابن وهب، وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة» [٣].

كما نشطت حركة الترجمة في هذا العصر[٤]، فترجمت الفلسفة اليونانية بجميع فروعها من طب ومنطق وطبيعة وكيمياء ونجوم ورياضة، وتُرجمت الرياضة الهندية والتنجيم الهندي، كما ترجم تاريخ الأمم من فرس ويونان

(١)يوسف فرحات: موسوعة الحضارة العربية (العصر الأندلسي)، طبعة دار كلمات للنشر ب. ت. ص١٠٠٣-١٠٠٦.

(٢) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٨/٢-٩.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء (مرجع سابق) ص ١٠١.

(٤) يرجع ذلك إلى عدة أسباب، أهمها: اختلاط العرب وامتزاجهم بغيرهم من أصحاب الديانات والثقافات الأخرى، ودخول كثير منهم في الإسلام، ونهم المسلمين إلى معرفة علومهم، فضلا عن تشجيع الخلفاء لحركة الترجمة، فكان الخليفة المنصور -على سبيل المثال- يعطى لمترجم الكتاب وزنه ذهبا.. كل هذه الأسباب ساعدت على نشاط حركة الترجمة وازدهارها في هذا العصر.

ورومان وغيرهم، وكذلك الإلهيات اليونانية تعرض، ويعرض بجانبها الديانات الأخرى من يهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها..

وكان أرباب الديانات يتجادلون في أديانهم ويقفون مواقف الهجوم والدفاع -كل هذا سبَّب حالة عقلية جديدة- فأهل الديانات الأخرى إنما يدعون إلى دينهم بالعقل والمنطق، ويُرد عليهم بالعقل والمنطق، فكان طبيعيًّا أن ينتهج المسلمون هذا النهج حينما يدعونهم إلى الإسلام. وقد كانت الدعوة إلى الإسلام في العصر الأول أكثر ما تعتمد على الأسلوب الفطري من لفت النظر إلى الكون وآثاره، ودلالة ذلك على موجدها، يقول ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ [النبأ: ٦-٨] (١).

فجاء أرباب الديانات الأخرى في العصر العباسي يريدون أدلة عقلية مؤسسة على منطق أرسطو، فيها مقدمتان: صغرى وكبرى، مستوفيتان للشروط، وفيها نتيجة كذلك، فتحولت الدعوة الدينية إلى علم الكلام، وتأثر تفسير القرآن، وشرح الحديث، والتشريع بهذا الأثر الفلسفي، واجتهد العلماء في شرح كل ما يعرض لهم من ذلك بعلل عقلية وعبارات منطقية، وإذا كان هذا في العلوم الدينية، فإن الأمر في العلوم الدنيوية أشد وضوحًا، فالطب والرياضة والهندسة وغيرها اعتمدت كل الاعتماد على التجارب وأقوال العلماء وبراهين المنطق. وهذه ظاهرة جديدة في العصر العباسي، وإن كانت نتيجة طبيعية لحياة الناس وسيرهم العقلي (٢).

واهتم الخلفاء العباسيون بالطب والكيمياء والطبيعة وغيرها من العلوم التي تخدم المسلمين، وعملوا على الاستفادة من الأعاجم في هذه المجالات، بهدف تحقيق النهضة العلمية للمجتمع الإسلامي.

---

(١) سورة النبأ، الآيات من ٦-٨.

(٢) أحمد أمين: ضحى الإسلام، الطبعة السابعة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص ٨-٩.

يقول الأستاذ أحمد أمين: «أسَّس النساطرة بمعاونة اليهود مدرسة للطب بجنديسابور، وأيدهم الخلفاء العباسيون، وقد كانت هذه المدرسة الطبية وارثة الطب اليوناني والفلسفة اليونانية في الشرق، وحول هذه الدراسة الطبية تكونت دراسة الطبيعة والكيمياء، بل والمنطق والإلهيات، وكانت الثقافة الطبية تتطلب كل هذه الفروع، وبرنامجها يسع كل هذه الأشياء، كما نلاحظ هذا حتى في فلاسفة المسلمين أمثال: الفارابي وابن سينا، فكلاهما طبيب فيلسوف.

ومن أجل هذا نرى نوعين من الدراسة في هذا العصر: دراسة دينية حول القرآن والحديث، ودراسة دنيوية حول الفلسفة والطب والكيمياء..إلخ، ولكل نوع مميزات خاصة ومنهج في البحث خاص، وإن أثر كل منهما في الآخر وتأثر به» [1].

وفي هذا العصر وُضع تفسير القرآن، وجُمع الحديث ووضعت علومه، ووضع علم النحو وألف فيه سيبويه كتابه الخالد، ووضعت كتب اللغة ورسم خطتها الخليل بن أحمد، كما وضع علم العروض، ودونت أشعار العرب في المعلقات التي دونها حماد الراوية، والمفضليات التي دونها المفضل الضبي، والأصمعيات التي دونها الأصمعي، ووضع الجاحظ أساس الكتب الأدبية، وحذا حذوه ابن قتيبة والمبرد وغيرهما، ودوِّن الفقه على يد الأئمة وتلاميذهم، ودون التاريخَ الواقديُّ وابن إسحاق وأمثالُهم، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى تُرجمت كتب الفلسفة، من منطق ورياضة وطب وكيمياء وغيرهما، وبدأ

(١) وقد عبَّر ابن خلدون عن هذين النوعين تعبيرًا صادقًا إذ قال: «إن العلوم صنفان: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه، والأول هو: العلوم الحكمية الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، والثاني هو: العلوم النقلية، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول». راجع: مقدمة ابن خلدون، ص ٣٦٣ بتصرف، ضحى الإسلام. ص٩ وما بعدها.

العلماء يؤلفون فيها [١].

وما ينبغي الإشارة إليه هنا أنه كانت هناك مشادة بين المحدثين والفقهاء من أصحاب الرأي، والذي أثار هذه الخصومة هم المحدثون، وأعابوا على أصحاب الرأي لأنهم يستنبطون الأحكام بناء على رأي أو قياس، ولأنهم يقلون من رواية الحديث، وكان مظهر هذه الخصومة على أتمها بين الحجازيين والعراقيين في عهد الأئمة: مالك، والليث بن سعد، وأبي حنفية، فأهل الحجاز -غالبا- أهل حديث، وأهل العراق -غالبا- أهل رأي، واستمر ذلك في العصور التالية، حتى نرى المحدثين لا يروون كثيرًا للحنفية [٢].

وثمة خصومة أشد وأعنف بين المحدثين والمتكلمين، وسبب ذلك أن منحى المتكلمين منحى عقلي، ومنحي المحدثين منحى نقلي، وشتان بين المنهجين؛ وكان أشدهم في ذلك المعتزلة.

وقد كانت الغلبة للمتكلمين في عصر المأمون والمعتصم والواثق، وكانت محنة خلق القرآن أكبر مظهر من مظاهر النزاع بين المحدثين والمتكلمين.. فالمحدثون أصروا على القول بأن القرآن غير مخلوق، وكادوا يجمعون على ذلك، وبعكس ذلك يكاد المعتزلة يجمعون على القول بخلق القرآن، وظل المعتزلة منتصرين لأن السلطة بجانبهم، حتى أتى المتوكل فأزال سلطتهم، ومن ذلك الحين عادت إلى المحدثين سطوتهم وعلى رأسهم الحنابلة [٣].

وبعد.. نؤكد أن النهضة العلمية الكبيرة التي حدثت آنذاك ترجع إلى عدة عوامل أهمها:

١- انتقال الخلفاء إلى العراق التي كانت أوفر حضارة من غيرها من بلدان العالم الإسلامي وقتذاك، فكانت تذخر بالكثير من العلوم والثقافات، وكانت

(١) أحمد أمين ١٣/٢ بتصرف.
(٢) المرجع السابق، ص١٣٤.
(٣) المرجع السابق ١٣٤-١٣٧ بتصرف.

تفخر على الشام بعلومها حتى في العهد الأموي..!! [١].

٢- تدوين العلوم وزيادة فروعها، الأمر الذي حدا بالكثير من العلماء أن يؤلف فيها ويهذبها ويشرحها.. وهكذا.

٣- ظهور العمران واستقرار الناس، واستقرار أمور معيشتهم، ومن ثمَّ انصرفت همهم إلى ما وراء المعاش، في العلوم والفنون والصنائع [٢].

٤- وثمة عوامل أخرى مثل: ظهور الإسلام وانتشاره وفتوح البلدان، وظهور جيل من أبناء البلاد المفتوحة، -مثل الفرس والروم وغيرهما-نشأ في بلاد إسلامية وأصبح مسلما وصار يجيد العربية، وجمع إلى ذلك ثقافته بلغة آبائه، فكتب باللغة العربية ما كان يكتبه آباؤه باللغة الفارسية أو اليونانية، ودوّن في العلوم العربية على النحو الذي كانت تدون به العلوم في اللغات الأخرى.

٥- كما أن هناك عوامل شخصية أثرت في العلوم، ولو لم تحدث لأخَّرت سير العلم بعض الزمن، كالذي كان من أبي جعفر المنصور، حين ضعفت معدته ومرضت، الأمر الذي جعله يهتم كثيرا بالطب، ويستدعي الأطباء على اختلاف مللهم ونحلهم، ويصغي إليهم ويشجعهم على البحث في الطب والتأليف فيه، فكان هذا نواة للعلوم العقلية، ومثل ذلك اعتقاده في التنجيم، أي أن هناك ارتباطا بين حركات النجوم وأحداث الأرض، فاهتم بذلك وبنى عليه بعض أعماله، كتخطيط مدينة بغداد، واختياره الوقت الملائم.. وهكذا [٣].

وثمة عوامل أخرى أثرت في تطور العلوم ونهضتها وتنظيرها ولا يتسع المقام هنا لذكرها..

---

(١) انظر: الأغاني للأصفهاني ١٧١/٩ بتصرف.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣٦٢ بتصرف.

(٣) راجع: ضحى الإسلام ١٥/٢ بتصرف.

المطلب الثاني
الحياة العلمية في مصر وأثرها في منهج الليث

إذا كانت البيئة المصرية قد أنتجت كثيرا من العلماء والمفكرين والفلاسفة في العصور السابقة على الإسلام -والذين تركوا آثارًا ظاهرة في مجرى حياة الفكر الإنساني فأمدوه بنظريات في العلم والدين والأخلاق والسلوك وغيرها من مقومات الحياة في تلك العصور والتي عاشت مع التاريخ، يحفل بها، ويحرص عليها حتى هذه الفترة التي نعيش فيها- فإن هذه البيئة قد أخرجت بعد الإسلام كثيرا من أولئك العلماء والمفكرين وأصحاب المذاهب والآراء الذين أضافوا إلى التراث الإسلامي جديدًا، نما على مر الزمان، وتدرجت معه خطوات حياته، وتمايزت به ملامح وجوده.

والدارس لتاريخ الفكر الإسلامي في بيئاته المختلفة يدرك تمامًا ما كان لمصر من أثر في حياة هذا الفكر وتوجيهه، كما يدرك أيضًا أن لهذه البيئة تاريخًا طويلا، يتسم بالتطلع إلى المعرفة والبحث عن أصولها، والتماس الأسباب المؤدية إليها، وتجلية الغامض من جوانبها، فكانت قديمًا مهبط الدارسين وملاذ الباحثين عن المزيد من التجارب العلمية والفلسفية [1].

والحق أن البيئة المصرية ظلَّت بعد الإسلام بيئة ملهمة، لها شخصيتها المستقلة وطابعها المتميز، ولها دورها في تاريخ الحضارة الإنسانية.

يقول صاحب كتاب ضحى الإسلام: «كانت في مصر حركة علمية واسعة النطاق، مركزها جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، وكان نواة هذه الحركة، الصحابة الذين وفدوا إليها أثناء فتح مصر وبعده، واستوطنوها..

ومن أشهر هؤلاء الصحابة: أبو ذر، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص

(١) السيد أحمد خليل: الليث بن سعد فقيه مصر، ص٣٤- ٣٧.

(ﷺ)، وكان هؤلاء الصحابة يحملون الحديث عن رسول الله (ﷺ) وكان منهم مَن يحمل الحديث الواحد، ومنهم مَن يحمل الحديثين، ومنهم مَن يحمل أكثر، وبعض الأحاديث لم تكن تُعرف إلا عنهم..»[1].

وقد تلقى أحاديث هؤلاء الصحابة كثيرٌ من التابعين. وهكذا تكونت مدرسة أول أساتذتها الصحابة، فأخذ عنهم التابعون وأخذ عن التابعين تابعوهم، وقد عُدَّ هؤلاء الصحابة مصريين؛ لنزولهم في مصر واستيطانها؛ ولذلك يلقبهم المحدثون بـ «المصريين»، وقد أخذت أحاديث هؤلاء المصريين من الصحابة والتابعين ووردت في كتب الحديث الستة المشهورة.. ولقد بدأت هذه المدرسة بسيطة بحيث يسمع أحدهم الحديث فيحفظه أو يكتبه، ثم نمت بالتدريج فتخصص قوم للعلم يتدارسونه، يدرسون القرآن ويدرسون الحديث ويستنبطون منهما الأحكام، ونبغ من هذه المدرسة المصرية جماعة كبيرة من العلماء المجتهدين، أولهم وأشهرهم سُلَيْم بن عتر التجيبي[2]، وكان من أشهر علماء المدرسة المصرية آنذاك عبد الرحمن بن جحيرة أبو عبد الله الخولاني[3].

---

(١) ضحى الإسلام ص٨٥ وما بعدها بتصرف.

(٢) كان سُلَيْم بن عتر التجيبي -رحمه الله- من شخصيات مصر البارزة في أيام الإسلام الأولى، وشهد فتح مصر وكان من التابعين، ولاه معاوية القضاء سنة ٤٠هـ فأقام قاضيًا عشرين سنة، وهو أول من سجل بمصر سجلا في المواريث، وكان يقال له: «عالم مصر وقاضيها»، وكان يعظ الناس ويذكرهم، وكان قد استخلف على خراج مصر في عهد عثمان، فكان له فيه كفايتان: كفاية علمية في قصصه وأحكامه، وكفاية إدارية في تنظيم الخراج والقضاء، توفي بمدينة دمياط المصرية سنة ٧٥هـ راجع: حسن المحاضرة ١٢٩/١، النجوم الزاهرة ١٩٤/١.

(٣) ولى عبد الرحمن بن جحيرة القضاء لعبد العزيز بن مروان -الذي ولي مصر عشرين سنة وتوفى وهو وال عليها سنة ٨٦هـ- وجمع إليه القضاء والقصص وبيت المال، وأثرت عنه أحكام كثيرة في مسائل مشكلة، وقد ولى القضاء اثنتي عشرة سنة، وتوفى سنة ٨٣هـ وقد روى له مسلم في صحيحه ووثقه النسائي. راجع: تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ٣١٧، أحمد =

ثم جاء إلى مصر الإمام نافع [١] مولى ابن عمر وحامل علمه، وشيخ مالك، الذي أرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السُّنةَ الشريفة، فأقام فيهم مدة من الزمن [٢].

واستطاع المصريون بحصافة عقولهم أن يستغلوا فرصة وجوده بينهم، لينهلوا من بحر علمه الفياض ويتلقوا عنه حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

والشخصية المصرية ترحب دائما بالتعاون المثمر في سبيل الخير المشترك، ولعل ذلك مرده إلى أن هذه البيئة المصرية نفسها بيئة غنية، وأن هذا الغنى حفظ عليها وحدة الشخصية وتكاملها [٣].

ومن الشخصيات المهمة في تاريخ مصر العلمي: يزيد بن أبي حبيب الأزدي[٤] بالولاء، كان عالم مصر في عصره، قال فيه الليث بن سعد: يزيد عالمنا وسيِّدنا. وهو أحد ثلاثة عهد إليهم عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) بالفتيا في مصر. وقد جمع هذا الرجل ناحيتين كبيرتين من نواحي العلم: إحداهما: الناحية

أمين: ضحى الإسلام، ص ٨٦، ناصر الأنصاري: موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم، نشر دار الشروق سنة ١٩٩٤م. ص ٦١.

(١) الإمام نافع: هو الإمام المفتي الثبت، عالم المدينة أبو عبد الله القرشي ثم العدوى العمري مولى ابن عمر، روى عن ابن عمر وعائشة وأبي هريرة وغيرهم، وروى عنه مالك والليث بن سعد وخلق كثيرون، توفى سنة ١١٧هـ راجع: سير أعلام النبلاء ٩٥/٥، العبر ١٤٧/١، وتذكرة الحفاظ ٩٩/١.

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة ١٣٠/١، وأحمد أمين: ضحى الإسلام، ص ٨٦.

(٣) السيد أحمد خليل: الليث بن سعد فقيه مصر، ص ٣٦.

(٤) يزيد بن أبي حبيب واسمه: سويد الأزدي أبو رجاء المصري، قال أبو زرعة: بصري ثقة، وقال العجلي: مصري تابعي ثقة، مات سنة ١٢٨هـ راجع: الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب طبعة دائرة المعارف النظامية بالهند سنة ١٣٢٦هـ ٤٥٩/٨- ٤٦٠، أعلام الحديث ص ١٤٨، أبو عبد الله بن أحمد الهادي الدمشقي الصالحى: طبقات علماء الحديث، الطبعة الثانية ١٩٩٦م ط مؤسسة الرسالة. ٣٣١/١-٣٣٢.

التاريخية، فروى عنه الكثير في فتوح مصر وفتنها وحروبها، والثانية: الناحية الفقهية، فكان واسع العلم في الحلال والحرام، حتى قيل فيه: إنه أول من أظهر العلم والمسائل في الحلال والحرام بمصر، وقبل ذلك كانوا يتحدثون في الترغيب والملاحم والفتن[1].

وكان له الفضل في تكوين رجلين عظيمين في تاريخ مصر العلمي: أولهما: عبد الله بن لهيعة، والآخر: الليث بن سعد، وهما من أعلام المدرسة المصرية في العصر العباسي.

الأول منهما: ابن لهيعة[2] كان كثير الأحاديث، كثير الأخبار، كثير الرواية، وقد ولى قضاء مصر نحو عشر سنين لأبي جعفر المنصور من سنة ١٥٥ لسنة ١٦٤هـ، وقد روى عنه الكثير من أخبار مصر وفتحها وأحداثها ورجالها، وكان يُكنى أبا خريطة، وذاك أنه كانت له خريطة معلقة في عنقه، وكان يدور بمصر، فكلما قدم قوم كان يدور عليهم، فإذا رأى شيخا سأله: من لقيت؟ وعمن كتبت؟[3].

وأما الآخر: فكان الليث بن سعد، -والذي أفردنا له هذه الدراسة-، والذي تعلم على يد أعظم شيوخ مصر وكان أشهرهم يزيد بن أبي حبيب -كما سبق- ثم رحل إلى الحجاز وسمع من شيوخها أمثال عطاء بن أبي رباح، ونافع مولى ابن عمر، وهشام بن عروة، ثم رحل إلى العراق فسمع من علمائه كما سيأتي مفصلا فيما بعد..

وكان -رحمه الله- غنيًّا سريًّا سخيًّا جوادًا، كثير الصلات للعلماء وذوي الحاجات، كما سيتضح في الفصل التالي..

---

(١) أحمد أمين (مرجع سابق).

(٢) ابن لهيعة عربي حضرمي (من حضرموت باليمن)، كان من الكتابين للحديث والجماعين للعلم والرحالين فيه، ولكن لم يثق به بعض المحدثين، توفى سنة ١٧٤هـ راجع ترجمته في النجوم الزاهرة ٧٧/١.

(٣) النجوم الزاهرة (مرجع سابق) ٧٧/١.

وناحيته العلمية كناحيته المالية غزيرة فياضة، قال يحيى بن بكير: «ما رأيت فيمن رأيت مثل الليث، وما رأيت أكمل منه، كان فقيه البلد، عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو، والحديث والشعر والمذاكرة، إلى أن عدَّ خمس عشرة خصلة» والمحدثون يثقون بحديثه كل الثقة، روت عنه كل الكتب الستة الصحيحة وقال فيه أحمد بن حنبل: «ما في هؤلاء المصريين أثبت من الليث.. ما أصح حديثه!!» (١).

ومكانته الفقهية سامية، فهو يقرن بمالك، بل يقول الشافعي: «الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به». وفي رواية «ضيعه قومه»، وفي أخرى «ضيعه أصحابه».

يقول صاحب كتاب ضحى الإسلام:

في الواقع لو تعصب المصريون لمن نبغ منهم لاحتفظوا بمذهبه، ولكانوا أتباعه، ولكن «زامر الحي لا يطرب» وكان مما أعان على ذلك أنه لم يدون مذهبه في كتب، ولم يرزق بأصحاب -كما كان أبو يوسف ومحمد لأبي حنيفة، والبُويطي والمُزني والربيع للشافعي- فضاع مذهبه، وقد بقى لنا من آثاره رسالة صغيرة بعث بها إلى مالك يناقشه فيها في رأيه في العمل بإجماع أهل المدينة، ويناقشه في بعض آرائه مناقشة بديعة قوية هادئة (٢).

وكانت له المنزلة الكبرى بحيث يستشيرونه في أهم الأمور.

يقول صاحب كتاب النجوم الزاهرة: «كان الليث كبير الديار المصرية ورئيسها، وأمير من بها في عصره، بحيث إن القاضي والنائب من تحت إمرته ومشورته، وكان الشافعي يتأسف على فوات لقيه».

ولما حضرت الوفاةُ أميرَ مصر الوليد بن رفاعة قال في وصيته: «أسندت

(١) الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ص٦.

(٢) أوردنا الرسالتين كاملتين في الفصل الثالث من هذا الكتاب تحت عنوان: (مختارات من آثار الليث).

وصيتي لعبد الرحمن بن خالد بن مسافر وإلى الليث بن سعد، وليس لعبد الرحمن أن يفتات على الليث فإن له نصحًا ورأيًا».

ويؤثر عن الليث أنه لقي هارون الرشيد في العراق فسأله الرشيد «ما صلاح بلادكم؟ قال: يا أمير المؤمنين، صلاح بلادنا إجراء النيل، وصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتي الكدر، فإذا صفا رأس العين صفت العين».

وقال أشهب بن عبد العزيز: «كان لليث أربعة مجالس كل يوم: مجلس لحوائج السلطان (يريد ما يستشيره فيه الأمير من أمور الدولة)، ومجلس لأصحاب الحديث، ومجلس لأصحاب المسائل (يريد الفتوى في الحلال والحرام)، ومجلس لحوائج الناس». وله فضل كبير على تاريخ مصر، فتروى عنه الأخبار الكثيرة في فتح مصر ورجالها وشؤونها.

وعلى الجملة فإنه كان رجل مصر في علمه ونبله وفضله [١].

ولما تكوَّن مذهب أبي حنيفة ومالك، وانحاز كل فريق إلى مذهب، انقسم العلماء في مصر، وتولى القضاء بها إسماعيل بن إليسع الكندي سنة ١٦٤هـ وكان أول قاض بمصر قضى بمذهب أبي حنيفة، فلم يرض عنه أهل مصر ومنهم الليث، لا سيما أنه كان يرى رأي أبي حنيفة في بطلان الوقف، وكان الليث يرى صحة الأوقاف، فكتب الليث إلى المهدي فعزله [٢].

واعتنق بعض العلماء في مصر مذهب أبي حنيفة، ثم ظهر عبد الله بن وهب، وكان قد رحل إلى مالك في المدينة وصحبه حتى مات مالك، وعاد إلى مصر فنشر فقه مالك، وتبعه كثيرون على هذا المذهب، مثل عبد الرحمن بن القاسم، وأشهب بن عبد العزيز، وقد انتهت إليهما رياسة الفقه على مذهب مالك في مصر، حتى جاء الشافعي وأقام في مصر نحو خمس سنوات يحرر مذهبه ويمليه على تلاميذه المصريين، كالبويطي والمزني والربيع المرادي، وكوَّن له حلقة علمية

(١) أحمد أمين: ٨٧-٩٠.

(٢) انظر: الكندي ص ٢٧١، أحمد أمين ص٩١.

نشيطة كان من نتاجها كتاب الأم، ومختصر المزني، ومختصر البويطي.. ومال إليه كثيرٌ من المصريين؛ لعربيته وقرشيته وفصاحته وقوة حجته، ونشر هو وتلاميذه مذهبه.

ولكن ظلَّ في مصر فقهاء حنفية ومالكية بجانب الشافعية.

وعلى الجملة كانت في مصر حركة دينية كبيرة، تدرس القرآن والحديث والفقه والقراءات وغيرها من العلوم، وتعنى بالقصص وما يتضمن من ترغيب وترهيب، وكان مركزها مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط.

ونجد أن بعض المصريين ممن دخلوا في الإسلام تأثروا بهذه الحركة تأثرًا كبيرًا، فنرى عثمان بن سعيد المصري المعروف بورش [1] من أصل قبطي، وهو مولى آل الزبير بن العوام، اشتهر بإحدى القراءات المنسوبة إليه، وانتهت إليه رياسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، وكان ماهرًا في العربية، مات بمصر سنة ١٩٧هـ.

وجاء من بعده ذو النون المصري الأخميمي النوبي الأصل، وهو أحد رؤوس الصوفية ومؤسسها في الديار المصرية، توفي سنة ٢٤٥هـ وقد قارب التسعين.

ولا يفوتنا أن نذكر أن هذه الحركة الدينية كانت تشتمل -فيما تشتمل عليه- على كثير من تاريخ مصر وأخبارها؛ لأن تاريخ مصر كغيره من التاريخ الإسلامي، بدأ في شكل حديث، كما أن الذي بدأ به هم المحدثون مثل يزيد بن أبي حبيب، وابن لهيعة، والليث بن سعد، وغيرهم من المحدثين المصريين.. وأفرد الكثير من العلماء الأخبار المتعلقة بمصر بالتأليف، كما فعل عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم في كتابه «فتوح مصر»، ومحمد بن الربيع الجيزي «في ذكر من دخل مصر من الصحابة»، واقتفى غيرهما أثرهما.

وكان من أعلام مصر في التاريخ والنحو والأنساب أبو محمد عبد الملك بن

(١) انظر: حسن المحاضرة ٢٢٤/١.

هشام [1]، صاحب السيرة المنسوبة إليه.

وقد تأثر كتابه «السيرة» بمصر، فتراه يروي أحيانا عن علمائها فيقول: حدثنا عبد الله بن وهب عن عبد الله بن لهيعة عن عمر مولى غفرة، أن رسول الله (ﷺ) قال: «الله الله في أهل الذمة، أهل المدرة السوداء السُحْم الجعاد، فإن لهم نسبًا وصهرًا». قال عمر مولى غفرة: نسبهم أن أم إسماعيل منهم، وصهرهم أن رسول الله (ﷺ) تسرر فيهم. قال ابن لهيعة: أم إسماعيل منهم، السيدة هاجر «أم العرب» وهى قرية كانت أمام الفرما من مصر، وأم إبراهيم مارية سرية النبي (ﷺ) التي أهداها له المقوقس من حفن من كوره أنصبا [2].

وفي الواقع كانت هذه الحركة العلمية الدينية المصرية في هذا الوقت تكاد تكون منحصرة في الفسطاط والإسكندرية وحدهما -تقريبا- إلى عهد المأمون[3].

وكان بجانب هذه الحركة الدينية حركة أخرى أدبية عربية عمادها هؤلاء العرب الذين جاؤوا مصر عند الفتح وبعده، وأُثِرَتْ عنهم أقوال بليغة، منها كلمات عمرو بن العاص وكتبه وخطبه، وخطب عتبة بن أبي سفيان وغيرهما.

ويروى أنه إذا جاء الربيع تفرق العرب في البلدان، فيذهب آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد إلى منوف وأوسيم، وكانت هذيل تذهب إلى ببا

(١) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أصله من البصرة، ولد ونشأ فيها، ثم رحل إلى مصر، ولقي الإمام الشافعي، روى سيرة ابن إسحاق عن محمد بن زياد، وتناولها بالاختصار أحيانا وبالتصويب، والتوضيح والزيادة أحيانا أخرى، محافظا على نص ابن إسحاق، وكان ما يضيفه ينسبه لنفسه، فكان هذا المسلك جديرا بأن تنسب إليه السيرة وتعرف بسيرة ابن هشام، وتوفى بالفسطاط سنة ٢١٣، وقيل: ٢١٨هـ راجع: مختصر سيرة ابن هشام طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية. الطبعة الثانية سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م- ١/٧-٨.

(٢) مختصر سيرة ابن هشام، ص ٣/١.

(٣) ضحى الإسلام (مرجع سابق) ٩٣-٩٤.

وبوصير، وتذهب عدوان إلى بوصير وكانت «فهم» تذهب إلى إتريب وعين شمس ومنوف.. إلخ [١].

وكان هؤلاء ينشرون لغتهم حيث أقاموا مدة ربيعهم، أضف إلى ذلك أن الثقافة الدينية كانت تحمل في ثناياها ثقافة لغوية وأدبية، فالقرآن والحديث يحملان إلى ناحيتهما الدينية ناحية أخرى لغوية بلاغية، كما أن وجود مصر تحت حكم العرب جعل كثيرا من مشاهير الشعراء يفدون على مصر، خصوصا في عهد عبد العزيز بن مروان، فقد وفد عليه جميل بثينة الشاعر المشهور ومات بمصر، وكذلك كثير عزة، ونُصيب، وعبد الله بن قيس الرقيات، وأيمن بن خُريم.. وجاء مصر في العهد العباسي أبو نواس، حيث وفد على ابن الخصيب، ثم أبو تمام وقد كان بمصر يسقي الماء في جامع عمرو، ويجالس الأدباء ويأخذ عنهم حتى قال الشعر فأجاد.

وقد كان لهؤلاء وأمثالهم أثر في وجود الشعر في مصر، ولكنا لا نجد شاعرًا مصريا ممتازًا، وما روى لنا من الشعر المصري في العهد الأموي والعصر العباسي الأول أبيات قصيرة في هجو الولاة أو القضاة أو نحوهم، وأغلب قائليها من قبائل عربية استوطنت مصر -وقد اشتهر منهم في العصر العباسي- سعيد بن عفير، وهو عربي الأصل له شعر قوي عليه مسحة عربية خالصة، وروى الكندي في كتابه (الولاة والقضاة) بعض شعره، ومنهم المعلى الطائي كان في مصر مدة هارون الرشيد[٢].

إلى جانب هذا كله كانت هناك ناحية علمية متمثلة في امتداد مدرسة الإسكندرية قبل الفتح، وهي حركة لاهوتية طبية فلسفية معًا، كانت تعنى باللغة السريانية، ويجيدها العلماء قراءة وكتابة كإخوانهم في الشام والعراق.

وقد بقيت هذه الحركة مدة العهد الأموي، واستمرت إلى العهد العباسي،

(١) انظر: المقريزي ٢٦٠/٢.

(٢) انظر: ضحى الإسلام ص٩٤ وما بعدها بتصرف.

ويحدثنا ابن أبي أصيبعة عن «بليطيان» أنه كان طبيبًا مشهورًا بالديار المصرية عالما بشريعة النصارى الملكية، وكان بطريرك الإسكندرية، عاش في مصر أيام المنصور والرشيد، وقد دعاه الرشيد إلى بغداد لمعالجة جارية له مصرية فشفيت، وقد وهب الرشيد له مالا كثيرًا، وكتب له منشورًا برد الكنائس -التي أخذها اليعقوبية- إليه، ومات سنة ١٨٦هـ [١].

وإذا كانت الحركة الإسلامية مقتصرة في الأعم الأغلب على الفسطاط والإسكندرية -كما أسلفنا- فإن ثقافة الشعب في القرى والبلدان كانت على النمط القبطي قبل الفتح، حتى انتشر الإسلام وانتشر المسلمون في البلاد وتغلغلوا فيها عقب سنة ٢١٦هـ وحملوا معهم ثقافتهم الدينية واللسانية ونشروها في أنحاء القطر[٢].

ولا شك أن ما حفلت به مصر من حركات ثقافية وفكرية وأدبية.. وما حفلت به من علماء أجلاء وأدباء.. على مدار تاريخها المديد، لا سيما في هذا العصر الذي عاش فيه الليث كان له أثر طيب في تكوين منهج الليث وإفراز شخصية سخية ذكية، تمثل الجذور لمدرسة حديثية وفقهية ناضجة، ستظل منهلا للعلماء والباحثين، وقدوة للأتقياء والأسخياء ما أشرقت الشمس على الدنيا.

(١) ضحى الإسلام ص٩٥ وما بعدها بتصرف.
(٢) نفسه ص٩٥.

المطلب الثالث

مناهج البحث العلمي في هذا العصر

يعدُّ العصر الذي نشأ فيه الليث بن سعد، العصر الذهبي لتدوين العلوم؛ ففي أواخر الدولة الأموية إلى صدر الدولة العباسية كانت أغلب العلوم قد دونت ونظمت، سواء أكان ذلك في ذلك العلوم النقلية من علوم القرآن والحديث وعلومه والفقه وأصوله، وعلوم اللغة والأدب على اختلافها، أم العلوم العقلية من علوم الرياضة والمنطق والفلسفة وعلم الكلام..

وكان نشاط المسلمين في ذلك يسترعي الأنظار ويستخرج العجب، فقد نظم العلماء أنفسهم فرقًا كفرق الجيش، كل فرقة تغزو الجهل أو الفوضى في ناحيتها حتى تخضعها لنظامها، ففرقة للغة، وفرقة للحديث، وفرقة للنحو، وفرقة لعلم الكلام، وفرقة للرياضيات، وهكذا، وهم يتسابقون في الغزو والانتصار وتدوين العلم وتنظيمه تسابقت قبائل العرب في الفتوح والغزوات، كل قبيلة تود أن تكون السابقة في الميدان، ووجد في ساحة الميدان العلمي قواد بارزون يتنافسون في الابتكار، فإذا فاز أبو حنيفة بوضع الفقه، ثارت حماسة الخليل بن أحمد الفراهيدي فيضع العروض ويرسم المنهج لمعجم اللغة.. [1].

وكان لكل علم من هذه العلوم -سواء العلوم النقلية أو العقلية- منهج خاص في التأليف والبحث والدراسة..

فمنهج العلوم النقلية كان يعتمد على الرواية وصحة السند، ونجد أن المشتغلين بالحديث (المحدثين) كانوا مشغولين بجمع الأحاديث واختبار أسانيدها؛ لمعرفة جيدها من رديئها، فضلا عن دراسة الرواة؛ لمعرفة أحوالهم..إلخ.

أما المفسرون، فكانوا يعتمدون على نقل ما روى عن الصحابة والتابعين من

(١) ابن خلكان ٢٤٥/١.

تفسير الآيات، ومثل ذلك يقال في علوم اللغة والأدب، فاللغوي يروي ما سمع من العرب، أو يروي ما سمع من أعرابي أو عالم، وكثيرًا ما يذكر السند مثل ما نراه في كتاب الأغاني للأصفهاني.. هذا بالنسبة للعلوم النقلية.

أما العلوم العقلية، كالرياضة والطبيعة والطب والفلك فيذكر الأستاذ أحمد أمين أنها كانت تعتمد على معقولية الحقائق وامتحانها، إما عن طريق المنطق، أو عن طريق تجربة الحقائق وامتحانها عمليًّا، فإذا ذكرت حقيقة فقلما يعنون بقائلها، ولكنهم يعنون بوضعها تحت قواعد المنطق، وهل من قوانينه ما يؤيدها أو ما ينقضها؟ وكذلك قد يمتحنونها عمليًّا ليرقبوا نتيجتها، فيحكموا عليها بالخطأ أو الصواب.. (١).

وثمة علوم أخرى أخذت بالمنهجين كالفقه، فكثير من الفقهاء لم يعتمدوا على المنهج الأول من الاستدلال بآية أو حديث فقط، بل استعملوا الدليل المنطقي في تأييد مذهبهم والرد على خصومهم.. وهكذا.

وكان لكل منهج أثر كبير في أصحابه من حيث الأخلاق العلمية والصفات العقلية، فالأولون قصروا اتجاههم على التحقيق من صحة النقل، ولم يحكموا كثيرًا مقياس العقل، وكرهوا أن يصغوا إلى نقد الناقد يحكم المنطق في عملهم، والآخرون أطلقوا لعقلهم العنان، ولم يقتصروا في ذلك على دائرة أبحاثهم، بل حاولوا أن يطبقوه على علم الكلام والفقه والنحو بل واللغة، فكان التنافس المحمود بين الطائفتين (٢).

على أية حال نقول: إن هذا التنافس لم يعطل سير الحركة العلمية ولا تطورها، بل ظلَّ المسلمون طوال حياتهم العلمية يستفيدون من هذه الثروة التي وضعت في هذا العصر.

* * *

(١) ضحى الإسلام ١٦/٢.
(٢) المرجع السابق، ١٨/٢.

المطلب الرابع
تدوين الحديث في عصر الليث بن سعد

جاء الليث وقد حصل الإجماع على جواز كتابة السنة وتدوينها، بعدما انقضى عصر الصحابة وزالت الأسباب التي منعتهم من التدوين؛ فقد أمن اختلاط القرآن بغيره بعد جمعه في عهد كل من أبي بكر وعثمان، واستقر اهتمام المسلمين بكتابهم حفظًا ومدارسة وفهمًا، وأذن عثمان للصحابة في مغادرة المدينة إلى الأمصار المفتوحة، فاستوطنوها قراء ومحدثين ومعلمين ومفتين.. وقد جدَّت للناس حاجات احتاجوا إلى معرفة أحكامها، وليس هناك مصدر أوسع من السنة في بيان الأحكام، وبتوالي الزمن انخفضت الأمية، وقلَّ الاعتماد على الذاكرة والحفظ، وقد قلت أسباب الاضطرابات والفتن وأمن شر الأعداء، وتيسر الوقت الذي يكفى لكتابة السنة، بالنسبة لما قبل ذلك، بل إن اتساع الرقعة الإسلامية ووجود الصحابة الحافظين للسنة في البلاد المختلفة شرقًا وغربًا، واختلاط العلماء بغيرهم من أهل هذه البلاد، وما واجههم من حوادث وعادات ومعاملات مختلفة تحتاج إلى معرفة أحكامها، وإقبال الناس عليهم لينهلوا من علمهم، ويحفظوا مما حفظوه من السنة، سارع العلماء حينئذ إلى إخراج ما عندهم من ثروة في الحديث، للفتوى، ووضع أسس الاستنباط، وفي سنة الرسول (ﷺ) سعة وغناء، كل ذلك دعاهم إلى الاتجاه لتدوين السنة، والاشتغال بعلومها [1]. وكان الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) قد رأى جمع السنة وتدوينها، خشية أن يضيع منها شيء، أو يلتبس الحق بالباطل، وكان ذلك على رأس المائة الأولى، فكتب إلى بعض العلماء البارزين في الأمصار

(١) محمد رشيد نافع (مرجع سابق) ص١٩.

الإسلامية وأمرهم بجمع الأحاديث [١].

جاء في الموطأ أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم [٢] أن انظر ما كان من حديث رسول الله (ﷺ) فاكتبه، فإني خفت دروس العلم، وذهاب العلماء، وأوصاه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية، والقاسم بن محمد بن أبي بكر.

وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أهل الآفاق: «انظروا إلى حديث رسول الله (ﷺ) فاجمعوه»[٣].

وكان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز قد كتب من قبل إلى محمد بن شهاب الزهري، أن يكتب بعض أحاديث رسول الله (ﷺ) ففعل بعد تردد، وكان ذلك أول دعوة رسمية إلى تدوين السنة [٤].

ولما كثر الوضع في الحديث، بدأ العلماء يُعنون بنقد الرجال، فوضعت أصول نقد السند، وكان هذا العلم إبداع علمي وعقلي جديد يضاف إلى الرصيد العقلي والحضاري للمسلمين الأوائل، كما وضعت أصول نقد المتن واستخلاص

---

(١)محمد بن محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٨٩م، ص ٢١-٢٢.

(٢) نُسب إلى جد أبيه، ولجده عمرو صحبة ولأبيه محمد رؤية، وهو فقيه تابعي استعمله عمر بن عبد العزيز على إمارة المدينة وولاه قضاءها، توفي سنة١٢٠هـ.

(٣) ضحى الإسلام أحمد أمين ١٠٦/٢.

(٤) ومن قبل سأله هشام بن عبد الملك أن يملي على بعض ولده شيئًا من الحديث، فدعا بكاتب، وأملى عليه أربعمائة حديث، فخرج الزهري من عند هشام فقال: أين أنتم يا أصحاب الحديث؟ فحدثهم بتلك الأربعمائة. ثم لقي هشامًا بعد شهر ونحوه، فقال هشام للزهري: إن ذلك الكتاب قد ضاع. فقال: لا عليك فدعا بكاتب فأملاها عليه. ثم قابل هشام إملاءه بالكتاب الأول فما غادر حرفًا واحدًا. ثم جاء بعد ذلك أبو جعفر المنصور فطلب إلى مالك أن يكتب للناس كتابًا في الحديث، فجمع كتاب الموطأ وأراد أبو جعفر أن يجمع عليه الناس فرفض مالك، إدراكًا منه باتساع أبواب العلم وتعدد طرقه. راجع ضحى الإسلام.

السنن من الأحاديث التي صحت [1]، وكان ذلك في العصر العباسي الذي بدأ فيه التأليف في الحديث.

كما بدأ التدوين في العلوم الأخرى، ووجدت النزعة إلى تدوين الحديث في أمصار مختلفة وفي عصور متقاربة، ففي مكة جمع الحديث ابن جريج (الرومي الأصل) المتوفى نحو سنة ١٥٠هـ ولم يوثقه البخاري وقال: «إنه لا يُتابع في حديثه»، وفي المدينة محمد بن إسحق ١٥١هـ مالك بن أنس ١٧٩هـ وبالبصرة الربيع بن صبيح ١٦٠هـ وسعيد بن أبي عروبة ١٥٦هـ وحماد بن سلمه ١٧٦ هـ وبالكوفة سفيان الثوري ١٦١هـ وبالشام الأوزاعي ١٥٦هـ وباليمن معمر١٥٣ هـ وبخراسان ابن المبارك ١٨١ هـ وبمصر الليث بن سعد ١٧٥هـ.

ومما سبق يتضح أن الجمع بدأ في أوائل النصف الثاني من القرن الثاني – غالبًا- وأن الفكرة انتشرت في الأمصار المختلفة، ومن الصعب تحديد أي إقليم كان له السبق، إلا إذا اعتبرنا أن ابن جريج في مكة كان أسبق هؤلاء العلماء موتًا، فقد مات سنة ١٥٠هـ فيكون أسبقهم تأليفًا، وربما قُلد في ذلك، وعمَّت الفكرة الأمصار عن طريق الحج، فالعلماء الذين رحلوا إلى مكة أخذوا فكرة جمع الحديث منها أثناء حجهم ونشروها في بلادهم، وجمعوا ما في أقاليمهم من الأحاديث، كما فعل ابن جريج في جمع أحاديث إقليمه [2].

والحق أن ثقات المحدثين بذلوا من الجهد في التمحيص ما لا يوصف، ونحوا في ذلك مناحي مختلفة، فاجتهدوا في وضع رواة الحديث من التابعين ومن بعدهم في موازين دقيقة، وشرحوا كل راو وعرفوا تاريخه وسيرته، ووضعوا في ذلك قواعد محكمة «للجرح والتعديل».

وقد اشتهر في هذا المجال يحيى بن سعيد القطان المتوفى سنة ١٨٩هـ وعبد

(١)هويدا عبد العظيم رمضان: المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،سنة١٩٩٤م. ١٣٦/٢.

(٢) ضحى الإسلام ص ١٠٧ بتصرف.

الرحمن بن مهدى المتوفى سنة ١٩٨ هـ وقد وثق الناس بهما، وقبلوا حكمهما غالبًا، فمن عدلاه عُدِّل، ومن جرحاه جُرِّح، وجاء بعدهما يحيى بن معين توفى سنة ٢٣٠هـ وأحمد بن حنبل توفى سنة ٢٤١هـ ومحمد بن سعد في طبقاته توفى ستنة ٢٣٠هـ فأكثروا كذلك من نقد الرجال وبيان صحيحهم وعليلهم، وسار من جاء بعدهم على آثارهم، كما ألَّف البخاري في هذا الباب ثلاثة كتب، سُمي كلٌّ منهما «تاريخ البخاري»: كبير، وهو مرتب على حروف المعجم، غير أنه صدره بمن اسمه محمد، ثم عاد إلى ترتيب حروف الهجاء، وأوسط وقد رتبه على السنين، وصغير...

ومن المؤلفين من أفردوا للثقات كتبًا خاصة، وللضعفاء كتبًا، وللمدلسين كتبًا، كما وضعوا في هذا العصر أيضًا قواعد للحديث: أي الأحاديث أعلى رتبة؟ وأيها أدنى رتبة؟ وأيها في الوسط؟ وميزوا أنواعها، ووضعوا لكل نوع اسمًا، وسمي ذلك «مصطلح الحديث»، كما عنوا بالحديث من حيث تفسير غريبه، وألفوا في ذلك «غريب الحديث» واتجه قوم إلى بحث الأحاديث المتعارضة والتوفيق بينهما وسموا ذلك «مختلف الحديث».. وهكذا [1].

وبعد هذا العرض نخلص إلى هذه النتيجة: وهى أن السنة لم يطل العصر بعدم تدوينها، وأن التدوين بدأ بصفة خاصة في عصر النبي (ﷺ) وأنه قوى واشتد عوده في عصر الصحابة وأوائل عصر التابعين، وأنه أخذ صفة العموم في أواخر عصر التابعين، ولم يزل يقوى ويشتد حتى بلغ عنفوانه واستوى على سُوقه في القرن الثالث الهجري خاتمة القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية،

(١) والحق أن المحدثين عنوا عناية كبرى بالنقد الخارجي، ولم يعنوا هذه العناية بالنقد الداخلي، فقد بلغوا الغاية في نقد الحديث من ناحية رواته جرحًا وتعديلاً، حيث نقدوا رواة الحديث من حيث إنهم ثقات أو غير ثقات، وبينوا مقدار درجتهم في الثقة، وبحثوا: هل تلاقى الراوي والمروى عنه أو لم يتلاقيا؟ وقسموا الحديث باعتبار ذلك ونحوه إلى حديث صحيح وحسن وضعيف، وإلى مرسل ومنقطع، وإلى شاذ وغريب وغير ذلك. راجع: ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين ص ١٢٩-١٣٠.

خيرية الإيمان والعلم والعمل، والهدى والفلاح والاستقامة على الجادة [1].

وقد أدى تدوين السنة إلى حفظها وتنقيتها من الدخيل، ورد كيد أعداء الإسلام عليهم في محاولتهم الكذب على الرسول (ﷺ)، وقد سهل هذا التدوين، الاجتهاد والاستنباط أمام الفقهاء، ومهد الطريق لمن جاء بعدهم، واتسع مجال الفقه، فنما وازدادت مسائله، حتى شمل جميع مجالات الحياة عند الأفراد في البلاد المختلفة، بشمول سنته (ﷺ) لكل ما عرض عليه[2].

وقد فتح هذا التدوين العظيم للسنة النبوية الشريفة، الباب على مصراعيه للعلماء العاملين أمثال الليث بن سعد لكي ينهلوا من السنة النبوية، ليفسروا بها القرآن الكريم، ويخصصوا بها عامَّه، ويقيدوا مطلقه، ويوضحوا مشكله، ويبسطوا مختصره، ويعلموها لتلاميذهم الذين أقبلوا عليها أيما إقبال، واعتنوا بها أفضل عناية، وقاموا بها خير قيام.

* * *

(١) محمد أبو شهبة: دفاع عن السنة، ص ٢٣، محروس حسين عبد الجواد: الواضح في مصطلح الحديث، ص ١٧.

(٢) محمد رشيد نافع ص١٩ وما بعدها.

الفصل الثاني
معالم شخصية الإمام المجدد
الليث بن سعد

الفصل الثاني

معالم شخصية الإمام المجدد الليث بن سعد

المبحث الأول

نسبه.. ومولده

نسبه:

هو شيخ الإسلام.. الإمام المجدد الحافظ.. عالم الديار المصرية أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، مولى خالد بن ثابت بن ظاعن. اختلف في أصله، فقيل: من خراسان، وقيل: من أصبهان، وقيل: غير ذلك، وأهل

بيته يقولون: نحن من أصبهان [1]، وقال ابن خلكان [2]: أصله من قلقشندة [3].

(١) راجع: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، ط مؤسسة الرسالة ١٣٦/٨- ١٣٧، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق د. إحسان عباس، ط. دار الثقافة بيروت المجلد الرابع ص ٥٤٩، محمد بن سعد: الطبقات الكبرى الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت ٣٥٨/٧، الإمام مسلم بن الحجاج: الكنى والأسماء، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري ط. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ٢٣٥/١، خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الثالثة، ب. ت ١١٥/٦، الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: حلية الأولياء طبقات الأصفياء المجلد السابع ص ٣١٨، وما بعدها، الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، ط دار الكتاب العربي الطبعة الثانية ١٩٩٣م ٣٠٢/٦، عبد الحليم محمود: الليث بن سعد إمام أهل مصر ط دار المعارف بمصر، دائرة المعارف الإسلامية مادة ليث ط. مركز الشارقة، الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي: صفة الصفوة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، طبعة دار ابن خلدون المجلد الثاني ص ٤٧١، ابن عساكر: مختصر تاريخ دمشق ٢٤٦/٢١ الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م ط دار الفكر بدمشق، الإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي: كتاب تذكرة الحفاظ، ط دار الكتب العلمية بيروت ٢٢٤/١، المؤرخ الفقيه ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط. دار الآفاق الجديدة بيروت ٢٨٥/١.

(٢) انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان (مرجع سابق) ٥٤٩/٤، الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية للإمام، ط. دار المعارف بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٩٦م ٥٩٢/٩.

(٣) قرية من أسفل أرض مصر، تتبع الآن مركز طوخ القليوبية، تبعد عن القاهرة بحوالي عشرين كيلو مترًا -تقريبًا- وهي بلدة حسنة المنظر غزيرة الفواكه، وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبي، وقد ذكر ابن يونس في تاريخه أنه ولد بها، قال: وأهل بيته يذكرون أن أصوله من فارس، وليس لما يقولونه ثبات عندنا. قال ابن خلكان: قلقشندة -بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون =

والمشهور أنه (فَهْمِّي) [1] عربي، ومما يدل على ذلك، أنه كان ابن عم الوليد بن رفاعة بن ثابت بن ظاعن الفَهْمِّي الذي ولى مصر سنة ١٠٩هـ وتوفى وهو والٍ عليها سنة ١١٧هـ والوليد بن رفاعة عربي صراح، ليس في نسبه خلاف بين العلماء، ولما كان الليث ابن عمه، فهو أيضًا عربي مثله..

قال القضاعي في خططه، عند الحديث على دار الليث بالفسطاط:

«.. وكان له دار بقلقشندة بالريف، بناها، فهدمها ابن رفاعة أمير مصر؛ عنادًا له، وكان ابن عمه، فبناها الليث ثانيًا، فهدمها، فلما كانت الثالثة أتاه آت في منامه فقال له: يا ليث: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾ [القصص: ٥].

أضف إلى ذلك أن أسماء آبائه وأجداده كلها عربية، ليس فيها اسم أعجمي،

النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة، وهكذا هي مكتوبة في دواوين الديار المصرية، وأبدل ياقوت في معجم البلدان اللام راءً، وهو الجاري على ألسنة العامة، وعليه جرى القضاعي في خططه. قال ابن خلكان: وهي على ثلاثة فراسخ من القاهرة، وإليها ينسب الليث بن سعد، راجع: القلقشندي صبح الأعشى في صناعة الإنشا ٤٠٣/٣ ط. المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٩١٣م، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ الجزء الثالث عشر ص٣، أبي سليمان محمد بن عبد الله بن زبر الربعي ت ٣٧٩هـ: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق: محمد المصري، الطبعة الأولى ــ من منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت رقم ٨ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م ص٩٢.

(١) الفهمي: بالفتح والسكون نسبة إلى فهم، وهي بطن من قيس عيلان ومرجعهم إلى العدنانية، راجع: العلامة جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ: لب الألباب في تحرير الأنساب تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، أشرف أحمد عبد العزيز، بيروت: دار الكتب العلمية، سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١- ١٦٤/٢، عبد الحليم محمود: الليث بن سعد إمام أهل مصر، طبعة دار المعارف ص ٢٥، أحمد عمر هاشم: المحدثون في مصر والأزهر ودورهم في إحياء السنة النبوية الشريفة، القاهرة: مكتبة غريب ــ ص ٧٠ ــ ٧١.

مما يدل على أنهم كانوا من العرب.

ولا شك أن إجادته اللغة العربية إجادة تامة، وخبرته الواسعة بأعراف العرب في الاستعمال اللغوي، ومعرفته الدقيقة بلهجاتهم المختلفة، وقدرته على التمييز بين جيد اللغة ورديئها، وسهولة أسلوبه وجزالته، وخلوه من اللحن واللكنة الأعجمية والتكلف الذي نراه في كتب الأعاجم من المتعربين، وغير ذلك مما وجدناه في آثاره، يجعلنا نكاد نقطع بعروبته.

هذه بعض الأدلة وإن لم تكن تفيد اليقين، فهي تفيد الظن القوي بأن الليث بن سعد لم يكن أعجميًا في روحه وفكره وأسلوبه وثقافته وأخلاقه، وهذا الأمر يحملنا على القول بأن الليث بن سعد مصري عربي أصيل.

بيد أن بعض المؤرخين يرون رأيًا آخر، ويكفينا المشهور من أنه العربي الأصيل، ابن عم أمير مصر ابن رفاعة العربي الأصيل الذي ليس في نسبه خلاف كما سبق.

مولده:

في ليلة مباركة هادئة، مليئة بالروحانيات.. ليلة طاب هواؤها.. ورق ماؤها.. وصفت سماؤها.. هي ليلة النصف من شهر شعبان المكرم من العام الرابع والتسعين للهجرة [1] ولد الليث بن سعد (رضي الله عنه) في قرية قلقشندة..

يقول ابن بكير: سمعت الليث يقول: «ولدت في شعبان سنة أربع وتسعين»، وكذلك يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال أبي: «ولد ليث بن سعد سنة أربع وتسعين»، ويحدد ابن بكير أكثر فيقول: لأربع عشرة خلت من شعبان. ويزيد ابنُ حِبَّان الأمر تحديدًا فيقول: «يوم الجمعة»[2].

(١) هناك اختلاف يسير حول تاريخ مولده، فقيل: سنة ٩٣هـ وقيل: سنة ٩٤هـ وهو الأصح.

(٢) راجع: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي (مرجع سابق) ص٣٠٢، =

والمصريون يعدون ليلة النصف من شعبان ليلة مباركة.. وهكذا تفاءل أهل الوليد بمقدمه في تلك الليلة، كما تفاءل أهلُ القرية جميعًا بهذا القادم الجديد، ابن عميد الأسرة الغنية الذي كان يفيض بكرمه على كل من حوله [1].

* * *

ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٤٦/٢١، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (مرجع سابق) ٢٨٥/١، والبداية والنهاية لابن كثير ٥٩١/٩، والليث بن سعد إمام أهل مصر للدكتور عبد الحليم محمود ص ٢٤، والمحدثون في مصر (مرجع سابق) للدكتور أحمد عمر هاشم ص ٧٠ وما بعدها بتصرف، دائرة المعارف الإسلامية (مادة ليث)..

(١) ويشاء الله ــ تعالى ــ أن يتوفى الليث في ذات الليلة المكرمة.. ليلة النصف من شعبان سنة مائة وخمس وسبعين للهجرة (١٧٥هـ) بعد أن ملأ الدنيا من حوله بالخير، والعلم، والمعرفة، وآداب السلوك، وأسباب المحبة، على مدى اثنين وثمانين عاما، راجع: أئمة الفقه التسعة لعبد الرحمن الشرقاوي ط. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ص ٩٥.

المبحث الثاني

نشأته وحياته العلمية

نشأ الليث في بحبوحة من الرزق وسعة من العيش [1]، فكان أبوه واسع الغنى يملك في قلقشندة وما حولها ضيعة واسعة خصبة تنتج خير الثمار من زرع وفاكهة.. لديه المال والبنون زينة الحياة الدنيا.

وكانت قلقشندة -ككل قرى دلتا النيل- بلدة طيبة الهواء، خصبة التربة، غنية بالثمرات والخيرات.. تشتهر بجودة الفاكهة.

وكان أبوه يدرك أن العلم هو خير ما يزين الرجل العاقل، فوفر له كل ما من شأنه إدراك العلم والنبوغ فيه.

فأخذ يعلمه على الصورة المألوفة حينئذ، حيث كانوا يبدؤون بحفظ القرآن، ويتعلمون عن طريق ذلك الكتابة والقراءة، ثم يتعلمون علوم القرآن، والحديث واللغة العربية والفقه وعلوم الإسلام على وجه العموم[2].

ولقد ظهرت نجابة الليث في سن مبكرة بعد أن أتم حفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة والحديث الشريف والفقه، وبعضًا من العلوم والفنون الأخرى وهو صغير السن.. ثم ظهر نبوغه السريع في العلوم المختلفة، ففي اللغة أدرك أن النصوص ليست أمرًا ظاهريًّا فحسب، بل هي روح، لها دلالات وفحوى، وبالتالي فالذي يتقن اللغة العربية ويصل إلى معرفة أسرار بلاغتها، حَرِيٌّ بأن يفهم النصوص ظاهرها وروحها.. من أجل هذا عكف الليث -بعد أن حفظ القرآن وكثيرًا من الأحاديث- على حفظ الشعر العربي، الذي قيل قبل نزول

(١) سامح كريم: أعلام في التاريخ الإسلامي في مصر، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٥م.

(٢) أئمة الفقه التسعة «مرجع سابق» ص٩٦- ٩٧.

الوحي بالقرآن وخلال نزوله؛ ليدرك أسرار اللغة العربية[1] حتى صار إمامًا يفتى، وهو في بواكير شبابه.

روى ابن حجر العسقلاني عن يحيى بن بكير أنه قال: سمعت شرحبيل بن يزيد يقول: «أدركت الناس في زمن هشام بن عبد الملك، وهم متوافرون مثل: يزيد بن حبيب، وعبيد الله بن أبي جعفر، وجعفر بن أبي ربيعة، والحارث بن يزيد، وابن هبيرة، ومن يقدم مصر من علماء أهل المدينة ومن علماء أهل الشام للرباط، والليث بن سعد يومئذ حدث شاب، وإنهم ليعرفون فضله، ويقدمونه ويشار إليه».

وقال يعقوب بن سفيان: سمعت يحيى بن بكير يقول: سمعت الليث يقول: «رآني يحيى بن الأنصاري، وقد فعلت شيئًا من المباحات فقال: لا تفعل، فإنك إمام منظور إليك».

قلت: ويحيى تابعي من شيوخ الليث.

لقد كان الليث إمامًا منظورًا إليه وهو يومئذ حَدَثٌ شاب، وإذا كان هذا الحدث الشاب بلغ هذا المبلغ في مقتبل عمره فإنه قد بلغه بجده واجتهاده، وذكائه المتوقد، وذاكرته القوية [2].

لقد ظل الليث يتجه إلى جامع عمرو -وهو أول مسجد جامع أنشأه المسلمون في إفريقية- [3] لكي ينهل من علوم أساتذة عظام، حتى أصبح عَلَمًا

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، «مرجع سابق» ١٢٧/٤.

(٢) وفيات الأعيان ١٢٧/٤، الليث بن سعد إمام أهل مصر (مرجع سابق) ص ٢٧.

(٣) للاستزادة عن جامع عمرو بن العاص، راجع: ممدوح الصدفي محمد أبو النصر وآخرون: الدور التربوي والاجتماعي للمسجد، الرباط: من منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م ص ٣٩ وما بعدها، أحمد علي سليمان: بحث الدور الثقافي والاجتماعي للوقف في المجتمعات الإسلامية، (حصل به الباحث على المركز الثاني في مسابقة وقف نهوض الكويتي في المسابقة التي

يشار إليه بالبنان.

ثم ذهب ليحج بيت الله الحرام -وكانت أول حجة له سنة ثلاث عشرة ومائة- [١] فأخذ عن علماء الحجاز.

قال البخاري: قال يحيى بن بكير: قال لي الليث: «سمعت من ابن شهاب الزهري [٢] بمكة سنة ثلاث عشرة» [3] وكان الليث يُجِلُّه، ويحبه لعلمه وفضله.. روى ابن حجر عن عمرو بن خالد قال: قلت لليث: بلغني أنك أخذت بركاب ابن شهاب الزهري، قال: نعم للعلم، فأما لغير ذلك فلا، والله ما فعلته بأحد قط، ويقول ابن حجر عن الليث: «وقد سمع الليث من ابن شهاب الزهري كثيرًا، ويدخل بينه وبين الزهري الواسطة بواحد، وباثنين، وبثلاثة».

كما أخذ عن نافع [٤] مولى ابن عمر، الذي عُدَّ من أوثق الرواة عن ابن عمر

أجريت في جامعة الأزهر سنة ١٩٩٩م). وهذا الجامع بناه عمرو بن العاص سنة ٢١هـ لنشر مبادئ الدين الإسلامي وتعاليمه القويمة، وكان نواة لحركة علمية كبرى في مصر، وبلغت حلقات العلم به بضعًا وأربعين حلقة لا تكاد تنفض منه، ومن ثم أصبح مركزًا علميًا مهما لنشر الحضارة الإسلامية؛ ولذلك قصده الأساتذة والطلاب من كل صوب وحدب؛ لينهلوا من معينه الذي لا ينضب. وكان على رأسهم الليث بن سعد الذي أضحى إماما للكنانة بعد ذلك..

(١) راجع: المبحث الثالث من هذا الفصل تحت عنوان (رحلاته وشيوخه..).

(٢) ابن شهاب الزهري هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب، وكنيته أبو بكر الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وأمانته، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة مات سنة ١٢٥هـ للاستزادة راجع: تقريب التهذيب ص٣١٨، وشذرات الذهب ١٦٢/١، أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، ط. مركز إحياء التراث الإسلامي ــ مكة المكرمة. ص ١٢٥.

(3) وهم إذا قالوا: سنة ثلاث عشرة، فيريدون من القرن الثاني للهجرة، بمعنى أنها سنة ١١٣هـ.

(٤) هو الإمام المفتى الثبت عالم المدينة، أبو عبد الله القرشي ثم العدوى العمرى، مولى ابن عمر، روى عن ابن عمر وعائشة وأبي هريرة وغيرهم، وروى عنه مالك والليث =

لم يختلف في ذلك أحد من المحدثين. والسلسلة الذهبية عند كثير من المحدثين: مالك عن نافع عن ابن عمر. يقول الليث: دخلت على نافع مولى ابن عمر، فقال: من أين؟ قلت: من أهل مصر. قال: ممن؟ قلت: من قيس. قال: ابن كم؟ قلت: ابن عشرين. قال: أما لحيتك فلحية ابن أربعين.!! وكان نافع -رحمه الله- أسود اللون.

ومن طريف ما يروى عن الليث في حجَّتِه تلك أنه لم يحج وحده وإنما رافقه ابن لهيعة، يقول الليث: حججت أنا وابن لهيعة، فرأيت نافعًا مولى ابن عمر، فدخلت معه إلى دكان علاف، فحدثني، فمر بنا ابن لهيعة..

فقال: من هذا؟ قلت: مولى لنا، فلما رجعنا إلى مصر جعلت أُحدِّث عن نافع، فأنكر ذلك ابن لهيعة وقال: أين لقيته؟! قلتُ: أما رأيت الرجل الذي كان في دكان العلاف؟ هو ذاك [1].

ويقول ابن حجر: «وقعت لي نسخة الليث عن نافع، فيها من الأحاديث المرفوعة والموقوفة نحو المائة، ومع ذلك كان الليث يروى عنه ما ليس عنده منه مشافهة -بالواسطة- وربما روى عنه بأكثر من واسطة واحد» [2].

بن سعد وخلق كثير توفى سنة ١١٧هـ -وقد سبقت ترجمته في الفصل الأول- راجع: سير أعلام النبلاء ٩٥/٥، والعبر ١٤٧/١، تهذيب التهذيب ٤١٢/١٠، والتاريخ الكبير ٨٤/٨، والجرح والتعديل ٤٥١/٨، تذكرة الحفاظ ٩٩/١.

(١) الليث بن سعد إمام أهل مصر ص٢٨- ٣٠.

(٢)أحمد عمر هاشم: المحدثون في مصر والأزهر ودورهم في إحياء السنة النبوية الشريفة (مرجع سابق)، ص ٧٢- ٧٣.

محنة الليث:

عاد الليث إلى قريته فإذا بالوالي[1] قد أمر بهدم بيت الأسرة !! فأعاد الليث بناء البيت.. فهدمه الوالي مرة أخرى.. وبناه الليث فهدمه الوالي مرة ثالثة!![2].

وبات الشاب مهمومًا.. فهو يحمل على منكبيه أعباء الأسرة، وإدارة الضيعة التي ورثها، وهموم العلم والمذهب الجديد الذي يريد أن يصوغه محكما وسطا بين أهل الرأي وأهل الحديث.. فضلا عن اضطهاد الوالي له.. ومن ثم ثقلت عليه الهموم، فجاءه في المنام من يقول له: قم يا ليث فاقرأ قوله تعالى:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص: ٥]

فأصبح الليث وقد أصيب الوالي بالفالج [3] كما سبق، فأوصى كل من حوله بألا يظلموا الليث، وأن يحسنوا صحبته.. ومات الوالي بعد ثلاثة أيام.. [4].

ولم يكتف الإمام الليث بن سعد بالعلم الذي حصَّله والأحاديث التي جمعها وحفظها في مصر والمدينة فقط، بل كان الترحال دأبه.

فكان -رحمه الله- إذا عَلِمَ بمكان حديث ذهب إليه ولو كان ذلك على بعد عشرات الأميال.. فقد ظلَّ طيلة حياته محبًّا للسفر والترحال في طلب العلم

---

(١) وكان اسمه ابن رفاعة، يقول المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق: وابن رفاعة المقصود هنا هو الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمي الذي ولي مصر سنة ١٠٩م، وتوفي وهو وال عليها سنة ١١٧هـ والوليد بن رفاعة عربي من فهم ليس في نسبه خلاف، فإذا كان الليث ابن عمه فهو أيضا عربي فهمي ــ كما سبق- راجع: عبد الحليم محمود: الليث بن سعد إمام أهل مصر، ص٢٥.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط. المطبعة الأميرية بمصر ١٩١٣م، جـ٣ ص ٤٠٤.

(٣) أي: الشلل، راجع: المعجم الوسيط مادة فلج ط. مجمع اللغة العربية ٧٢٥/٢.

(٤) صبح الأعشى (مرجع سابق) ص ٤٠٤.

والحديث الشريف.. فاستحق أن يقول عنه ابن وهب: «والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحدًا قط أفقه من الليث» [١].

وهكذا لم ينم الليث على شهرته التي بلغها، ولا على تقديره الذي حظي به وسط العلماء، وإنما واصل الليل بالنهار في الدراسة والأخذ عن العلماء، وكان أستاذًا يدرس للجمهور وتلميذًا يتلقى عن العلماء، واستمر كذلك إلى نهاية حياته [٢] فصار أحد العلماء الأفذاذ الذين كانت لهم مكانة بارزة بين الأعلام وبصمات واضحة في كل من حوله من الطلاب والعلماء والخلفاء..

* * *

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان جـ٤ ص١٢٧.

(٢)عبد الحليم محمود: الليث بن سعد إمام أهل مصر (مرجع سابق) ص٢٨ بتصرف.

المبحث الثالث

رحلاته وشيوخه وأثرهم فيه

المطلب الأول

رحلات الليث في طلب العلم

كان الليث بن سعد (رضي الله عنه) شغوفًا بطلب العلم، مولعًا بأهله، محبا للترحال في سبيله مهما كلفه ذلك من مال أو عناء.. ولقد ساعده ثراؤه الواسع في بلوغ مرامه وإشباع نهمه.. لقد ظل يسافر ويعاني ويلات السفر ومشقاته طيلة حياته لتحصيل العلم..

ويجدر بنا أن نشير إلى أهم الرحلات التي قام بها الليث بن سعد في طلب العلم:

رحلته إلى الحجاز[1]:

وكانت أولى رحلاته إلى الحجاز وسنه لم تتجاوز العشرين. يقول الليث:

(١) يبدو أن الرحلة في سبيل طلب العلم كانت تتجه أول ما تتجه إلى الحجاز بعامة ولذلك أسبابه ودوافعه، فهو مهد النبوة، ومهبط الرسالة، ومقر الصحابة الذين شهدوا الوحي وعاشروا الرسول، واستمعوا إليه، وأدركوا ألوان سلوكه التشريعي مما لا تمكن الإحاطة به إلا بالتلقي عن أولئك جميعًا، وهم إن تفرقوا في البلاد المفتوحة فإن نفحات الرسالة، في الأماكن التي نزل فيها الوحي على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما تزال عبقة، تستهوي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فيحنون إليها ويهرعون إلى تنسمها، ولم يكن ذلك خاصًا بأصول الشريعة فقط، بل كان كذلك له آثاره في رواية الشعر، ولقاء حفاظه ورواته والأخذ عنهم، والاستماع إلى طرائقهم في الإنشاد، وأساليبهم في الأداء. انظر: المراجع السابقة.

حججت سنة ثلاث عشرة وأنا ابن عشرين سنة[١]. وفي أثناء هذه الرحلة سمع من محمد بن شهاب الزهري بمكة، وكتب من علمه علمًا كثيرًا، ويستطرد الليث قائلاً: وطلبت ركوب الرُّصافة، فخفت ألَّا يكون ذلك لله فتركته[٢].

ووجد الليث في الزهري من عمق الفكر وسعة العلم ودقة الفهم ما لم يجده في أحد قط، فأكبره إكبارًا شديدًا؛ لأن هذا الرجل هو أول من قام بالنقد المنظم لرواية الحديث بأمر من الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) [٣].

وانتهز الليث كذلك وجوده هنالك، فالتقى بنافع وسمع منه، يقول الليث:

دخلت على نافعٍ، فسألني: من أين؟

فقلتُ: أنا مِصري.

فقال: ممن؟

قلتُ: من قيس.

قال: ابنُ كم؟

قلتُ: ابنُ عشرين سنة.

قال: أما لِحيتُك، فلحيةُ ابنِ أربعين[٤].

وفي المدينة التقى الليث بالإمام مالك بن أنس وكانت بينهما صلات ومراسلات[٥].

كما التقى في هذه الرحلة بأبي الزبير[٦]، ولا شك أن لقاء الليث به وروايته

(١) سير أعلام النبلاء ٨ /١٤٤، ١٤٥.
(٢) المرجع السابق.
(٣) تاريخ بغداد ١٣ /٥ وما بعدها بتصرف.
(٤) السير جـ٨ ص١٤٤- ١٤٥ بتصرف.
(٥) راجع ذلك مفصلا في الفصل الثالث.
(٦) انظر ترجمته في «ميزان الاعتدال» جـ٣ ص١٢٤- ١٢٦، وقد أفردنا له ترجمة موجزة في المطلب الثاني من هذا المبحث.

عنه تكشف لنا عن حسٍّ نقدي امتاز به الليث منذ فجر حياته.

يقول الإمام الذهبي: قال الليث: جئت أبا الزبير فدفع إليّ كتابين، فانقلبت بهما، ثم قلت في نفسي: لو أني عدت إليه فسألته: أسمع هذا من جابر؟ فسألته قائلا: بيِّن لي ما سمعتَ منه وما لم تسمعه منه.

وهذه الحادثة تدل على أن الرواية بالمناولة كانت قد أنشأت تأخذ سبيلها منهجًا في الرواية ونشر العلم، غير أن المحدثين الشيوخ حتى هذه الفترة لم يكونوا يثقون إلا بالسماع؛ لأنه الوسيلة المأمونة في الرواية والتلقي، وكذلك صنع الليث حين دفع إليه أبو الزبير بهذين الكتابين لروايتهما عنه.

وربما كانت هذه الحادثة ــ التي كشفت عن منهج ما في الرواية ــ سببًا في عدم الاطمئنان إلى مرويات أبي الزبير عامة.

فقد قال يونس بن عبد الأعلى، الشافعي وقد احتج عليه رجل بحديث عن أبي الزبير فغضب وقال: أبو الزبير يحتاج إلى دعامة.

ويظهر أن رواية الليث عنه أضفت الثقة على كثير منها حتى أن الذهبي في الميزان يقول: «وفي صحيح مسلم عدة أحاديث مما لم يوضح فيها ابن الزبير السماع عن جابر، ولا حتى من طريق الليث عنه، وفي القلب منها شيء»[1].

كما سمع الليث هناك من ابن أبي مليكة، وعطاء بن أبي رباح، وعمران بن أبي أنس، وشيوخ آخرين[2].

(١) ميزان الاعتدال جـ٣ ص ١٢٦، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ١٣ ص٤، ٥.

(٢) راجع: الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية، لابن حجر ص ٣-٤، وانظر كذلك في هذا المبحث، حيث وفقنا الله عزَّ وجلَّ أن نحصر جل شيوخ الليث في مصر وفي الحجاز وفي العراق... إلخ.

رحلته إلى العراق:

كان الليث (رضي الله عنه) كلما سمع عن محدث أو فقيه في أي بلد ذهب إليه.. حتى عندما تقدم به السن..

فقد سافر بعد الستين إلى العراق[1] في شهر شوال سنة إحدى وستين ومائة ينشد العلم بها عند رجل أصغر منه سنًا!!

يقول صاحب كتاب تاريخ بغداد: قال أبو صالح: «قال لي الليث بن سعد ــ ونحن ببغداد: سل عن قطيعة بني جدار، فإذا أرشدت إليها، فسل عن منزل هشيم الواسطي، فقل له: أخوك ليث المصري يقرئك السلام، ويسألك أن تبعث إليه شيئًا من كتبك. فلقيت هشيما فدفع إليّ شيئًا، فكتبنا منه وسمعتها مع الليث».

وحدَّث الليث بالعراق فروى عنه من أهله كثيرون منهم:

حجين بن المثنى، ومنصور بن سلمة، ويونس بن محمد، وهاشم بن القاسم، ويحيى بن إسحاق البلخي، وشبابة بن سوار، وموسى بن داود، وجماعة من البصريين سمعوا منه ببغداد[2].

وفي أثناء رحلته للعراق التقى الليثُ بربيعة الرأي ــ الذي ذاع في الناس أمره، واشتهر بسطوة الحجة ودقة البرهان وناظره في بعض المسائل، غير أن مناظرته إياه يبدو أنها كانت قد طالت واشتدت حتى تصرم أهل الحلقة واحدًا

(١) وكانت العراق يومئذ مهبط العلماء من كل صوب، فقد اجتمع لديها جلال الخلافة، وعظمة السلطان، وهفت إليها كل نفس ظامئة إلى المعرفة بعد أن هاجر إليها العلماء، واتخذوها موطنًا لهم ومرادًا يسعون في رحابه، وقد دوت مساجدها بحلقات العلم على اختلاف ضروبه وتباين صنوفه، راجع المراجع السابقة.

(٢) الخطيب البغدادي جـ١٣ ص٤- ٥ بتصرف، سير أعلام النبلاء جـ٨ ص١٤٤- ١٤٥.

في إثر الآخر[1].

والليث بن سعد في رحلاته العلمية لم يستفد علمًا جديدًا فحسب، بل أفاد أيضا ولفت إليه الأنظار.

فها هو الخليفة المهدي يقول لوزيره يعقوب بن داود ــ أثناء زيارة الليث للعراق: الزم هذا الشيخ فقد ثبت عند أمير المؤمنين أنه لم يبق أحد أعلم بما حمل منه[2].

* * *

(١) وكان المناظر يومئذ، لابد أن تكتمل له أدوات المناظرة، وتجتمع لديه عدتها، فلم تكن مجرد مغالبة في الرأي، أو مصارعة في الاحتجاج أو عناد في الجدل لا يراد به الكشف عن الحقيقة وإنما كانت وسيلتهم لمعرفة الحقيقة، غير أنه ينبغي أن نقرر أن وسائل هذه المناظرة كانت سببًا في حفظ القرآن وفهمه، والبصر بالنحو، وأصوله، وحفظ الشعر، والتثبت بمواطن الاستشهاد فيه على صحة الفهم، ويبدو أن الليث بن سعد كان من أولئك الذين أعدوا أنفسهم لهذه الغاية، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ١٣ ص ٦ بتصرف.

(٢) تاريخ بغداد ص ٤-٥ بتصرف.

المطلب الثاني
شيوخه وأثرهم فيه

تتلمذ الليث بن سعد على أعظم شيوخ عصره.. فسمع وتعلم على أيدي كبار علماء مصر والحجاز والعراق، وغيرهم..

ولم يأل الليث جهدًا في طلب العلم منذ صغره إلى أن بلغ منه السن مبلغه، وربما أحوجه طلب العلم إلى من هو أصغر منه كما أشرنا ــ فيأتيه دون أن يستشعر في نفسه كبرًا أو حرجا..!!

وقد أدرك الليث بن سعد نيفا وخمسين رجلاً من التابعين، وأدرك من تابعي التابعين ومن دونهم مائة وخمسين نفسًا[١] فتتلمذ على أيديهم وسمع منهم.

يقول الإمام ابن حجر: سمع الليث ببلده [٢] من يزيد بن أبي حبيب [٣] وجعفر بن ربيعة، والحارث بن يعقوب، وعبيد الله بن أبي جعفر، وخالد بن يزيد، وخير بن نعيم، وسعيد بن يزيد[٤].

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ط. دار الكتاب العربي. جـ٧ ص٤٣٢.

(٢) أي: بمصر.

(٣) يزيد بن أبي حبيب، واسمه: سويد الأزدي أبو رجاء المصري. قال أبو زرعة: بصري ثقة وقال العجلي: مصري تابع ثقة، مات سنة ١٢٨هـ راجع: أعلام الحديث ص١٤٨.

(٤) الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية ص١٨.

وسمع بالحجاز من عطاء بن أبي رباح[١] ونافع مولى بن عمر[٢] وأبي الزبير محمد بن مسلم المكي[٣] وابن شهاب الزهري[٤] وهشام بن عروة[٥] ويحيى بن سعيد[٦] وأيوب بن موسى[٧] وعبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة[٨] وعمرو

(١) هو: عطاء بن أبي رباح، واسمه: أسلم القرشي، ولد سنة ٢٧هـ روى عن ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، ومعاوية، وأسامة بن زيد وآخرين، وروى عنه ابنه يعقوب، ومجاهد، والزهري، ويزيد بن أبي حبيب، وخلق كثير، نشأ في مكة، وانتهت إليه فتوى أهل مكة، وكان من أحسن الناس صلاة، مات سنة ١١٧هـ وهو أرضى أهل الأرض عند الناس، راجع: تهذيب التهذيب جـ٧ ص ١٩٩ وما بعدها بتصرف.

(٢) الإمام المفتي الثبت عالم المدينة، أبو عبد الله القرشي ثم العدوي العمري مولى ابن عمر وروايته، روى عن ابن عمر وعائشة وأبي هريرة وغيرهم، وروى عنه مالك والليث وخلق كثير. توفى سنة ١١٧هـ على الأصح. راجع: سير أعلام النبلاء ٩٥/٥، والعبر ١٤٧/١، وتهذيب التهذيب ٤١٢/١٠، والتاريخ الكبير ٨٤/٨.

(٣) هو: محمد بن مسلم بن تدرس ــ بفتح المثناة وسكون الدال المهملة وضم الراء ــ مولاهم أبو الزبير المكي، صدوق إلا أنه يدلس، وهو من الرابعة، مات سنة ١٢٦هـ راجع: ميزان الاعتدال: ترجمة ابن أبي الزبير جـ٣ ص ١٢٤- ١٢٦.

(٤) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، وكنيته أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه وهو من رؤوس الطبقة الرابعة مات سنة ١٢٥هـ وقيل: قبل ذلك بسنة أو سنتين. راجع: تقريب التهذيب ص٣١٨ وشذرات الذهب ١٦٢/١، وأعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ط. مركز إحياء التراث الإسلامي ــ مكة المكرمة ص ١٢٥ جـ١.

(٥) هو: هشام بن عروة بن الزبير الأسدي ويكنى بأبي المنذر، وهو من الطبقة الصغرى من التابعين.

(٦) هو: يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري البخاري ويكني بأبي سعيد وهو من الطبقة الصغرى من التابعين.

(٧) وهو: أيوب بن موسى بن عمرو الأموي ويكنى بأبي موسى، وهو من الطبقة التي لم تلق الصحابة.

(٨) من الطبقة الوسطى من التابعين ويكنى بأبي محمد.

بن شعيب وعمرو بن دينار[١].

وسمع في رحلته إلى العراق ــ وهو كبير ــ من هشيم[٢] وهو أصغر منه سنًا..

كما سمع الليث من بكير بن عبد الله بن الأشجِّ[٣] وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد التيمي[٤] والحارث بن يعقوب[٥] ودارج بن سمعان[٦] وعقيل بن

(١) راجع عوالي الليث بن سعد (مرجع سابق) ص٤٩، والحلية ٣٢٤/٧، والترجمة الليثية ص ١٨.

(٢) هو: هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمى أبو معاوية بن أبي خازم الواسطي، قيل: إنه بخاري الأصل ولد سنة ١٠٤هـ روى عن أبيه وخاله القاسم بن مهران وعبد الملك بن عمير وعمرو بن دينار وآخرين، وروى عنه مالك بن أنس وشعبة والثوري وهم أكبر منه وآخرون، قال إسحاق الزيادي: رأيت النبي (ﷺ) في المنام فقال: اسمعوا من هشيم فلنعم الرجل هشيم، وكان هشيم ثقة كثير العلم لم يعد عليه خطأ، توفى في شعبان سنة ١٨٣هـ. راجع: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر جـ١١ ص ٥٩- ٦٣ بتصرف.

(٣) هو بكير بن عبد الله بن الأشج القرشي نزيل مصر روى عن محمود بن لبيد وأبي أمامة بن سهل وسعيد بن المسيب ونافع مولى ابن عمر وخلق كثير، وروى عنه الليث بن سعد، وبكر بن عمر المعافري، وابن عجلان، ويزيد بن أبي حبيب، وكان ثقة، يقول ابن المديني: لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب، ويحيى بن سعيد، وبكير بن عبد الله الأشج لم يسمع منه مالك، خرج قديما إلى مصر فنزل بها توفى سنة ١١٧هـ، وقيل: سنة ١٢٠هـ راجع: تهذيب التهذيب جـ١ ص ٤٩١- ٤٩٢.

(٤) هو من الطبقة التي لم تلق الصحابة.

(٥) وكنيته: أبو عمرو الأنصاري، وهو من الطبقة الصغرى من التابعين.

(٦) وكنيته أبو السمع وهو من الطبقة دون الوسطى من التابعين.

خالد[١] ويونس بن يزيد[٢] وحكيم بن عبد الله[٣].

وتتلمذ الليث كذلك على: سعيد المقبري[٤] ومشرح بن هاعان[٥] وأبي قبيل المعافرى[٦] وربيعة الرأي[٧]، وإبراهيم بن نشيط بن يوسف الوعلانى، وأبو بكر

(١) هو عقيل بن خالد بن عقيل الأموي الأيلي، ويكنى بأبي خالد، وهو من الطبقة التي لم تلق الصحابة وثقه النسائي، مات بمصر سنة ١٤١هـ راجع: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ط. مركز إحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة جـ١ ص ١٢٥.

(٢) هو يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي، ويكنى بأبي زيد وهو من كبار الأتباع.

(٣) هو حكيم بن عبد الله بن قيس القرشي المطلبي، وهو من الطبقة دون الوسطى من التابعين، راجع ذلك مفصلا في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ط. دار الكتب العلمية بيروت، ب. ت، جـ٣ == ص ٣ وما بعدها بتصرف، وسير أعلام النبلاء للذهبي جـ٨ ص ١٣٧ وما بعدها، والحلية ص ١٨ وما بعدها.

(٤) هو سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري ويكنى بأبي سعد وهو من الطبقة الوسطى من التابعين، راجع: طبقات علماء الحديث لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م جـ١ ص ٣٣١- ٣٣٢ بتصرف.

(٥) مشرح -بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه وآخره مهملة ــ ابن هاعان المعافري ــ بفتحتين وفاء ــ المصري أبو مصعب. مقبول، توفى سنة ١٦٨هـ تقريبا. راجع: التقريب ص ٣٣٧ وتهذيب التهذيب ١٥٥/١٠.

(٦) أبو قبيل هو حسين بن هانئ وقيل حيى بن ناضر -بنون ومعجمة- أبو قبيل -بفتح القاف وكسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة- المعافرى المصري، صدوق قدم من اليمن فسكن مصر، وروى عن عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو بن العاص، وروى عنه يحيى بن أيوب والليث وآخرون، وثَّقة أحمد بن حنبل، توفى سنة ١٢٨ هـ التقريب ص ٧٨، وشذرات الذهب ١٧٥/١، وتهذيب التهذيب ٧٢/٣، المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي -هويدا عبد العظيم رمضان ج٢ ص١٣٨، وطبقات علماء الحديث ج١ ص٣٣١-٣٣٢.

(٧) ربيعة بن أبي عبد الرحمن، واسمه فرُّوج القرشي التيمي أبو عثمان، ويقال: أبو عبد الرحمن المدني المعروف بربيعة الرأي آل المنكدر، روى عن: إسماعيل بن عمرو بن قيس بن سعد بن عبادة، وأنس بن مالك، وبشير بن يسار، والحارث بن بلال.. وآخرين، روى عنه =

بن المنكدر عبد الله التيمى، وإسحاق بن عبد الله بن أبى فروة الأموي، وبكر بن سوادة بن ثمامة الجذامى المصري، وجعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري، والجلاح أبو كثير الأموي، وحبيب بن أبى ثابت قيس الأسدي، والحسن بن ثوبان بن عامر الهمدانى الهوزنى، وحميد بن هانئ الخولانى، وحنين بن أبى حكيم الأموي، وحيوة بن شريح بن صفوان التجينى، وحيي بن هانئ بن ناضر المعافرى، وخالد بن أبي عمران التجيبي، وخالد بن الحارث الهجميي، والخليل بن مرة الضبعي، والربيع بن سبرة بن معبد الجهني، وزبان ابن فائد الحمراوي، وزهرة بن معبد بن عبد الله القرشي المدني، وزيادة بن محمد الأنصاري، وسعيد بن أبى هلال الليثي، وسعيد بن بشير الأنصاري النجارى، وسليمان بن عبد الرحمن بن عيسى الدمشقي، وشهر بن حوشب الأشعري الحمصى، وصفوان بن سليم الزهري، وطاوس بن كيسان اليماني الجندي، وطلحة بن مصرف بن عمرو اليامى الهمدانى، وعامر بن يحيى بن جشيب المعافرى، وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي، وعبد الرحمن بن سابط الجمحي، وعبد العزيز بن عبد الله بن أُبَيّ التيمي المدني، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد الأنصاري، وعبد الله بن ذكوان أبو الزناد القرشي، وعبد الله بن شداد الأعرج المديني، وعبد الله بن شداد بن الهاد الليثي المدني، وعبد الله بن عبد الرحمن النوفلى، وعبد الله بن عمر بن حفص العمرى القرشي، وعبد الله بن يحيى الأنصاري السلمي، وعبد الملك بن عبد العزيز الأموي، وعبد ربه بن سعيد بن قيس الأنصاري النجارى، وعبيد الله بن أبى جعفر العدوى العمرى، وعبيد الله بن عمر بن حفص العدوى العمرى، وعبيد الله بن المغيرة بن معيقيب السبائى، وعمران بن أبى

إسماعيل بن أمية القرشي، وإسماعيل بن جعفر المدني، والحكم بن عبد الله بن سعيد الأيلى، وحماد بن سلمة، وسفيان الثوري، وسليمان التيمى.. وآخرون.

وقال أحمد بن عبد الله العجلى، وأبو حاتم، والنسائي: ثقة، وقال أبو زرعة الدمشقي عن أحمد بن حنبل: ثقة، وأبو الزناد أعلم منه، توفى بالمدينة سنة ست وثلاثين ومئة. وقيل: بالأنبار، راجع: تهذيب الأسماء ١٢٣/٩ وما بعدها بتصرف.

أنس القرشي العامرى، وعمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري، وعمرو بن مرة بن بن عبد الله بن طارق الجملي المرادى، وعميرة بن أبى ناجية حريث الرعينى، وعياش بن عباس القتبانى الحميرى، وقباث ابن رزين بن حميد اللخمى، وقيس بن الحجاج بن خلى الكلاعي السلفي، وكثير بن فرقد المدني، ومالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، ومجاهد بن جبر المخزومي، ومحمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدى القرشي، ومحمد بن عبد الرحمن بن غنج المدني، ومحمد بن عجلان القرشي، ومحمد بن قيس المدني، ومحمد بن مسلم بن تدرس الأسدى، ومحمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي الزهري، ومعاوية بن صالح بن حدير الحضرمي الحمصى، وعمرو بن دينار، وعمرو بن شعيب، وموسى بن أيوب بن عامر الغافقي الهباري، وموسى بن علي بن رباح أبو عبد الرحمن اللخمي، وهشام بن سعد أبو عباد القرشي، ويحيى بن أيوب المقابري، ويحيى بن أيوب أبو العباس الغافقي، ويحيى بن سليم بن زيد، ويحيى بن عباد بن شيبان أبو هبيرة الأنصاري السلمي، ويزيد بن عبد الله بن أسامة الليثي، ويزيد بن محمد بن قيس القرشي المطلبى، وعبد الله بن جنادة المعافري، وأبو وهب الخولاني، وأبو الزناد، وابن عجلان[1].

وبعد ما عرضنا لشيوخ الليث ومن سمع منهم وروى عنهم نقول: بأنه كان مخلصا في طلب العلم، حريصًا عليه شغوفا به، محبا له، دؤوبا في جمعه.. ولولا ذلك ما نبغ فيه وبزَّ على إخوانه وأقرانه..

فأضحى يشار إليه بالبنان بين العلماء الكبار.. كذلك لاقى التقدير والإكبار والإجلال الذي يليق بمثله.

ولا شك أن تتلمذ الليث على هذا الجم الغفير من أعظم علماء الإسلام في عصره، كان له أعظم الأثر في نبوغه وصقله بالعلوم والمعارف المختلفة.. فقد

(١) راجع ذلك في: تهذيب التهذيب للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦، ط دائرة المعارف النظامية بالهند ٨ /٤٥٩ـ٤٦٠، وعوالى الليث بن سعد (مرجع سابق) ص٤٩، وسير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ٨ /١٣٧، ١٣٨، وغيرها.

اطلع الليث على مناهج هؤلاء الشيوخ وطرائقهم في الأداء مما أتاح له فرصة المقابلة والمقارنة بين هذه المناهج على اختلاف طرقها، ومن ثم صارت عنده الملكة التي تمكن بواسطتها من اتخاذ منهج متميز له وكان من أهم الشيوخ الذين تأثر بهم الليث، يزيد بن حبيب، وجعفر بن ربيعة، والحارث بن يعقوب، وعبيد الله بن أبي جعفر، وخالد بن يزيد، وسعيد بن يزيد..

ومن العلماء الذين تأثر بهم الليث ــ على الرغم من قصر المدة الزمنية التي مكثها في رحلته إلى الحجازــالعلامة ابن شهاب الزهري، ونافع مولى ابن عمر.

* * *

المبحث الرابع

صفات الليث الخُلُقية والخَلْقِيَّة

كان الليث ــ رحمه الله ــ وضيء الوجه، بهي الطلعة، ترتاح العين لمرآه، وتأنس النفس للقياه، ويطمئن إليه الفؤاد.. وكان إلى ذلك رقيق الحاشية.. جم التواضع.. شديد الحياء.. دمث الخلق، حسن السيرة بين الناس، طيب المعشر.. سخيًا كريمًا جوادًا، يألف قلوب زملائه بحسن أدبه وظرفه وسعة علمه وكرمه.. فإذا لا حظ فقر أحد زملائه وصله بالمال سرًّا.. وإن وجد فيهم من يبعد مسكنه عن جامع عمرو ويجهد السير إلى حلقات الدرس أهداه دابة.. ولكي لا يحرج المحتاج من زملائه وكان يزعم لهم أنه يقدم للواحد منهم قرضًا حسنًا يرده عندما يكبر ويكتسب.. !!

وكان الليث فتى فارغ القامة، تضيء الابتسامة وجهه، مطمئن النفس ناعم البال، في ثياب جميلة.. يفوح منه العطر والطيب.. نشيط الخطا، مرحًا.. مشتعل الأعماق.. متوقد الذهن.. [1]

عاش الليث عيشة متزنة سوية، وكان بعيدًا عن الانفعالات، ومن أجل ذلك تمتع بشباب طويل.. يقول أبو رجاء: «وكان الليث أكبر من ابن لهيعة، ولكن إذا نظرت إليهما تقول: ابن وذا أب -يعنى ابن لهيعة الأب».

وقال ابن بكير: سمعت الليث بن سعد كثيرًا ما يقول: «أنا أكبر من ابن لهيعة، فالحمد لله الذي متعنا بعقلنا» وكان لهذه الحياة السوية نظام رتيب لا يكاد يتخلف[2].

(١) أئمة الفقه التسعة ٩٧-٩٨ بتصرف، وانظر: المراجع السابقة.
(٢) الليث بن سعد د. عبد الحليم محمود ص ٤١.

لذلك قال عنه ابن بكير: «ورأيت من رأيت فلم أر مثل الليث، وما رأيت أحدًا أكمل من الليث بن سعد، كان فقيه البدن(*) عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الشعر والحديث، حسن المذاكرة.. لم أر مثله»(١).

ونشير هنا إلى أهم الصفات التي تحلى بها شيخنا وإمامنا الليث بن سعد (رضي الله عنه) والتي نستجليها من أقواله وأفعاله، وأقوال العلماء فيه، وكان من أهم تلك الصفات ما يلي:

ورعه:

ومن الصفات النبيلة التي تحلى بها إمامنا الليث بن سعد صفة الورع ومما يدل على ذلك قوله: «كتبت من علم ابن شهاب علمًا كثيرًا، وطلبتُ ركوبَ البريد إليه إلى الرُّصافة، فخفت ألا يكون ذلك لله، فتركت ذاك»(٢).

ومما يدل أيضًا على ورعه الشديد قوله: لما ودعت أبا جعفر المنصور ببيت المقدس قال: أعجبني ما رأيت من شدة عقلك والحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك، وكان الليث يقول: لا تخبروا بهذا ما دمت حيا(٣).

يقول سعيد الآدم: «مررت بالليث بن سعد، فَتَنحْنَحَ لي، فرجعت إليه، فقال لي: يا سعيد، خذ هذا القُنْداق(٤) فاكتب لي فيه من يلزم المسجدَ ممن لا بضاعة له، ولا غلة، فقلت: جزاك الله خيرًا يا أبا الحارث.. وأخذت منه القنداق، ثم سرت إلى المنزل، فلما صلَّيْتُ وأوقدت السراجَ، وكتبتُ: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قلت: فلان ابن فلان، ثم بَدَرَتْني نفسي، فقلتُ: فلان ابن فلان. قال: فبينما أنا على ذلك إذا أتاني آت، فقال: ها الله يا سعيد، تأتى إلى قوم عاملوا

(*) وفي بعض الروايات (البلد).
(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢١ /٢٤٩، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣ /٦.
(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢١ ص: ٢٤٨.
(٣) المرجع السابق ص٢٥١.
(٤) القنداق: صحيفة الحساب.

الله سرًّا، فتكشفهم لآدميٍّ؟ مات الليث، ومات شعيب بن الليث، أليس مرجعهم إلى الله؟

قال: فقمت، ولم أكتب شيئًا، فلمَّا أصبحت أتيت الليث بن سعد، فلمّا رآني تهلل وجهه، فتناولته القنداق، فنشره، فأصاب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم ذهب ينشره، فقلت: ما فيه غير ما كتبت، فقال لي: يا سعيد، وما الخبر؟ فأخبرته بِصدْق عما كان، فصاح صيحةً فاجتمع عليه الناس، فقالوا: يا أبا الحارث، إلا خيرًا، فقال: ليس إلا خيرًا، ثم أقبل عليَّ، فقال: يا سعيد، بَيَّنْتَها، وحُرِمْتُها، صَدَقْتَ، مات اللَّيْثُ، أليس مرجعهم إلى الله؟!»[1].

فضله:

نستجلى هذا الخلق الكريم الذي تحلى به إمامنا من قول شرحبيل بن حميد بن يزيد مولى شرحبيل بن حسنة الذي قال فيه:

«أدركتُ الناس أيام هشام، وكان الليث بن سعد حديث السن، وكان بمصر: عبيد الله بن أبي جعفر بن ربيعة، والحارث بن يزيد، ويزيد بن أبي حبيب، وابن هُبَيْرة وغيرهم من أصل مصر، ومن يقدم علينا من فقهاء المدينة وإنهم ليعرفون لليث فضلَه، وورعَه، وحسن إسلامه على حداثة سنه».

ويقول ابن بكير: «الليث أفقه من مالك، ولكن كانت الحظوة لمالك. وكان الشافعي يتأسف عليه ويقول: الليث أفقه من مالك إلا أن قومه ضيعوه[2] وكان أتبع للأثر من مالك»[3].

(١) الخطيب في التاريخ ١١/١٣، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢١ ص٢٥٤-٢٥٥، وصفة الصفوة لابن الجوزي الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م. المجلد الثاني ص٤٧٢.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ج٩ ص٥٩٢، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢١ ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٣) العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي ج١ ص ٢٠٦ ب.ت.

لقد كان ـ رحمه الله ــ سيداً من سادات أهل زمانه فقها وعلما وورعًا وفضلاً وسخاءً، كان لا يختلف إليه أحد إلا أدخله في جملة عياله، ما دام يختلف إليه، ثم يزوده عند الخروج بالبلغة إلى وطنه[1].

كما تحلى الليث بكل خلق يجب على المسلم أن يتحلى به، وتخلى عن كل خلق يلزم المسلم أن يتخلى عنه.. ولم لا وهو الذي حمل في قلبه قرآن ربه وسنة رسوله (ﷺ).. والحب والإيثارَ لكل المسلمين.

صدقه:

.. وكان صادقًا صدوقًا، يقول عمرو بن خالد الحرانى: قلت لليث: يا أبا الحارث، بلغني أنك أخذت بركاب الزهري؟

قال: للعلم، فأما غير ذلك فلا، والله ما أخذت بركاب والدي الذي ولدني[2].

(١) كتاب الثقات للإمام الحافظ أبى حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي الطبعة الأولى ١٩٨١م بالهند ٣٦١/٧.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢١ ص ٢٤٨.

ولاؤه وارتباطه بمسقط رأسه وحبه لها:

كان لليث دار بقلقشندة بالريف، بناها فهدمها ابن رفاعة أمير مصر عنادًا ــ وكان ابن عمه ــ فبناها الليث ثانيًا فهدمها، فلما كانت الثالثة، أتاه آت في منامه فقال له: يا ليث: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾ [القصص: ٥][1]. فأصبح وقد فلج ابن رفاعة، فأوصى إليه، ومات بعد ثلاث. ويبدو أنه ندم على ما كان منه بالنسبة لليث، يقول يحيى بن بكير: «كتب الوليد بن رفاعة -وهو أمير مصر- في وصيته: قد أسندت وصيتي لعبد الرحمن بن خالد بن مسافر إلى الليث بن سعد، وليس لعبد الرحمن أن يفتات على الليث فإن له نصحًا ورأيًا، وكان الليث يومئذ ابن أربع وعشرين سنة»[2].

وكان الليث يحب داره وبلدته حبًّا كثيرًا.. وليس حبه لها بغريب، فهي مهد ميلاده ومكان نشأته وصباه.. لا سيما وهى سيبة الهواء.. حسنة المظهر.. غزيرة الفواكه..

دفاعه عن الصحابة الأخبار:

يقول الخطيب البغدادي: قال عثمان بن صالح: كان أهل مصر ينتقصون عثمان حتى نشأ فيهم الليث بن سعد، فحدثهم بفصائل عثمان فكفوا عن ذلك[3].

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا «للقلقشندى» ج٣ ص٤٠٤ ط المطبعة الأميرية١٩١٣م، والآية رقم ٥ من سورة القصص.

(٢) الليث بن سعد إمام أهل مصر د.عبد الحليم محمود، ط. دار المعارف ص٢٤.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ص٧ ج١٣، نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي. دار الأندلس الخضراء بجدة، الطبعة الأولي سنة١٩٩٨م ج٢ ص٧٣٩.

تأدبه:

كان الإمام الليث بن سعد متأدبًا ومتحليا بالآداب التي أمرنا بها النبي (ﷺ).. فكان دمث الخلق.. جم التواضع، حسن السيرة بين الناس.. فغدا سيد أهل زمانه.. مثالاً للأدب الجم والذوق الرفيع والخلق النبيل.

الليث بن سعد تجديده في أساليب العطاء

جوده وبذله وكرمه:

إن الإنسان حينما ينعم الله -عزَّ وجلَّ- عليه بالنعم، ينسى نفسه أن يوصلها إلى ربها.. ولكن إمامنا الليث بن سعد لم تشغله الدنيا بكثرة زخارفها عن بذل ماله في سبيل الله عن طيب نفس.. حسبة لله وتقربًا إليه..

فبالرغم مما كان يتمتع به إمامنا من الثراء العظيم والدخل الكبير إلا أنه ما وجبت عليه زكاة قط!! فكان ــ رَحِمَهُ اللَّهُ ــ يتمتع بخلال حميدة.. باذلا العلم والمال لا يرجو إلا الله ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ والفوز برضاه، ولعل صفة الجود والكرم كانت من أهم الصفات التي تميزت بها شخصية الليث بن سعد.

ونعرض هنا بعض المواقف التي تدل على سعة كرمه وبذله وجوده.

ثراؤه الواسع وما وجبت عليه زكاة!!

فعلى الرغم مما تمتع به الإمام الليث من دخل كبير وثراء عريض.. إلا أنه لم تجب عليه الزكاة قط!! فبسبب كرمه -المنقطع المثيل- وإنفاقه لأمواله في وجوه الخير، وجوده على الداني والقاصى، ووصله لأصحابه، لم يحل على دخله الحول.. ومن ثم لم تجب عليه الزكاة..!!

وقد اختلفت الروايات فيما يتعلق بدخله السنوي، وتراوحت الأقوال فيما بين عشرين ألف دينار، ونرى أن هذا الاختلاف مرده إلى فترات من حياته، فهي تعبر مثلاً عن دخله في مقتبل عمره، وعن دخله في نهاية حياته.. وهكذا.

والروايات التي تتحدث عن دخله تذكر -كلها تقريبًا- أنه لم يكن يدخر من دخله شيئًا، بل قد يكون مدينا في آخر العام..!!

يقول شعيب بن الليث: قال أبي: «ما وجبت عليّ زكاة قط منذ بلغت»[1].

من جميل عطائه:

ومن جميل عطائه ما رواه عباس بن حمد الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: سمعت: قتيبة يقول:

كان الليث يصلى في المسجد كل صلاة، يجيء على فرسه ويتصدق في كل صلاة على ثلاثمائة مسكين[2].

تقويمه المعوجّ بالصدقة:

وكان الليث يعلم تمام العلم أن المال مال الله، وما هو إلا مستخلف عليه ومسؤول عنه أمام الله ــ ﷻ ــ يوم القيامة، فاستغل هذه الأموال لطاعة الله والقرب منه عزَّ وجلَّ، ووصل أصحابه وزملائه.. ولم يكتف بذلك، بل وضع لنفسه منهاجًا تربويا يسير على دربه لتعديل سلوك السائلين..

يقول محمد بن موسى الصائغ: سمعت منصور بن عمار يقول: تكلمت في جامع مصر يومًا فإذا رجلان قد وقفا على الحلقة فقالا: أجب الليث، فدخلت عليه فقال: أنت المتكلم في المسجد؟ قلت: نعم: قال رد عليَّ الكلام الذي تكلمت به.

فأخذت في ذلك المجلس بعينه، فرقَّ وبكى حتى رحمته. ثم قال: ما اسمك؟ قلت: منصور. قال: ابن من؟ قلت: ابن عمار. قال: أنت أبو السرى؟ قلت: نعم. قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك، ثم قال: يا جارية فجاءت بكيس فيه

(١) راجع: كتاب تذكرة الحفاظ الذهبي، ط دار الكتب العلمية بيروت ج١ ص٢٢٥، البداية والنهاية لابن كثير ج٩ ص٥٩٢.

(٢) راجع: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ط بيروت ج١ ص٢٨٥، والليث بن سعد إمام أهل مصر للدكتور عبد الحليم محمود، بتصرف ص٣٨.

ألف دينار، فقال: يا أبا السرى، خذ هذا لك وصن هذا الكلام أن تقف به على أبواب السلاطين، ولا تمدحن أحدًا من المخلوقين بعد مدحتك لرب العالمين، ولك عليَّ في كل سنة مثلها، فقلت: رحمك الله، إن الله قد أحسن إلى وأنعم، قال: لا ترد عليَّ شيئًا أصلك به، فقبضتها وخرجت.

قال: لا تبطئ عليَّ، فلما كان في الجمعة الثانية أتيته، فقال لي: اذكر شيئًا فتكلمت. فبكى وكثر بكاؤه، فلما أردت أن أقوم قال: انظر ما في ثنى هذه الوسادة وإذا خمسمائة دينار، فقلت: عهدي بصلتك بالأمس قال: لا تردن عليَّ شيئًا أصلك به، متى رأيتك؟ قلت: الجمعة الداخلة؟ قال: كأنك فتت عضوًا من أعضائي، فلما كانت الجمعة الداخلة أتيته مودعًا فقال لي: خُذْ في شيء أذكرك به، فتكلمت فبكى وكثر بكاؤه، ثم قال لي: يا منصور انظر ما في ثنى الوسادة، فإذا ثلثمائة دينار قد أعدها للحج، ثم قال: يا جارية، هاتي ثياب إحرام منصور، فجاءت بإزار فيها أربعون ثوبًا..

قلت: رحمك الله، أكتفي بثوبين، فقال لي: أنت رجل كريم ويصحبك قوم فأعطهم، وقال: هذه الجارية لك[1].

جوده للغرباء:

وكان الليث ــ رَحِمَهُ اللَّهُ ــ يواسي الغرباء وأبناء السبيل، حتى إن لم يكونوا محتاجين، يقول أسد بن موسى:

كان عبد الله بن على يطلب بنى أمية فيقتلهم، فرحلت إلى مصر فدخلتها في هيئة رثة، فدخلت على الليث، فلما فرغ المجلس خرجت فتبعني خادم، فقال: اجلس حتى أخرج إليك، فجلست حتى خرج، وأنا وحدي، فدفع لي صرة فيها مائة دينار وقال:

يقول لك الليث: أصلح بهذه النفقة أمرك، ولمَّ شعثك، وكان معي في حجرتي

(١) صفة الصفوة للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى، الطبعة الأولى ١٩٩٤ دار ابن خلدون. المجلد الثاني ص٤٧١-٤٧٢.

ألف دينار، فأخرجتها له وقلت: استأذن لي على الشيخ، فدخلت فأخبرته بنسبي، فقال، إنها صلة وليست صدقة، واعتذرت إليه عن قبول صلته، وقلت: أكره أن أُعَوِّد نفسي عادة وأنا عنها غني، قال: فادفعها إلى بعض أصحاب الحديث ممن تراه مستحقًا لها، فلم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها في جماعة[1].

جوده على المترددين عليه:

يقول أبو حاتم بن حبان: «كان الليث لا يتردد إليه أحد إلا أدخله في جملة عياله ما دام يتردد إليه، ثم إن أراد الخروج زوده بالبلغة إلى وطنه»[2].

إنفاقه على رجال الحديث:

ولم يقتصر كرمه وجوده ووصله على الفقراء والمساكين... بل تعدى كل ذلك؛ ليصل إلى أعظم القربات. فكان -رحمه الله- يُكثر من النفقة على طلاب العلم، وكذلك الشيوخ لا سيما رجال الحديث[3].

صلته للإمام مالك:

يقول ابن وهب: «كان الليث بن سعد يصل مالك بن أنس بمائة دينار في كل سنة، فكتب مالك إليه: أنَّ عليه دينًا فبعث إليه بخمسمائة دينار».

يقول أبو صالح كاتب الليث: كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا ــ أي: احتجب ــ فقلنا: ليس يشبه هذا صاحبنا، قال: فسمع مالك كلامنا، فأمر بإدخالنا عليه، فقال لنا: من صاحبكم؟ قلنا: الليث بن سعد، قال: تشبهوني برجل كتبت إليه في قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا، فأنفذ إلينا منه ما صبغنا به ثياب صبياننا، وثياب جيراننا، وبعنا الفضل بألف دينار!!

ويقول قتيبة بن سعيد: سمعت شعيب بن الليث يقول: «خرجت مع أبي

(١) راجع الليث بن سعد (مرجع سابق) ص٣٩-٤٠.
(٢) الليث بن سعد ص٣٨.
(٣) حلية الأولياء ج٧ ص ٣٢١، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ص٢١ ص٢٥٤.

حاجًا، فقدم المدينة، فبعث إليه مالك بن أنس بطبق فيه رطب، قال: فجعل على الطبق ألف دينار، وردَّه إليه»[1].

جوده في الشتاء.. وجوده في الصيف:

يقول أشهب: كان الليث لا يرد سائلاً، وكان يطعم الناس الهرائس بعسل النحل، وسمن البقر في الشتاء.

وكان يطعمهم في الصيف بشيء من اللوز والسكر.. [2].

ولعل تخصيصه لهذه المأكولات في تلك الأوقات لعلمه أن الجسم يحتاج لهذه العناصر في هذه الأوقات، أو أن مواد تصنيع هذه المأكولات كانت لا تتوافر إلا في هذه الأوقات..

جوده في النوائب:

.. وكان الليث (رضي الله عنه) يُعين على نوائب الدهر ومصائبه، «ولما احترقت كتب ابن لهيعة بعث إليه الليث بن سعد بألف دينار»[3]؛ ليساعد على شراء الكتب التي تلزمه لمواصلة البحث والدرس..

ومن أجمل أنواع الكرم الليثي ما تعبر عنه القصة التالية التي يرويها الحارث بن مسكين، يقول: «اشترى قوم من الليث بن سعد ثمرة فاستغلوها، فاستقالوه فأقالهم، ثم دعا بخريطة فيها أكياس، فأمر لهم بخمسين دينار، وقال: اللهم غفرا، إنهم قد كانوا أملوا فيه أملاً، فأحببت أن أعوِّضهم من أملهم بهذا..».

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ج٩ ص٥٩٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي. ط بيروت ج١ ص٢٢٥، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢١ ص ٢٥٣، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٣ ص٨-٩.

(٢) راجع: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢١ ص٢٥٢، الليث بن سعد إمام أهل مصر ص٣٨.

(٣) تذكرة الحفاظ ج١ ص٢٢٥، صفة الصفوة ج٢ ص٢٤٧٣، ومختصر تاريخ دمشق ج٢١ ص٢٥٣.

وجاءت امرأة إلى الليث فقالت: يا أبا الحارث، إن ابنًا لي عليلًا، واشتهى عسلاً، فقال: يا غلام، أعطها مرطًا[1] من عسل، وكان مع المرأة إناء صغير الحجم، فلما رآه كاتب الليث راجع الليث قائلاً، إنها تطلب قليلاً من العسل، فقال الليث: إنها طلبت على قدرها، ونحن نعطيها على قدرنا، وأمره أن يعطيها المرط[2].

لقد كان الليث ــ رَحِمَهُ اللَّهُ ــ مثالا يُحتذى به في الخلق النبيل.. كان لين الجانب.. رقيق النفس.. رضيَّ الخلق، وكان مقصد ذوي الحاجة، لا حجاب بينه وبينهم، وكان رقيق القلب، عطوفًا على الناس، رحيما بهم، لا يألو جهدًا في التوسعة عليهم والرفق بهم، لا سيما إذا علم من أمر أحدهم ما يقتضى ذلك.

وبعد هذا العرض لبعض ما تحلى به الليث من خلال عظيمة وصفات نبيلة لا سيما صفة الجود والكرم، أقول: إن كان العَرب قد جعلوا حاتم الطائي مضرب المثل في الجود والكرم، فإن الليث بن سعد أحق بذلك منه..

* * *

(١) والمرط عشرون ومائة رطل.

(٢) تذكرة الحفاظ ج١ ص٢٢٥.

المبحث الخامس

منزلته في الرواية ومكانته العلمية

المطلب الأول

منزلته في الرواية جرحًا وتعديلا

لما تصفحنا كتب الرجال والطبقات وكتب السير والتاريخ والجرح والتعديل وجدنا أن إمامنا الليث بن سعد (رضي الله عنه) كان إمامًا لأهل مصر كلها، وكان محدثًا ثقة ثبتًا، كثير العلم صحيح الحديث.

كان محدثًا من طراز المحدثين المتخصصين في الحديث، الذين لا يقتصرون على جانب دون آخر[1].

وبعدما علمنا أنه كان محدثًا.. نود أن نعرف رأى علماء الجرح والتعديل فيه؟

نبدأ برأي الإمام أحمد بن حنبل فيه:

يقول أحمد بن سعد الزهري: سمعت أحمد بن حنبل، وقد سئل عن الليث بن سعد، فقال: ثقة ثبت.

وقال: «الليث كثير العلم، صحيح الحديث»[2].

ويقول الحسين بن إدريس الأنصاري: حدثنا أبو داود، قال: سمعت أحمد يقول: «ليس فيهم ــ يعني أهل مصر ــ أصح حديثًا من الليث بن سعد، وعمرو

(١) الليث بن سعد إمام أهل مصر للدكتور عبد الحليم محمود ص ٤٨ بتصرف.

(٢) عوالي الليث بن سعد لقاسم بن قطلو بغا، تحقيق: عبد الكريم بكر الموصلي، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م، الناشر مكتبة دار الوفاء. ص٤٨.

بن الحارث يقاربه»[1].

وقال ابن خراش: «الليث صدوق، صحيح الحديث»[2].

وقال حنبل: سُئلَ أحمد: ابنُ أبي ذئب أحب إليك عن المقبُرى أو ابنُ عجلان؟ قال أحمد: ابنُ عجلان اختَلَطَ عليه سماعُه مِن سماعِ أبيه، والليثُ أحبُّ إلىَّ منهم في المقُبرى[3].

وقال عثمان الدَّارمى: سمعت يحيى بن مَعين يقول: «اللَّيْثُ أحبُّ إلىَّ من يحيى بنِ أيوب، ويحيى ثقة..

قلت: فكيف حديثه عن نافع؟

فقال: صالح، ثقة»[4].

وقال ابن وهب: «.. وأخبرني من أثق به من أهل العلم» فهو الليث بن سعد. وقال أيضًا: «لولا مالك والليث بن سعد لضلّ الناس»[5].

وقال:.. وكان الليث ثقة سريًّا سخيًّا[6].

وقال الأثرم: سمعت أبا عبد الله يقول: «ما في هؤلاء المصريين أثبتُ من الليث، لا عمرو بن الحارث ولا أحد، وقد كان عمرو بن الحارث عندي، ثم رأيتُ له أشياء مناكير، ما أصحَّ حديث ليث بن سعد..!! وجعل يُثنى عليه،

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ج٨ ص١٥٤، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢١ ص٢٥٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ج٨ ص١٥٥.

(٣) تاريخ بغداد ١٣/١٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٥٥/٨.

(٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، ط. دار الثقافة بيروت. المجلد الرابع ص١٣٠.

(٦) المصدر السابق ص ١٢٧.

فقال رجل لأبي عبد الله: إن إنسانًا ضعَّفَه. فقال: لا يدرى»[١].

ثم يستطرد الأثرم قائلاً:

«سمعت أبا عبد الله يقول: لا أعلم أحدًا أحسن حديثًا عن بكير بن عبد الله من ليث بن سعد..

وقال: هو أحسن حديثًا عندي من عمرو بن الحارث، ومن ابن لهيعة.

قلت له: ومن ابن عجلان؟ قال: وكم يروى ابن عجلان عن بكير؟ ما أيسرها!!» [٢].

وقال عبد الله بنُ أحمد: سمعتُ أبي يقول: أصحُّ الناسِ حديثًا عن سعيد المقُبرى ليثُ بن سعد، يفصل ما روى عن أبي هريرة، وما عن أبيه عن أبي هريرة. هو ثَبتٌ حديثه جدًا.

وقال الدار قطني: «هو أحفظ الجماعة عن المقبرى»[٣].

ويروى النسائي كثيرًا من الأحاديث التي رواها الليث، ويقول: «أبو الحارث الليث بن سعد المصري، ثقة»[٤].

وقال على بن المديني: «الليث ثبت»[٥].

وقال الشافعي: «الليث أتبع للأثر من مالك»[٦].

---

(١) راجع: تاريخ بغداد ١٢/١٣، سير أعلام النبلاء ج٨ ص١٥٤، وتذكرة الحفاظ ج١ ص٢٢٦، والجرح والتعديل ١٧٩/٧، طبقات علماء الحديث للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحى توفى سنة ٧٤٤هـ ط. مؤسسة الرسالة -بيروت- الطبعة الثانية ١٩٩٦م ج١ ص٣٣٣.

(٢) انظر: الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم -جمع ودراسة صالح بن حامد الرفاعى ط. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- المجلس العلمي سنة ١٤١٣هـ ص٧٦.

(٣) سير أعلام النبلاء -ج ص١٥٤، تاريخ بغداد ١٢/١٣.

(٤) طبقات علماء الحديث ج١ ص ٣٣٣.

(٥) سير أعلام النبلاء ج٧ ص١٥٦، والجرح والتعديل ١٨٠/٧.

(٦) عوالي الليث بن سعد ص٤٨، سير أعلام النبلاء ج٨ ص١٥٦، تهذيب الكمال ص١١٥٤.

وقال النووي: «أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته في الحديث»[١].

وقال ابن حجر:

قال ابن أبي حاتم: «سألت أبا زرعة: الليث يحتج بحديثه؟ قال: إي لعمرى».

وقال يحيى بن معين: ثبت[٢].

وقال شعيب بن الليث: قيل لأبي: إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك فقال: لو كتبت ما في صدري في كتب، ما وسعه هذا المركب[٣].

وقال العجلي: «الليث مصري ثقة»[٤].

ومما يؤكد المنزلة العالية التي بلغها الليث بن سعد في الحديث، ما قاله الإمام مسلم ابن الحجاج: «الليث بن سعد ثقة ثبت فقيه إمام مشهور»[٥].

وقال الإمام الذهبي ــ في وصف الليث بن سعد: «.. وكان رحمه الله طَلاّبةً للعلم، ولا يرى التدليس، وقد سمع من الزهري.. »[٦].

قال ابن سعد في الليث: كان قد استقل بالفتوى في زمانه، وكان ثقة كثير الحديث». وقال أبو زرعة: صدوق، ووثَّقه العجلي وابن المديني والنسائي

(١) المرجع السابق.

(٢) الليث بن سعد (مرجع سابق) ص٥١.

(٣) عوالى الليث بن سعد ص ٤٨.

(٤) تهذيب التهذيب ج٨ ص٤٦٢.

(٥) الكنى والأسماء للإمام مسلم بن الحجاج -تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري ط. المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- المملكة العربية السعودية -الطبعة الأولى- سنة ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م ج١ ص٣٢٥.

(٦) تاريخ الإسلم ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ «حوادث ووفيات ١٧١- ١٨٠هـ» تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م الناشر دار الكتاب العربي. ج١١ ص ٣١٣.

والخطيب[1].

وجاء في البداية والنهاية لابن كثير: أن الإمام الليث بن سعد كان إماماً للديار المصرية بلا مدافعة.. وكان رحمه الله جيد الذهن[2].

وقال يعقوب بن شيبة ومحمد بن سعد وآخرون: الليث ثقة.

ويقول صاحب ميزان الاعتدال: «الليث بن سعد الفهمي أبو الحارث: أحد الأعلام والأئمة الإثبات ثقة، حجة بلا نزاع، وكان محدثًا ثقة، وكان واسع الأفق، رحب الصدر، يتصرف بذكاء وحكمة»، ومما يروى عنه في ذلك ما ذكره صاحب الحلية، قال: عن عمر بن سلمة قال:

«تكلم الليث بن سعد في مسألة، فقال له رجل: يا أبا الحارث في كتابك غير هذا؟ قال: في كتابي أو في كتبنا، ما إذا مر بنا هذبناه بعقولنا وألسنتنا»[3].

وعن أحمد بن صالح -وذكر الليث- فقال: «إمامٌ قد أوجب الله علينا حقَّه، لم يكن بالبَلد بعد عمرو بن الحارث مِثْلُه». وقال سهل بنُ أحمد الواسطى: سمعت الفلاس يقول: «ليثُ بن سَعد صدوق، سمعت ابنَ مَهْدىَ يُحَدِّث عن ابن المبارك، عنه»[4].

قال ابنُ سعد: «استَقلَّ الليثُ بالفتوى، وكان ثقةً، كثيرَ الحديث، سَرِيًّا من الرِّجال، سخيًّا، له ضيافة»[5].

---

(١) ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم تخريج الحافظ أبي الحسن على بن عمر بن أحمد الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥هـ دراسة وتحقيق: بوران الضناوي -كمال يوسف الحوت- ط. مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م. ص٣٠٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ط. دار المعرفة بيروت سنة ١٩٩٦م ٥٩٢/٩، والعبر في خبر من غبر لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي، ط. دار الكتب العلمية بيروت ب. ت ص ٢٠٦.

(٣) الليث بن سعد. د. عبد الحليم محمود (مرجع سابق) ص٥١ وما بعدها بتصرف.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٥٥/٨.

(٥) المصدر السابق.

وقال صاحب كتاب تاريخ الثقات:

«الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمى أبو الحارث الإمام المصري، متفق على توثيقه، وأخرج له الجماعة»[(١)].

أما صاحب كتاب الجرح والتعديل: فأورد الليث بن سعد، وذكر أهم من روى عنهم وأهم من رووا عنه، وأنه أثبت المصريين، ويؤكد كذلك على أنه ثقة، وكثير العلم مستدلاً بأقوال بعض العلماء فيقول:

حدثنا عبد الرحمن قال: سمعت أبا زرعة يقول: سمعت يحيى بن عبد الله بن بكير يقول: الليث أفقه من مالك ولكن كانت الحظوة لمالك، والليث أتبع للأثر من مالك.

حدثنا عبد الرحمن قال: سمعت أبا زرعة يقول: سمعت ابن بكير يقول: سمعت الليث يقول، قال لي أبو جعفر أمير المؤمنين: يعجبني ما رأيت من عقلك وأن يبقى الله -ﷻ- في الرعية مثلك[(٢)].

وقال يحيى بن مَعِين: كان يتساهل في الشيوخ والسماع، وكان مِنْ أهل المعرفة[(٣)].

---

(١) تاريخ الثقات للإمام الحافظ أحمد عبد الله بن صالح أبي الحسن العجلي، تحقيق د. عبد المعطى قلعه جى ط. دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ص٣٩٩، تهذيب التهذيب ٤٥٩/٨.

(٢) راجع: كتاب الجرح والتعديل للإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام أبي محمد عبد الرحمن ابن الإمام الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمى الحنظلي الرازي المتوفى سنة ٣٢٧هـ ص١٧٩-١٨٠ القسم الثاني من المجلد الثالث -الطبعة الأولى- طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ط. ب. ت.

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ تحقيق: على محمد البخاوي، فتحية على البخاوى، ط. دار الفكر العربي ط. ب. ت. المجلد الرابع رقم الليث ٦٩٩٨ وانظر: التاريخ الكبير للبخاري ٢٤٦/٧ والتذكرة ٢٠٧/١ والتاريخ الصغير ط. دار المعرفة بيروت لبنان ١٩١/٢.

وذكر أبو الوليد الطيالسى أنّ رواية الليث عن بُكير بن الأشَجّ مناولة[١]. قال عبد الله بن أحمد: ذكرتُ هذا لأبي فأنكره. وقال: الليث يقول: حدثني بكير. قد سمع من بكير نحو ثلاثين حديثًا..

قلت: لولا أَنَّ النباتي ذكر الليثَ في تذييله على الكامل لما ذكرتُه؛ لأنه ما هو بدون مالك ولا سفيان،وما تساهل فيه الليث فهو دليلٌ على الجواز لأنه قدوة[٢].

ويقول الإمام أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي ما قرره ابن سعد: بأن الليث بن سعد كان ثقة كثير الحديث صحيحه[٣] وكان قد استقل بالفتوى في زمانه[٤].

وقبل أن يتوقف القلم نقرر ما قرره العلماء الكبار بأن الليث بن سعد كان ثقة ثبتًا، إمامًا مشهورًا، وهو من الثقات في رواية الحديث عن رسول الله (ﷺ)،

(١) المناولة: هي الطريقة الرابعة من طرق نقل الحديث وروايته، فالطريقة الأولى هي: السماع من الشيخ، والثانية: القراءة على الشيخ، والثالثة: هي الإجازة بأن يقول الشيخ للطالب أجزتك رواية كتاب كذا عنى، أما الطريقة الرابعة: فهي المناولة وذلك بأن يناول الشيخ الطالب كتابا سواء كان بالتمليك أو الإعارة، ويقول له: ارو عني. ويعتبر ذلك صورة من صور الإجازة بل أعلى أنواعها، وهناك صورة أخرى للمناولة وهي أن يجيء الطالب بكتاب إلى الشيخ فينظر فيه ويفيد أنه أحد مروياته عن بعض شيوخه ثم يجيز له روايته عنه. انظر: دراسات حول السنة -دكتور محمد إبراهيم الجيوشي ط. دار الهدى للطباعة سنة ١٩٨٧م ص١٠٥-١٠٩ بتصرف.

(٢) ميزان الاعتدال رقم الليث: ٦٩٩٨.

(٣) راجع: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ٣١٩-٣٨٨هـ تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، ط. المملكة العربية السعودية -جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة الجزء الأول ص١٢٥، الطبقات الكبرى لابن سعد ط. دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٠م ج٧ ص٣٥٨.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ط. دار صادر بيروت. ج٧ ص٥١٧.

وهو من ثقات الزهري ومعدود في الطبقة الثانية منهم؛ لأنه لم يلازم الزهري إلا فترة يسيرة، وإنما لقيه بمكة سنة ثلاث عشرة ومائه في موسم الحج فأخذ عنه[١].

وقد وثَّق يحيى بن معين الليثَ بن سعد في الزهري: فقد ذكره الدارمى في أصحاب الزهري ــ وسأل ابن معين عنه ــ فقال: «قلت: فإبراهيم بن سعد أحب إليك أو ليث؟ فقال: كلاهما ثقتان[٢]».

وقد احتج كل من البخاري ومسلم بأحاديث الليث بن سعد عن الزهري، ولم يورده ابن حجر في مقدمة الفتح فيمن طعن فيهم من رجال البخاري[٣].

وعلى الرغم من أن الإمام الليث بن سعد قد وثَّقه جماهير علماء الحديث.. إلا أن الدار قطنى قد انتقد بعض الأحاديث التي رواها البخاري من طريق الليث بن سعد عن الزهري، فذكرها ابن حجر في مقدمة الفتح، وأجاب عنها إجابات شافية رجَّح فيها صحة ما رواه الليث عن الزهري[٤].

ونقول بأن نقد الدار قطني لا يقدح في حديث الليث عن الزهري، وإنما يدل فقط على أن الليث دون الطبقة الأولى «طبقة الكبار» من أصحاب الزهري الذين لازموه فترات طويلة، أما الليث فلم يلازمه إلا مدة يسيرة، ويكفى أن الشيخين قد أوردا أحاديثه بكثرة في صحيحيهما، وكذلك لم يذكره ابن حجر في مقدمة الفتح فيمن طعن فيهم من رجال البخاري -كما أوضحنا- ل ذلك يدل على أنه كان ثقة.

---

(١) انظر: شروط الأئمة الخمسة للحازمي ص٤٨، وشرح العلل لابن رجب ٣٩٩/١، والمعرفة والتاريخ للفسوى ٤٤٣/٢.

(٢) الدارمى: تاريخه عن ابن معين رقم ٧.

(٣) شرح العلل لابن رجب ٤٨٢/٢.

(٤) راجع: هدى الساري لابن حجر ص ٣٥٥-٣٦٠ والأحاديث رقم ١٧-٣٢-٣٣.

الخلاصة:

أن الليث بن سعد ثقة إمام، وهو من ثقات أصحاب الزهري ومعدود في الطبقة الثانية منهم كما ذكر الحازمي، وقد صرح بالتحديث عن بكير بن عبد الله بن الأشج، وعبيد الله بن أبي جعفر، وخُرِّج حديثه عنهما في الصحيحين[1].

وفي النهاية نقول:

بأن الليث بن سعد كان من المحدثين الأعلام الإثبات الثقات..

* * *

(١) الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم (مرجع سابق) ص٧٨.

المطلب الثاني

مكانته العلمية

اشتهر الإمام الليث بن سعد (رضي الله عنه) بين العلماء، ولمع نجمه بوصفه محدثًا كبيرًا.. وقد شهد بمكانته في الفقه والحديث الحفاظ والأعلامُ.. وآثاره في الحديث لا تقتصر على الرواية فقط بل شهد له العلماء بمكانته ومعرفته بالدراية كذلك، فضلا عن ثقافته المتنوعة في شتى العلوم والمعارف..

ويرجع السبب في ثقافته ونبوغه السريع إلى: البيئة العلمية التي نشأ فيها.. فقد كان أبوه محبًّا للعلم وأهله، مدركًا أن العلم خير ما يزين الرجل العاقل.. فوفر له كل السبل لتحصيل ما يتاح من علوم ذلك الزمان.. فضلا عن ثرائه الواسع الذي ساعده على الترحال لطلب العلم في مصر وخارجها.. فلم يعرف ألم الحاجة طيلة حياته، ولم يمسه قرح من مطالب الدنيا.. وعاش ما عاش متمتعًا بكل ما أحله الله من متاع الحياة الدنيا..

فضلا عن ذلك تلمذته على أعظم شيوخ عصره الذين تخصصوا في ألوان مختلفة من العلوم والفنون والآداب والمعارف، إضافة إلى أنه كان شغوفًا بالعلم، حريصًا عليه حرصا بالغًا، حتى عُرف بذلك بين إخوانه وأقرانه، ونال التقدير والتبجيل والاحترام الذي يليق بمثله.. وقد جمع أصول العلوم مبكرًا؛ حتى أهّله علمه أن يزاحم العلماء ويضارعهم وهو في سن مبكرة.. !!

يقول يحيى بن بكير: أخبرني من سمع الليث بن سعد قوله: «كتبت من علم ابن شهاب علمًا كثيرًا وطلبت ركوب البريد إليه إلى الرُّصافة فخفت ألا يكون ذلك لله فتركته.. ودخلت على نافع فسألني: من أين؟ فقلت: مصري، فقال: من أيهم، فقلت: من قيس.

قال: ابن كم؟ قلت: عشرين سنة، فقال أما لحيتك فلحية ابن أربعين»[1].

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج١٥ ص٤٤٢.

وروى عن ابن إسحاق أنه قال: «أدركت الناس أيام هشام الخليفة، وكان الليث بن سعد حدث السن، وكان بمصر عبد الله بن أبي جعفر، وجعفر بن ربيعة، ويزيد بن أبي حبيب، وابن هبيرة، وإنهم يعرفون لليث فضله وورعه وحسن إسلامه على حداثة سنه. وقال ابن بكير: لم أر مثله، وروى عن أبيه قوله: «ما رأيت أحدًا أكمل من الليث بن سعد».

وكان (رضي الله عنه) بطبيعته إذا علم علّم، وإذا لم يعلم سأل عن حاجته من يجد عنده ضالته، يقول الليث: «كنا بمكة سنة ثلاث عشر، وعلى الموسم سليمان بن هشام، وابن شهاب، وعطاء بن أبي رباح، وابن أبي مليكة، وعمر بن شعيب، وقتادة بن دعامة، وعكرمة بن خالد، وأيوب بن موسى، وإسماعيل بن أمية، فكسفت الشمس بعد العصر، فقاموا قيامًا يدعون الله في المسجد، فسألت أيوب بن موسى ما يمنعهم صلاة رسول الله (ﷺ) فقال أيوب ابن موسى: نهى عن الصلاة بعد العصر والنهى يقطع الأمر»[1]، وهكذا كان الليث دائم السؤال عما لا يعرفه..

وكان هذا العالِم الكبير سباقًا في كل شيء.. فكما عرف عنه تنافسه في الخير -حتى لم يضارعه فيه أحد من أهل زمانه- كان في العلم أكثر سبقًا وحظا..

ويقول: حججت أنا وابن لهيعة، فلما صرت بمكة رأيت نافعًا، فأقعدته في دكان علاف، فمرَّ ابن لهيعة، فقال: من هذا الذي معك؟ قلت: مولى لنا. فلما قدمت مصر قلت: حدثني نافع، فوثب ابن لهيعة فقال: يا سبحان الله..

فقلت: ألم تر الأسود معي في دكان العلاف بمكة؟ فقال لي: نعم، فقلت: ذاك نافع، فحج قابلاً فوجده قد توفى.

وقال: وفد الأعرج يريد الإسكندرية[2] فرآه ابن لهيعة، فأخذه فلم يزل عنده يحدثه حتى اكترى له سفينة، وأحضره إلى الإسكندرية، فخرج وقعد

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج١٥ ص٤٤٢، تهذيب سير أعلام النبلاء ج٢ ص٧٤٠.
(٢) هي إحدى محافظات مصر والعاصمة الثانية لها.

يحدث هناك، فقال ابن لهيعة: حدثني الأعرج عن أبي هريرة، فقلت[1]: الأعرج، متى رأيته؟

قال: إذا أردته هو بالإسكندرية، فخرج الليث إلى الإسكندرية فوجده قد مات.!!

وهكذا أهلته طبيعته الدؤوبة على البحث والدرس أن يجلس مكان ابن شهاب الزهري بعد رحيله في حلقته، يدرِّس فيها مما أفاء الله عليه دون منازع ولا مانع..

وقيل لليث بن سعد: أمتع الله بك إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك، قال: أو كلُّ ما في صدري في كتبي؟!

لو كتبت ما في صدري ما وسعه هذا المركب[2].

وتكلم الليث بن سعد في مسألة، فقال له رجل: يا أبا الحارث في كتابك غير هذا.

قال: ما مر بنا هذبناه بعقولنا وألسنتنا[3].

قال بكر بنُ مُضر: قَدِمَ علينا كتابُ مروانَ بن محمد إلى حَوْثَرَة[4] والي مصر: إني قد بعثتُ إليكم أعرابيًّا بدويًّا فصيحًا فَأجْمَعُوا له رجلاً يُسدّده في القضاء، ويُصوِبُهُ في المنطق، فأجمع رأيُ النَّاس على الليث بنِ سعد، وفي الناس

(١) أي: الليث.

(٢) تاريخ بغداد ج١٣ ص٩.

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ -تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ج١ ص٢٨٥-٢٨٦ ب. ت.

(٤) هو: حوثرة بن سهيل أخو عجلان بن سهيل الباهلي، كان بدويا قحا، فصيح اللسان، صاحب رأى وتدبير وقوة وخبرة بالحروب، ولي مصر سنة١٢٨هـ لمروان بن محمد، واستمر إلى سنة إحدى وثلاثين ومئة، ثم عزله مروان، وبعثه إلى العراق لقتال الخراسانية دعاة بني العباس، فقتل هناك سنة ١٣٢هـ راجع: «النجوم الزاهرة» ٣٠٥/١.

معلماه: يَزيد بنُ أبي حَبيب، وعمرو بنُ الحارث[1].

ومجالس الإمام الليث بن سعد خير شاهد على مكانته العلمية المتميزة بين علماء عصره.

* * *

(١) تاريخ الإسلام ص٣١٢، سير أعلام النبلاء ج٨ ص١٥٨ -١٥٩ بتصرف.

المطلب الثالث

مناقب الإمام المجدد الليث بن سعد

ومناقب الإمام الليث بن سعد كثيرة، نقطف من بساتينها بعض الزهرات:

يقول الإمام شمس الدين محمد الذهبي: «مناقب الليث عديدة وهو إمام حجة كثير التصانيف[١]، بين أبي العباس بن الشحنة، وبينه ستة أنفس، وهذا غاية العلو»[٢].

ومن مناقبه ما قاله أحمد بنُ صالح: أعضلت الرشيدَ مسألةٌ «فجمع لها» فقهاء الأرض ــ فلم يستطع أحد حلها ــ حتى أشخصَ الليث، فأخرجَه منها[٣].

ومن جميل مناقبه ما قاله ابن كثير:

«بعث إليه مالك يستهديه شيئًا من العصفر لأجل جهاز ابنته، فبعث إليه بثلاثين حملاً، فاستعمل منه مالك حاجته، وباع منه بخمسمائة دينار، وبقيت عنده منه بقية. وحج مرة فأهدى له مالك طبقًا فيه رطب، فرد الطبق وفيه ألف دينار.

وكان يهب الرجل من أصحابه الألف دينار وما يقارب ذلك، وكان يخرج إلى الإسكندرية في البحر هو وأصحابه في مركب، ومطبخه في مركب، ومناقبه كثيرة جدًا»[٤].

روى عبد الملك[٥] بن شُعيب عن أبيه، قال: قيل للَّيث: أمتعَ الله بك، إنَا

---

(١) هكذا وردت العبارة على لسان الإمام الذهبي ولم يذكر هذه التصانيف ولا واحدًا منها..!!

(٢) تذكرة الحفاظ جـ١ ص ٢٢٦.

(٣) سير أعلام النبلاء جـ٨ ص ١٥٩.

(٤) البداية والنهاية ٥٩٢/٩.

(٥) هو حفيد الليث بن سعد، وهو عبد الملك بن شُعَيب بن الليث بن سعد المصري «ت سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م»، سمع أباه، وابنَ وهب، وكان أحد الفقهاء.

نسمع منك الحديثَ ليس في كُتُبِكَ، فقال: أو كلُّ ما في صدري في كتبي؟ لو كتبتُ ما في صدري، ما وَسعه هذا المركبُ. رواها الحافظ ابنُ يونس بقوله حدثنا أحمدُ بنُ محمد بنِ الحارث، حدثنا محمد بنُ عبد الملك، عن أبيه[1].

ومن جميل مناقبه.. أن بعض أصحاب الليث وقفوا على باب الإمام مالك بن أنس (رضي الله عنه) فامتنع عليهم.

فقالوا: ليس يشبه هذا صاحبنا.

فلما سمع مالك كلامهم أمر بإدخالهم عليه، وقال لهم: من صاحبكم؟

قالوا: الليث بن سعد.

قال: تُشبهوني برجل كتبتُ إليه في قليل عُصْفرٍ نصبغ به ثيابَ صبياننا فأنفذ إلينا منه ما صبغنا به ثيابَ صبياننا وثياب جيراننا وبعنا الفضل بألف دينار[2].

يقول أبو نعيم: حدَّثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى، حدثنا محمد بن إسحاق «هو السراج» سمعت قتيبة بن سعيد يقول: «قفلنا مع الليث من الإسكندرية وكان معه ثلاث سفائن، سفينة فيها مطبخه، وسفينة فيها عياله[3]، وسفينة فيها أضيافه». وبه[4] إلى أبي نعيم، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثنا عبد الله بن صالح قال: «صحبتُ الليث عشرين سنة فكان لا يتغذى وحده، ولا يتعشى وحده، إلا مع الناس»[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء جـ٨ ص١٥٣.

(٢) جاء في البداية والنهاية: أن الإمام مالك باع من العصفر بخمسمائة دينار وبقيت بقية، وجاء في المصادر الأخرى أنه باع الفضلة بألف دينار، وأرى أنه لا تعارض بين هذه الروايات، فيجوز أنه باع الفضلة من العصفر على مرتين، المرة الأولى بخمسمائة والأخرى بخمسمائة، فيكون مجموع ما باعه من العصفر المتبقي ألف دينار، ومن ثم فلا تعارض.

(٣) بحثنا كثيرًا في المصادر عن عياله فلم نستدل إلا عن ابنه شعيبا، وحفيده عبد الملك.

(٤) أعنى: بالسند.

(٥) الرحمة الغيثية، لابن حجر، ص٢١- ٢٣ بتصرف.

ومن عظيم مناقبه ما قاله أبو حاتم بن حبان: كان الليث لا يتردد إليه أحد إلا أدخله في جملة عياله ما دام يتردد إليه، ثم إنْ أراد الخروج زوَّده بالبلغة - ما يتبلغ به الإنسان في سفره- إلى وطنه[1].

وانظر إلى منقبة جليلة تدل على صدق النية والإخلاص لله ـ ﷻ ـ في كل شيء، قال الحارث بن مسكين: «اشترى قوم من الليث بعض ثماره بمال، ثم إنهم ندموا، فاستقالوه، فأقالهم، ثم استدعاهم فأعطى لهم خمسين دينارًا، وقال: إنهم كانوا أمّلوا أملاً فأحببتُ أن أعوِّضهم»[2]. ومن أعظم مناقبه أنه -رحمه الله- ما وجبت عليه زكاة قط!! لأنه كان لا يحول عليه الحول إلا وهو متصدق بكل ما عنده، على الرغم من أن دخله في كل سنة كان يربو على ثمانين ألف دينار.

* * *

(١) المرجع السابق.

(٢) الرحمة الغيثية، ص ٢١، ٢٣، بتصرف.

المطلب الرابع

ثناء العلماء عليه

لما طالعنا كتب السير والرجال والطبقات والجرح والتعديل والتاريخ، وجدنا أن الإمام الليث بن سعد قد حظي بالثناء الجميل المنقطع النظير، والإكبار العظيم من شيوخه ومن تلاميذه، ومن معاصريه وممن أتوا من بعده إلى يومنا هذا..

لقد أحبه ربه -ﷻ- الذي قذف حبه في قلب كل من رآه أو سمع به أو قرأ عنه.

ولقد بلغ الليث هذه المنزلة بحلمه وعلمه وجوده وكرمه وزهده وتقواه، وإخلاصه لله تعالى، عاش عمره يعطى السائل أكثر مما يسأل، ويرى أن صاحب المال مستخلف فيه؛ لينفقه فيما يرضى الله ورسوله، وفيما يسعد الناس، فعلى الرغم من ثرائه العريض فما وجبت عليه زكاة قط.. فما حال عليه الحول إلا وقد أنفق كل ما عنده..!!

عاش حياة مترفة بما أحل الله له، وكان يقتنى أغلى الكتب وأندرها، مهما يكلفه الحصول عليها من مال أو عناء.. حتى أصبح موسوعة من المعارف في علوم الحديث والشريعة والأدب واللغة والفلسفة.. الخ

وهنا أتوقف لأنقل للقارئ شهادات العلماء الخالدة التي سطروها في شأن إمامنا الليث بن سعد (رضي الله عنه).

يقول صاحب كتاب تاريخ بغداد: قال ابنُ بكير: كان الليثُ فقيهَ البلد، عربيَّ اللسان، يُحْسِنُ القرآن والنحو، ويحفظُ الحديثَ والشعرَ، حسن المذاكرة. فما زال يذكر خِصالاً جميلةً، ويَعْقِد بيده، حتى عقد عشرة، لم أرَ مثلَه[1].

قال أحمد الأبَّار: حدثنا أبو طاهر، عن ابنِ وَهْب، قال: لولا مالكٌ والليث

(١) تاريخ بغداد ٦/١٣، الوفيات ١٣٠/٤.

لهلكتُ، كَنتُ أَظنُّ كلَّ ما جاء عن النبي (ﷺ) يُفعل به[1].

وقال عبد العزيز بنُ محمد: «رأيتُ الليث عند ربيعَة يُناظرهم في المسائل، وقد فَرْفَرَ أهْلَ الحلقة»[2].

وقال أبو إسحاق ينُ يونس الهَرَوي: حدثنا الدَّارميُّ، حدثنا يحيى بنُ بُكَير، حدثنا شُرَحبيلُ بنُ جميلٍ قال: أدركتُ الناس أيامَ هشام بن عبد الملك، وكان الليث بنُ سعد حَدَثَ السنِّ، وكان بمصرَ عُبيدُ الله بن أبي حبيبٍ، وابن هُبَيْرة، وإنهم يَعْرِفُون للَّيثِ فضْله وورعَه وحُسْنَ إسلامه على حَدَاثَةِ سنه، ثم قال ابنُ بكير: لم أر مثلَ الليث!!

وروى عبدُ الملك بنُ يحيى بنِ بُكَير، عن أبيه، قال: ما رأيتُ أحدًا أكمل من الليث[3].

وقال أحمد بن حنبل: «ما في هؤلاء المصريين أثبت من الليث، لا عمرو بن الحارث ولا غيره ما أصح حديثه!! وجعل يثنى عليه».

وقال الذهبي: «كان الليث ــ رحمه الله ــ فقيه مصر ومحدثها ومحتشمها ورئيسها، ومن يفتخر بوجوده الإقليم، بحيث إن متولي مصر وقاضيها وناظرها من تحت أوامره، ويرجعون إلى رأيه ومشورته، ولقد أراده، الخليفة المنصور أن ينوب له على الإقليم، فاستعفى من ذلك.!!

وقال أبو يعلى الخليلي: «كان إمام وقته بلا مدافعة».

وقال ابن حبان: «كان الليث من سادات أهل زمانه فقهًا وعلمًا وحفظًا وفضلاً، وكرامة».

وقال النووي: «أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته في الفقه

---

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، جـ٨ ص١٤٨.

(٢) «تاريخ بغداد» ٥/١٣، وفرفر أهل الحلقة: أي: كسرهم وغلبهم بحجته، وإذا جعلت «أهل» فاعل لفرفر، فيكون المعنى: إن أهل الحلقة استبد بهم الطيش والخفة لقوة عارضة الليث، وبراعة استدلاله.

(٣) سير أعلام النبلاء ص ١٤٦.

والحديث»[1].

وقال ابن أبي مريم: «ما رأيت أحدًا من خلق الله أفضل من الليث، وما كانت خصلة يتقرب بها إلى الله إلا كانت تلك الخصلة في الليث»[2].

وجاء في البداية والنهاية لابن كثير: أن الإمام الليث بن سعد كان إمامًا للديار المصرية بلا مدافعة، وكان ــ رَحِمَهُ اللَّهُ ــ جيد الذهن، قال عنه الشافعي: كان الليث أفقه من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه[3].

وقال عمرو بن خالد الحرَّاني:

قلت لليث: يا أبا الحارث، بلغني أنَّك أخذت بركاب الزُّهري؟

قال: للعلم، فأمَّا غيرُ ذلك فلا، والله ما أخذتُ بركاب والدي الذي ولدني.

وقال سعيد بن أبي أيوب: «لو أنَّ مالكًا فيمن يزيد ــ قال: وهو يضرب يده على الأخرى».

وقال الشافعي: «الليث بن سعد أتبع للأثر من مالك بن أنس»[4].

وقال عبد العزيز الدَّرَاوَرْدي: لقد رأيتُ الليثَ، وابن ربيعةَ ويحيى بنَ سعيد ليتزحْزحون له زَحزحةً.

وقال سعيدُ الآدم: قال العَلاء بنُ كثير: «الليثُ بنُ سعد سَيِّدُنا وإمامنا وعالمُنا»[5].

---

(١) عوالي الليث بن سعد (مرجع سابق) ص ٤٨- ٤٩.

(٢) الرحمة الغيثية ص ٢٦.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ط. دار المعرفة ــ بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م ٥٩٢/٩، والعبر في خبر من غبر لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي ط: دار الكتب العلمية ببيروت ب. ت. ص ٢٠٦.

(٤) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢١ ص ٢٥٠.

(٥) سير أعلام النبلاء جـ٨ ص ١٦١.

وقال ابنُ سعد: كان الليث قد استقلَّ بالفتوى في زمانه[1].

ومما يؤكد هذه المكانة وما كان يتمتع به الليث من منزلة رفيعة ما قاله مؤرخ الإسلام الذهبي: «كان الليث بن سعد إماما ثقة حجة رفيعا واسع العلم سخيا جوادا محتشما» ونقل قول الشافعي السالف: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به، وكان أتبع للأثر من مالك».

وكان الإمام الشافعي (رضي الله عنه) يتأسف على فوات لقيه[2]. وإذا كان إماما كبيراً كالشافعي يتأسف على فوات لقيه، فحري بنا أن نتعلم منه ونحيى ذكراه..

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ الذهبي ص ٣٠٤.

المبحث السادس

تلاميذه وأثره فيهم

لم يأل الليث جهدًا في سبيل تعليم تلاميذه أو مريديه، ولم يتكاسل عنهم يومًا من الأيام، فظل طيلة حياته باذلاً العلم والمال ابتغاء مرضاة الله، وما كان له أن يتقاعس عن هذا الواجب وهو الإمام الذي علم فعمل، فكان له في كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها، فأما أولها: فيجلس فيه لنائبة السلطان في حوائجه ونوائبه، وكان ــ رَحِمَهُ اللَّهُ ــ يغشاه[1] السلطان، فإذا أنكر من القاضي أمرًا، أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه العزل..!!

وأما المجلس الثاني: فكان يجلس فيه لأصحاب الحديث. وكان يقول: نجحوا أصحاب الحوانيت فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم.

وأما المجلس الثالث: فكان يجلس فيه للمسائل، يغشاه الناس فيسألونه في أمور دينهم، فيفتيهم.

وأما المجلس الرابع: فكان يجلس فيه لقضاء حوائج الناس، لا يسأله أحد من الناس فيرده كبرت حاجته أم صغرت[2].

ولا شك أن تنظيمه وترتيبه لهذه المجالس على هذا النحو لَتَدلُّ على أنه ــ إضافة إلى كونه إمام عصره ــ كان رجلا موسوعيا يجمع بين العلم والإدارة والمكانة الرفيعة عند الناس، وعند الخلفاء، وهذه المكانة لم يصل إليها بالزلفى؛ ولكنه وصل إليها بعلمه وحلمه، وجوده وكرمه، وإخلاصه لله رب العالمين.

ومن هنا وفد إليه طلاب العلم لينهلوا من بحر علمه الفياض ويرووا عنه أحاديث المصطفى (ﷺ)، فنشأ منهم جيل أخذوا على عاتقهم خدمة الحديث

(١) يغشاه السلطان: أي: يأتيه ويحمله على القدوم إليه بمجلسه، راجع: المعجم الوسيط جـ٢ ص ٦٧٧- ٦٧٨.

(٢) تاريخ بغداد (مرجع سابق) جـ١٣ ص١٩.

النبوي الشريف فتتلمذوا على يدي الليث بن سعد وحدثوا ورووا عنه.

وقد روى عنه خلق كثير، منهم: محمد بن عجلان[١] وهشام بن سعد[٢] وهما من شيوخه، وقيس بن الربيع، وعطاف بن خالد[٣] وابن لهيعة[٤]، وهشيم بن بشير[٥] وهم من أقرانه.

(١) راجع: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي جـ٨ ــ ص١٣٨.
(٢) تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر جـ ٨ ص ٤٦٠- ٤٦١.
(٣) تهذيب التهذيب جـ٨ ص ٤٦٠ وما بعدها.
(٤) هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان (رضي الله عنه) الإمام الحافظ عالم الديار المصرية وقاضيها ومحدثها أبو عبد الرحمن الحضرمي المصري ولد سنة سبع وتسعين وتوفى سنة مائة وأربع وسبعين ودفن بالقرافة من جبانة مصر، وقبره معروف بها يقصد للزيارة، وكان ــ رحمه الله ــ من الكتَّابين للحديث والجماعين للعلم والرحّالين فيه، وكان يكنى أبا خريطة؛ وذلك لأنه كانت له خريطة معلقة في عنقه فكان يدور بمصر، فكلما قدم قوم كان يدور عليهم، وكان إذا رأى شيخا سأله: من لقيت، وعمن كتبت. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، راجع: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى ط. وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر. جـ٢ ص ٧٧- ٧٨.
(٥) هو هشيم بن أبي خازم واسمه كثير بن القاسم بن دينار أبو معاوية السلمى أصله من بلخ، سمع حميدًا الطويل، وأبا إسحاق الشيباني وإسماعيل بن أبي خالد وآخرين، وروى عنه عمرو بن عون، وعمرو بن زرارة، وعمرو بن محمد، الناقد وسعيد بن سليمان وعلى بن المديني وقتيبة.. وآخرون. ولد سنة أربع ومائة وتوفى يوم الأربعاء في شهر شعبان سنة ١٨٣هـ وهو ابن تسع وسبعين.. قال عنه ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث، ثبتا، يدلس كثيرًا. وقال العجلي: هشيم واسطى ثقة وكان يدلس... راجع: تهذيب التهذيب: ٥٩/١١، مشاهير علماء الأمصار: ١٧٧، تقريب التهذيب ٣٢/٢، رجال صحيح البخاري للكلاباذي تحقيق: عبد الله الليثي ط. دار المعرفة ــ بيروت سنة ١٩٨٧م. جـ٢ ص ٧٨٢- ٧٨٣.

وعبد الله بن وهب بن مسلم القرشي[١] ويحيى بن بكير[٢] وعبد الله بن المبارك[٣] وقتيبة بن سعيد[٤] وعمرو بن خالد[٥] وعبد الله بن صالح[٦] وسعيد بن عفير[٧]

(١) وهو من الطبقة الصغرى من الأتباع، راجع: حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم جـ٧ ص٣٢٤.

(٢) هو يحيى بن عبد الله بن بكير القرشي المخزومي، أبو زكريا، قد ينسب إلى جده. قال النسائي: ضعيف. قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ رقم «٤٢٥» قد علم تعنت أبي حاتم في الرجال، وإلا فالشيخان قد احتجا به أ. هـ. قال ابن عدي: كان جار الليث ابن سعد، وهو أثبت الناس فيه. مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين... راجع: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ص ١٢٥.

(٣) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي، ويكنى بأبي عبد الرحمن، وهو من الطبقة الوسطى من الأتباع.

(٤) هو شيخ الإسلام المحدث الإمام الثقة الجوال راوية السلام أبو رجاء قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي مولاهم البلخى البغلاني ــ من أهل قرية بغلان ــ من موالي الحجاج بن يوسف، روى الكثير عن مالك والليث وغيرهما، وروى عنه أصحاب الكتب الستة وأبو العباس السراج وخلق كثير. المتوفى سنة ٢٤٠هـ راجع: سير أعلام النبلاء ١٢/١١، والعبر ٢٣٣/١، وتهذيب التهذيب ١٥٧/٣- ١٥٨.

(٥) هو عمرو بن خالد بن فروخ أبو الحسن الحراني الجزري. قال أبو حاتم: صدوق، وقال العجلي والدارقطني: ثقة، قال البخاري: مات بمصر سنة ٢٢٩هـ راجع: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي ط. مكة المكرمة ص١٤٨.

(٦) هو عبد الله بن صالح الجهني المصري الحافظ، كاتب الليث بن سعد. قال ابن معين: أقل أحوال أبي صالح أنه قرأ هذه الكتب على الليث فأجازها له. وقال ابن ناصر الدين: روى عنه البخاري في الصحيح وله مناكير. وقال الحافظ في التقريب: صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه فيه غفلة.

توفى سنة ٣٢٣هـ وفي الشذرات ٢٢٣هـ راجع: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨٨، التقريب ص ١٧٧، وشذرات الذهب ٥١/٢.

(٧) هو سعيد بن كثير بن عفير بن مسلم أبو عثمان الأنصاري المصري ولد سنة ١٤٧هـ سمع الليث بن سعد ويعقوب بن عبد الرحمن، وابن وهب، وروى عنه البخاري في العلم والصلاة ومواضع أخرى.. توفى سنة ٢٢٦هـ وثقه ابن معين، قال أبو حاتم: =

وسعيد بن أبي مريم[1] وأبو الجهم علاء بن موسى[2] وآدم بن أبي إياس[3] وشعيب بن الليث بن سعد وعلى بن نصر الجهضمي الكبير، وأحمد بن عبد الله بن يونس التميمي اليربوعي، وإسحاق بن عيسى بن نجيح البغدادي، وإسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني، وإسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي، وحجاج بن محمد المصيصي، وحجين بن المثنى اليمامي، والحسن بن سوار البغوي المرزوي، وحماد بن خالد القرشي، وداود بن منصور النسائي الثغرى، وزيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي الدمشقي، وسعيد بن سليمان بن كنانة الضبي الواسطي، وسعيد بن شرحبيل الكندي العفيفي، وسعيد بن زيد الحميري القتباني، وسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، وسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، وشبابة بن سوار الفزاري، وشريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي، وشعيب بن حرب المدائني البغدادي، وشيبان بن عبد الرحمن البصري، وعبد الرحمن بن غزوان الخزاعي أو الضبي، وعبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربي، وعبد العزيز بن عبد الله بن يحيى الأويسي القرشي، وعبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي الحارثي، وعبد الله بن نافع بن أبي نافع الصائغ المخزومي، وعبد الله بن يحيى المعافري البرلسي، وعبد الله بن يزيد العدوي، وعبد الله بن يوسف التنيسي الكلاعي، وعثمان بن سعيد بن دينار القرشي الحمصي، وعثمان بن صلاح بن صفوان السهمي، وعلي بن عياش بن

صدوق. وقال النسائي: صالح، وقال ابن حجر: قد رد ابن عدي على السعدي في تضعيفه... راجع: الجرح والتعديل جـ٤ ص٥٦، رجال صحيح البخاري ٢٩١/١.

(١) راجع: تهذيب التهذيب جـ٨ ص ٤٦٠، وهو سعيد بن أبي مريم الجمحي، وهو من كبار تابعي الأتباع.

(٢) العلاء بن موسى بن عطية أبو الجهم الباهلي، سمع الليث بن سعد وآخرين، روى عنه عبد الله بن محمد البغوى وآخرون. وكان صدوقًا، توفى سنة ٢٢٨هـ تاريخ بغداد ٢٤٠/١٢.

(٣) هو آدم بن أبي إياس العسقلاني الخرساني عاش في بغداد وتوفى في عبدسا، وهو ثقة من الطبقة الصغرى من الأتباع. راجع: تهذيب التهذيب جـ٨ ص ٢٦٠.

مسلم الألهاني، وعلي بن غراب، وحيان بن علي العنزي، وعمرو بن الربيع بن طارق بن قرة الهلالي، والقاسم بن كثير بن النعمان الإسكندراني، ومحمد بن الحارث بن راشد القرشي الأموي، ومحمد ابن رمح بن المهاجر التجيبي، ومروان بن محمد بن حسان الأسدي الطاطري، ومظفر بن مدرك الخراساني، ومعتمر بن سليمان بن طرخان التيمي، وموسى بن داود الضبي الخلقاني، وهاشم بن القاسم بن مسلم الليثي الخراساني، وهشام بن عبد الملك الطيالسي الباهلي، ويحيى بن إسحاق البجلي السيلحيني، ويحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي، ويحيى بن بكير التميمي الحنظلي، ويزيد بن خالد بن يزيد بن موهب الهمداني الرملي، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري المدني، ويونس بن عبيد بن دينار العبدي، ويونس بن محمد بن مسلم، ويحيى بن بسطام بن حريث الزاهري، وعبيد بن أبي قرة البغدادي، وعيسى بن حماد بن زغبة وهو آخر من حدَّث عنه من الثقات، وحدث عنه آخرون[1].

وقد حرص تلاميذه على مجالسه ودروسه والأخذ عنه، فتأثروا به ونهجوا نهجه، وساروا على دربه في شتى النواحي.. وعلى الرغم من ذلك لم يدونوا علمه كما سبق.

* * *

(١) راجع ذلك مفصلاً في: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي جـ٨ ص ١٣٨ وما بعدها بتصرف، وعوالي الليث بن سعد ص ٤٩ وما بعدها، تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر جـ٨ ص ٤٦٠ وما بعدها بتصرف، طبقات علماء الحديث جـ١ ص ٣٣٢، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ١٣ ص٣ وحلية الأولياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني وما بعدها بتصرف ط. دار الكتاب العربي سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م جـ٧ ص ٣٢٤.

المبحث السابع

وفاة الإمام المجدد الليث بن سعد (رضي الله عنه)

وبعد حياة حافلة بالحلم والعلم، والجود والكرم، والتقوى والورع، والحياء، والجهاد، توفى إمام أهل الكنانة، الذي ظل طيلة حياته باذلاً العلم والمال، لا يرجو إلا الله ﷻ، والفوز برضاه، عازفًا عن الدنيا، راغبا فيما عند الله حتى أذن الله أن يتوفاه إليه بعد أن مرض أياما قلائل لم يُرهق خلالها بمرضه أحدا.. ثم جاءه أمر الله، فتوفى بعد أن ملأ الدنيا علما وخيرًا وفضلا ونبلاً[1].

واختلف المؤرخون في تاريخ وفاته ـ كما اختلفوا في تاريخ ميلاده ـ فذكر ابن سعد في الطبقات أن وفاته كانت سنة ١٦٥هـ[2].

بينما يرى جمهور المؤرخين وعلى رأسهم الخطيب البغدادي، وأبو عمرو محمد بن يوسف ابن يعقوب الكندي[3] أنه توفى في سنه خمس وسبعين ومائة[4].

---

(١) أئمة الفقه التسعة «مرجع سابق» ص١١٩بتصرف.

(٢) مجلة كنوز الفرقان، مجلة علمية دينية ثقافية في علوم القرآن، يصدرها الاتحاد العام لجماعة القراء بمصر، العددان الخامس والسادس جماد أول وجماد ثاني ١٣٧٢هـ السنة الخامسة ص ٣٥.

(٣) الليث بن سعد إمام أهل مصر(مرجع سابق) ص٣٤.

(٤) شذرات الذهب لابن العماد ط دار الأوقاف الجديدة ب.ت ٢٨٥/١، وعوالي الليث بن سعد لقاسم بن قطلو بغا: تحقيق عبد الرحيم بكر الموصلى القيمي، ط. دار الوفاء الطبقة الأولى سنة ١٩٨٧ ص ٥٠، وسير أعلام النبلاء جـ٨ ص ١٣٦، والرحمة الغيثية بالترجمة الليثية لابن حجر جـ٢ ص ٣٣٥، كنوز الفرقان (مرجع سابق) ص ٣٥، والطبقات الكبرى لابن سعد (مرجع سابق) جـ٧ ص ٣٥٨، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم (مرجع سابق) ص ١٦٩، وطبقات علماء الحديث جـ١ ص ٣٣٣، والكنى =

وكانت وفاته في خلافة الرشيد[١] ويحدد أبو عمر محمد الكندي أكثر[٢] فيقول: وكان ذلك يوم الجمعة[٣] لأربع عشرة ليلة بقين من شعبان[٤] «ليلة النصف من شعبان» وله إحدى وثمانون سنة[٥] وصلى عليه موسى بن عيسى الهاشمي[٦] ودفن في مقابر الصدفيين بالقرافة الصغرى بعد الجمعة[٧] وشيعته جموع عديدة ــ ما اجتمع مثلها من قبل[٨].

لقد كان حادث موته خبرًا فاجعًا للنفوس القاصية والدانية، وأحدث خروجه من الدنيا فراغًا كبيرًا تأثر به أهل مصر[٩] الذين بكوه أحرَّ بكاء..[١٠] بعد أن ظل يعلم الناس ويرعى أهل العلم، ويتصدق على ذوي الحاجات، ويسدد الدَّيْن عمن يثقله الدَّيْن ويعمر البيوت، ويحسن للناس كما أحسن الله إليه،

والأسماء للإمام مسلم جـ١ ص ٢٣٥، أعلام الحديث في شرح البخاري للخطابي، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود جـ١ ص ١٢٥، تهذيب التهذيب جـ٨ ص ٤٥٦٩.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٧ ص ١٥٧.

(٢) الليث بن سعد إمام أهل مصر ص ٤٣، العبر في خبر من غبر للإمام الذهبي، ط. دار الكتب العلمية بيروت. جـ١ ص ٢٠٦.

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢١ ص ٢٥٥، وصفة الصفوة لابن الجوزي، ط. دار ابن خلدون الطبقة الأولى ١٩٩٤م. جـ٢ ص ٤٧٣.

(٤) البخاري في الكبير ص ٢٤٢ جـ٧، والترجمة الليثية جـ٢٢٦.

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ١ ص ٢٢٦.

(٦) كتاب الثقات لابن حبان الطبعة الأولى ١٩٨١ بالهند ص ٣٦٠، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢١ ص ٢٥٥، والليث بن سعد «مرجع سابق» ص ٤٣.

(٧) أئمة الفقه التسعة ص ١١٩، والإمام المصري الليث بن سعد. د. عبد الله شحاتة ص ٦٥.

(٨) صفة الصفوة جـ٢ ص ٤٧٣.

(٩) وفيات الأعيان ص ١٣٢.

(١٠) أئمة الفقه التسعة ص ١٢٠.

ويعين الآخرين.. ولم ينقطع يوما عن حلقته في مسجد عمرو، أو في بيته، حتى بلغ بضعًا وثمانين سنة، وهو محتفظ بقوة البدن وصحوة الفكر..

أما عن وصف جنازته فأنقل للقارئ ما قاله صاحب كتاب تاريخ الإسلام:

قال خالد بن عبد السلام الصدفي: شهدت جنازة الليث مع والدي، فما رأيت جنازة قطّ أعظم منها!!.

ورأيت النّاس كلهم عليهم الحزن وهم يُعزون بعضهم بعضًا ويبكون، فقلت: يا أبي كأنّ كل واحدٍ من الناس صاحب هذه الجنازة.!! فقال: يا بني لا ترى مثله أبدًا[1].

وعن وصف قبره يقول صاحب كتاب تاريخ المساجد الأثرية:

وكان قبره كالمصطبة مكتوبًا عليه «الإمام الفقيد الزاهد العالم الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصري مفتي أهل مصر[2].

وبعد سنة ٦٤٠ هـ ١٢٤٢م أقام أبو زيد المصري كبير التجار بناءً على القبر، واستمر أهل الخير يتبارون في زيادة هذا البناء.. وفي سنة ٧٨٠هـ ١٣٧٨م جدد قبته الحاج سيف الدين المقدم[3]، وفي سنة ٨٣٢هـ ١٤٢٩م أنشأ الأمير يشبك بن مهدي ــ أحد أمراء الملك الأشرف قايتباي ــ منارة في الطرف القبلي الغربي للمسجد السلطان الغوري، وفي شهر ذي القعدة سنة ١١٣٨هـ ١٧٢٦م جدد المسجد والقبة الأمير موسى جوربجي مرزا مستحفظان، ومن أثر عمارته القبة والمقصورة الموجودتان حتى الآن، وكذلك أجرى به عمارة لوح يقرأ فيه:

هـــذا مقـــام ليـــث ضـــاري * عنـــي وليـّا مـــن عبيـــد البـــاري

(١) تاريخ الإسلام ص ٣١٥، وفيات الأعيان ١٣٢/٤.

(٢) تاريخ المساجد الأثرية لحسن عبد الوهاب، مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٦، والليث بن سعد إمام أهل مصر «مرجع سابق» ص ٤٣.

(٣) المقريزي جـ٢ ص ٤٦٣.

وإذا ذهبت إلى مسجد الإمام الليث تهبط بضع درجات، وأول ما يقابلك باب حديد ثبتت عليه لوحتان مؤرختان سنة ١١٩٤ـ١٢٠١ تقرأ على السفلى منها:

إذا رمت المكارم من كريمٍ * فيمم من بني للفضل بيتا
فذاك الليث من يحمي * ويكرم جاره حيا ومَيْتَا

ويلي باب المسجد باب آخر يجاوره مقصورة خشبية بها قبر للشيخ محمد الليثي (رضي الله عنه).

أما قبة الإمام الليث فهي على يمين الواقف في المسجد، وترجع عمارتها إلى سنة ٦٤٠هـ ١٢٤٢م، وتحت قبة الليث تركيبة رخامية كتب على دائرها آية الكرسي وحولها مقصورة خشبية مطعمة بالصدف، كتب على عمارة التي أجراها الأمير موسى جوربجي في ٢٥ من ذي القعدة سنة ١١٣٨هـ وأمام قبة الليث قبة أخرى صغيرة فيها قبر محمد بن هارون الصدفي والإمام المحدث شعيب بن الإمام الليث بن سعد ومكتوب على بابها:

«هذا مقام سيدنا ومولانا الشيخ شعيب بن الإمام الليث بن سعد نفعنا الله ببركاتهما»، أما باقي المسجد بمحرابه ومنبره فحديث يرجع إلى عمارة المرحوم إسماعيل بك ابن المرحوم راتب باشا الكبير سنة ١٢٩٤هـ ١٨٧٧م وهو الذي جدد الإيوان والقبة أيضا.

ومنذ سنة ٧٠٠هـ ـ١٣٠٠م أو بعدها بقليل اعتاد القراء الاجتماع كل يوم جمعة بعد الظهر بهذا المسجد لتلاوة القرآن تلاوة مجودة، يختمونه فيها عند السحر، وظلت هذه العادة إلى ما قبل أكثر من خمسة وعشرين عامًا، أما الآن فيجتمع كبار القراء بالمسجد كل يوم جمعة من قبيل العصر إلى قبيل الغروب ويتناوبون قراءة القرآن، ويأتي كثير من الصالحين لزيارة المسجد يوم الجمعة

والاستماع لقراءة القرآن فيه، والتبرك بزيارة أولياء الله[1].

رحم الله الإمام الليث بن سعد رحمة واسعة، وأسكنه فراديس الجنان، وجزاه الله خير الجزاء على ما قدمه للعلم والعلماء والناس أجمعين..

* * *

(١) الليث بن سعد (مرجع سابق) ص ٤٤- ٤٥، وفيات الأعيان ١٣٢/٤، البداية والنهاية جـ١٠ ص ١٧٩، والمحدثون في مصر والأزهر ودورهم في إحياء السنة النبوية الشريفة للدكتور أحمد عمر هاشم، الناشر: مكتبة غريب بالقاهرة ص٨٠- ٨١، بتصرف.

الفصل الثالث
مصنفات الإمام المجدد
الليث بن سعد
ومختارات من آثاره
في الفقه والحديث

الفصل الثالث

مصنفات الإمام المجدد الليث بن سعد ومختارات من آثاره في الفقه والحديث

لقد سطر تاريخ الفقه الإسلامي مذاهب أربعة، كان لها مكان الصدارة بين المذاهب الإسلامية على كثرتها وتنوعها، وهذه المذاهب هي: (الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي) فقد لاقت من الرواج بين علماء الأمة وعامتها ما لم تلقه مذاهب أخرى، حيث كانت وما زالت هي العُمَد الأساسية في الفقه الإسلامي.. ويلي تلك المذاهب مذاهب أخرى لم يتوافر لها مثل ما توافر للمذاهب الأربعة، ولا نكاد ندركها إلا شذرًا في بطون الكتب، وكان من نصيب الإمام الليث ذلكم الفقيه الإمام أن يصبح من أصحاب المذاهب التائهة في بطون الكتب..!!

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: ما السبب في ذلك؟

ولعل الإجابة على هذا السؤال تكمن في النقاط التالية:

أولاً: لم يرد عن الليث بن سعد كتب مكتوبة على لسانه البتة اللهم إلا كتاب التاريخ وكتاب مسائل في الفقه، الذي أشار إليهما ابن النديم، ولم نعرف عنهم شيئًا، وتلك الرسالة التي بعثها ردًّا على رسالة مالك بن أنس، والتي سنوردها في الصفحات التالية.

ثانيا: لقد تعرض تاريخه للتهميش على حد تعبير دائرة المعارف الإسلامية «ولا تتوافر عن حياة الليث بن سعد العلمية سوى شذرات متناثرة»[1].

ثالثا: لم يتوافر لليث من التلاميذ النجباء مثل ما توافر لأبي حنيفة، أمثال محمد وأبي يوسف وزفر، الذين أفادوا مذهب شيخهم أبي حنيفة ودونوا علمه، بما

(١) دائرة المعارف الإسلامية من اسمه ليث.

امتاز كل واحد منهم بمميزات حفرت آراء أبي حنيفة في الصخر، حتى أصبحت شاخصة للقاصي والداني، فكان أحدهم أكثر تفريعًا وهو «أبو محمد» وأحدهم قاضيًا فترة كبيرة، نفَّذ فيها تلك الآراء وجعلها شيئًا ملموسًا، وأخرج منها ما لا يصلح وأدخل إليها ما هي في حاجة إليه، وهو «يوسف»[1].

وهنا أتذكر قول الشافعي: «الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به» وفي رواية له «إلا أن قومه ضيعوه» أي: لم يؤدوا حقه بتدوين علمه..

وحتى لا نظلم أصحاب الليث، ونجعل التبعات كلها على عاتقهم نقول:

ربما أراد أصحابه أن يكملوا مسيرته ولكن لم يسعفهم الدهر.

وقد جاء الشافعي إلى مصر «حوالي سنة ٢٠٠ هجرية» للبحث عن علم الليث، ولكن لم يجد ما كان يتوقعه!!

فجمع الله قلوب الناس عليه حتى غدا صاحب مذهب له قواعده وأصوله «المذهب الجديد» وبعد رحيله إلى ربه سنة «٢٠٤ هجرية» قام أصحابه بإكمال مسيرته، ومن أبرز هؤلاء «المزني». وأعجبني ما ذكره الأستاذ أحمد أمين من قوله: «من أن زامر الحي لا يطرب» «وأن كل إمام لا كرامة له في بلده»..

وهذا هو نفس الشيء الذي حدث مع الشافعي فقد تتلمذ على يد مالك وذهب إلى العراق وعانى معاناة شديدة من أهلها حتى هداه الله ــ ﷻ ــ إلى مصر فأملى بها مذهبه الجديد في خلال أربع سنوات فقط، فأضحى كالشمس للدنيا لا يحجب نورها شيء.

هذه هي بعض الأسباب التي أدت إلى عدم انتشار علم الليث..

أما كتب الليث فيبدو أنها قد ضاعت واندثرت، ولم نعلم عنها إلا أسماءها..

يقول ابن النديم: لليث بن سعد كتابان هما: «كتاب التاريخ»، و«كتاب

(١) انظر: الحركة العلمية في الجزء الأول والجزء الثاني من كتاب «ضحى الإسلام» للأستاذ الكبير أحمد أمين.

مسائل في الفقه»[1].

يقول الخطيب البغدادي: «فإذا صح أن الرجل ترك كتبًا مستقلة في الحديث والتاريخ، فتكون الروايات التاريخية التي تذكرها كتب الفتوح بسنده من بقايا تلك الكتب التي لم يصل إلى أيدينا منها سوى هذه الروايات منبثة في كتب التاريخ والسيرة.

فالرجل إذن كان من أولئك الذين يرون أن التاريخ سند قوي لصحة التفسير التاريخي لهذه النصوص التي يوحى ظاهرها بالتعارض، أو التي يمكن أن يخصص بعضها بحكم، ويعمم بعضها الآخر -فيما عدا ذلك الحكم- والأخبار التاريخية الوثيقة شاهدة على ذلك ومؤكدة له، فاستمع إلى ما يرويه الربيع بن سليمان ــ وهو من هو دقة في الرواية، وأمانة في النقل، وحسبك منه أنه تلميذ الشافعي وراوي كتبه، وبروايته وصلت إلينا رسالته التي كانت الخطوة الأولى في طريق علم الأصول الطويل إن لم تكن الأساس المتين الذي قامت عليه الدراسات الأصولية، على اختلاف مذاهب أصحابها، وحسبك أن الربيع يقول سمعت ابن وهب يقول: «لولا مالك والليث لضل الناس» والرواية فيها من الإيجاز ما لا يمكن معه تحديد الدور إذ يقول: «لولا مالك بن أنس، والليث بن سعد، كنت أظن أن كل ما جاء عن النبي (ﷺ) يعمل به»[2].

مما سبق يمكننا القول بأن الليث كانت له مؤلفات عديدة، ولكن لم يكتب لها الظهور، ربما لأن تلاميذه لم يفعلوا ما فعله أصحاب مالك والشافعي ــ كما سبق حيث نشروا كتبهم وفقههم وآراءهم في كل الأمصار، مما كان له عظيم الأثر في إثراء الحياة الفقهية على مر العصور والأزمان.

ومن يدرى لعل الأيام تكشف لنا عن مؤلفات لإمامنا الجليل، وإن حدث

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٨١ بتصرف، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر ــ بيروت لبنان طبعة ب. ت، ومعجم المؤلفين ــ تراجم مصنفي الكتب العربية، تأليف عمر رضا كحالة ص ١٦٢ بتصرف. طبعة دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان.

(٢) تاريخ بغداد ٤/١٣، ٥، أحمد أمين (مرجع سابق).

ذلك سيكون له أثر بالغ في الحركات الفقهية، وكذلك في الكشف عن الكثير من جوانب شخصيته التي ضنَّت علينا الكتب بكثير من دقائقها[١].

ولم تقتصر آثار الليث بن سعد على هذين الكتابين فقط.. لكن شملت آثاره علومًا كثيرة، فكان ــ رحمه الله ــ من سادات أهل زمانه فقها وعلما وورعا وفضلا[٢] وسخاءً، كثير العلم[٣] استقل بالفتوى في زمانه بمصر.

(١) وليد كساب (مرجع سابق) ص ٦٢.

(٢) كتاب الثقات للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي جـ٧ ص ٣٦١ الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الداكن بالهند.

(٣) كتاب الجرح والتعديل تأليف شيخ الإسلام الإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن الإمام الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، الطبعة الأولى طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الداكن الهند ب. ت القسم الثاني من المجلد الثالث ص ١٧٩.

أولاً: مختارات من آثار الإمام الليث بن سعد الفقهية

لعل من الأهمية بمكان أن نعرض هنا لبعض آراء الليث الفقهية، حتى يكون القارئ على بينة من فقه وعلم هذا الرجل، الذي جاء إليه الشافعي لينهل من علمه، ولكنه وجده قد مات فتأسف على فوات لقيه وقال قولته المشهورة: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

وقد وفقني الله ــ ﷻ ــ أن أقف على بعض أرائه في كتاب (المغنى) لابن قدامة المقدسي، ومن هذه الآراء ما يلي:

* ذهب الليث إلى أن الماء المنفصل عن أعضاء المتوضئ والمغتسل هو ماء طاهر في نفسه غير مطهر لا يرفع حدثًا ولا يُزيل نجسًا(١).

* يرى الليث أن صوف الميتة وشعرها طاهر ــ يعني شعر ما كان طاهرًا في حياته وكذا صوفه(٢).

* ذهب الليث إلى أن النية من شرائط الطهارة للأحداث كلها، فلا يصح وضوء ولا تيمم إلا بها(٣).

* قال الليث بعدم وجوب المضمضة والاستنشاق في الطهارتين الكبرى والصغرى وإنما هما مسنونان فيهما(٤).

* يرى الليث أن مس الفرج بظهر الكف لا ينقض الوضوء حيث يشترط مسه بباطن الكف(٥).

---

(١) المغني لابن قدامة المقدسي، ط. دار هجر الطبعة الثانية ١٩٩٢م، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو ٣١/١ بتصرف، وانظر كذلك وليد كساب (مرجع سابق) ص ٢١- ٤٢.

(٢) نفس المرجع ١٠٦/١ بتصرف.

(٣) نفسه ١٥٦/١ بتصرف.

(٤) نفسه ١٦٧/١ بتصرف.

(٥) نفسه ٢٤٢/١ بتصرف.

* قال الليث: من مس فرج بهيمة انتقض وضوؤه وعليه الوضوء[١].

* ذهب الليث إلى أن ملامسة النساء ولو من خلال ثوب رقيق تنقض الوضوء[٢].

* يرى الليث أنه إذا تيمم المسلم صلَّى الصلاة التي حضر وقتها، وصلى به فوائت ــ إن كانت عليه ــ والتطوع إلى أن يدخل وقت صلاة أخرى[٣].

* أباح الليث الصلاة على الراحلة في السفر القصير ــ وهو ما لا يُباح فيه القصر[٤].

* يرى الليث أن المأموم إذا سمع قراءة الإمام فعليه أن يقرأ فيما جهر فيه الإمام[٥].

* ذهب الليث إلى أن سجود التلاوة سنة مؤكدة وليس بواجب[٦].

هذا ولم يشذ الليث في فقهه عن الأئمة من الصحابة والتابعين إلا في مسألة واحدة وهي: أنه كان يقول بتحريم أكل الجراد الميت، وهو ما قال به بعض المالكية[٧].

يقول الذهبي[٨]: كان الليث ــ رَحِمَهُ اللَّهُ ــ فقيه مصر ومحدثها ومحتشمها، ورئيسها ومن يفتخر بوجوده الإقليم، بحيث إن متولى مصر وقاضيها وناظرها

(١) نفسه ٢٤٦/١ بتصرف.
(٢) نفسه ٣٤١ بتصرف.
(٣) المغنى ٣٤١/١ بتصرف.
(٤) نفس المرجع ٩٥/٢ بتصرف.
(٥) نفسه ٢٥٩/٢ بتصرف.
(٦) نفسه ٣٤٦/٢ بتصرف.
(٧) انظر: كتاب الإمام عبد الحليم محمود، مرجع سابق ٥٢، ووليد كساب مرجع سابق.
(٨) عوالي الليث بن سعد لقاسم بن قطلو بغا ــ تحقيق: عبد الكريم بكر الموصلى النعيمي ص ٤٨ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧.

يرجعون إلى رأيه ومشورته، وكان ــ رحمه الله ــ يستوحى فَتَاوَاه الفقهية من القرآن الكريم، فإن لم يجد لجأ إلى السنة، فإن لم يجد الإجابة في النصوص، التمس الجواب في إجماع الصحابة، وكان من رأيه أن إجماع الصحابة نادر، فإن لم يجد اجتهد رأيه، ولجأ إلى القياس وإلى العادات والعرف ما لم تخالف نصًّا..

ومن هنا تبدَّى لنا أن إمامنا الليث بن سعد تمتع بمكانة سامية بين علماء عصره.. فصار علمًا شامخًا من أعلام الإسلام، وإمامًا من أئمة الدين، وأحد العلماء الأفذاذ الذين ملؤوا الدنيا علمًا وفضلاً وذكاءً ونبلا..

ومما لا ريب فيه أن مجالس الليث ودروسه وفَتَاوَاه خلَّفت آثارًا عظيمة، ولم يصل إلينا منها إلا النزر اليسير كما قلنا..!!

ومن أهم الآثار التي حفظها التاريخ لليث بن سعد تلك الرسالة الفقهية التي بعث بها إلى مالك ردًّا على رسالته.. والتي تعد كل منهما نموذجًا رائعًا من نماذج الحوار العلمي الهادئ المتسم بأدب المناقشة والمناظرة للوصول إلى الحقيقة..

وفي هذا المقام نطل إطلالة تملأ النفس بهجة وسرورًا من خلال الرسائل التي دارت بين هذين العالمين -مالك بن أنس والليث بن سعد- والتي تبين المكانة العلمية والفقهية لكل منهما.. وما كان يتمتع به علماؤنا في مناقشتهم ومناظراتهم من أدب جم وذوق رفيع وخلق نبيل، ونقدمها لشباب الإسلام اليوم عساهم يتزودون من معينهم الذي لا ينضب، ويقتدون بهؤلاء الأعلام الذين أخلصوا الله فخلَّد الله ذكرهم..

والقضية التي دار حولها النقاش وكانت موضوعًا للمساجلة بدأت بإنكار الإمام مالك على الإمام الليث بعض المسائل الفقهية بما يخالف ما أجمع عليه أهل المدينة.

ورد الإمام الليث عليها بردود فندت حججها.

فكيف جرت المناقشة وكيف كانت نتيجتها؟

تبدأ المساجلة برسالة من الإمام مالك إلى الإمام الليث معارضا ومنكرًا بعض

فَتَاوَاه قائلاً: «من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد، سلام عليكم، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: عصمنا الله وإياك بطاعته في السر والعلانية، وعافانا وإياكم من كل مكروه، واعلم -رحمك الله- أنه بلغني أنك تفتي الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وببلدنا الذي نحن فيه، وأنت في أمانتك وفضلك، ومنزلتك من أهل بلدك، وحاجة من قبلهم إليك، واعتمادهم على ما جاء منك، حقيق بأن تخاف على نفسه وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه، فإن الله ــ ﷻ يقول:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

فإن الناس تبعٌ لأهل المدينة، إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، أحل الله الحلال وحرم الحرام، إذ رسول الله (ﷺ) بين أظهرهم، يحضرون الوحي والتنزيل، ويأمرهم فيطيعونه ويسن لهم فيتبعونه، حتى توفاه الله واختار له ما عنده، صلوات الله عليه ورحمته وبركاته، ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته، ممن ولى الأمر من بعده. فما نزل بهم مما علموا أنفذوه، وما لم يكن عندهم فيه علم سألوا عنه، ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك في اجتهادهم.

ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون ذلك السبيل، ويتبعون تلك السنن، فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهرًا ومعمولا به، لم أر لأحد خلافًا للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز لأحد انتحالها، ولو ذهب أهل الأمصار يقولون

هذه العمل ببلدنا، وهذا الذي مضى عليه من مضى منا ولم يكونوا من ذلك على ثقة، ولم يكن لهم ذلك الذي جاز لهم، فانظر رحمك الله فيما كتبتُ إليك فيه لنفسك واعلم أنى أرجو ألا يكون ما دعاني إلى ما كتبت به إليك إلا النصيحة لله ــ تعالى ــ وحده، والنظر لك والظن بك، وأنزل بكتابي منك منزله، فإنك إن فعلت تعلم أني لم آلك نصحًا. وفقنا الله وإياك لطاعته، وطاعة رسوله في كل أمر وعلى كل حال. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

وكتبت يوم الأحد لتسع مضين من صفر[1].

* إنها رسالة بالأدب العالي والذوق الرفيع وتعد من أمتع الرسائل التي تبودلت بين كبار العلماء تحمل بين طياتها التقدير الكامل وحسن البيان للرأي مع الأدب الجم في التعبير، والحرص التام على وضوح الفكرة في إيجاز جميل.. فرد عليه الإمام الليث برسالة طويلة جاء فيها:

«سلام عليك». فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو. أما بعد. عافانا الله وإياك وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة.. قد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك لكم وأتمه بالعون على شكره والزيادة من إحسانه..».

ثم قال: «بلغك أني أفتى الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم، وأني يحق لي الخوف على نفسي لاعتماد من قبلى على ما أفتيهم به، وإن الناس تبع لأهل المدينة التي كانت إليها الهجرة وبها نزل القرآن، وقد أصبت بالذي كتبت من ذلك إن شاء الله.. ووقع مني بالموقع الذي تحب، وما أجد أحدًا ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا، ولا أشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا، ولا آخذ لفتياهم فيما اتفقوا عليه مني والحمد لله الذي لا شريك له».

أما ما ذكرتَ من مقام رسول الله (ﷺ) بالمدينة، ونزول القرآن بها عليه بين

(١) النجوم الزاهرة ٨٢/٢، مالك بن أنس، لأمين الخولي طبعة الهيئة العامة للكتاب ص ٤٤٩- ٤٥٠، الأئمة الأربعة، لأحمد الشرباصي، طبعة دار الهلال ص ٩٨ وما بعدها.

ظهراني أصحابه وما علمهم الله منه، وأن الناس صاروا تبعًا لهم فيه، فكما ذكرت، وأما ما ذكرت من قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

فإن كثيرًا من أولئك السابقين الأولين خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله، فجندوا الأجناد واجتمع إليهم الناس، فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه، ولم يكتموا شيئًا علموه، وكان في كل جند منهم طائفة يعلمون كتاب الله وسنة نبيه، ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنة، وتقدمهم أبو بكر وعمر وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد المسلمين ولا غافلين عنهم، بل كانوا يكتبون في الأمر اليسير لإقامة الدين والحذر من الاختلاف بكتاب الله وسنة نبيه، فلم يتركوا أمرًا فسره القرآن أو عمل به النبي (ﷺ) أو ائتمروا فيه بعده إلا علموهموه.

فإذا جاء أمر عمل أصحاب رسول الله بمصر والشام والعراق على عهد أبي بكر وعمر وعثمان، ولم يزالوا عليه حتى قبضوا، لم يأمروهم بغيره. فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يُحدثوا اليوم أمرًا لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله (ﷺ) والتابعين لهم مع أن أصحاب رسول الله قد اختلفوا بعد في الفتيا في أشياء كثيرة، ولولا أني قد عرفت أن قد علمتها، كتبت بها إليك. ثم اختلف التابعون بعد أصحاب رسول الله (ﷺ) ». الزهري وربيعة الرأي.. وخلاف مالك والليث وعبد العزيز بن عبد الله مع ربيعة أستاذهم. ثم أخذ الليث يحصى على مالك أخطاءه وأخطاء أهل المدينة.

«ومن ذلك.. القضاء بشهادة شاهد ويمين صاحب الحق، وقد عرفت أنه لم يزل يقض بالمدينة به. ولم يقض به أصحاب رسول الله (ﷺ) بالشام وبحمص ولا بمصر ولا بالعراق، ولم يكتب به إليهم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. ثم ولى عمر بن عبد العزيز وكان كما قد علمت في إحياء السنن والجد في إقامة الدين، والإصابة في الرأي، والعلم بما مضى من أمر الناس، فكتب إليه رزيق بن الحكم إنك كنت تقضي في المدينة بشهادة الشاهد الواحد، ويمين صاحب الحق، فكتب إليه إنا كنا نقضي بذلك في المدينة، فوجدت أهل الشام على غير ذلك. فلا تقض إلا بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين.

واستطرد الليث: «ومن ذلك.. أن أهل المدينة يقضون في صدقات النساء أنها متى شاءت أن تتكلم في مؤخر صداقها تكلمت فدفع إليه.. ولم يقض أحد من أصحاب رسول الله (ﷺ) ولا مِنْ بعدهم لامرأة بصداقها المؤخر إلا أن يفرق بينهما موت أو طلاق فتقوم على حقها».

ثم مضى يقول: «وقد أبلغنا عنكم شيئا من الفتيا مستكرها، وقد كنت كتبت إليك في بعضها فلم يجبني في كتابي، فتخوفت أن تكون استثقلت ذلك فتركت الكتابة إليك في شيء ما أنكره، وفيما أوردت فيه على رأيك..».

* ومن فتيا مالك التي بلغت الليث فأنكرها، أن الشريكين في المال لا تجب عليهما الزكاة، حتى يكون لكل واحد منهما ما تجب فيه الزكاة، وفي رأي عمر بن الخطاب أنه تجب عليهما الزكاة بالسوية.

وبهذا أخذ الليث، ومن ذلك قول مالك بالجمع بين صلاة المغرب وصلاة العشاء في حالة المطر واختلف الليث معه في جواز الجمع.

ومن ذلك صلاة الاستسقاء، فمالك يقدم الصلاة على الخطبة، ورأى الليث أنها كالجمعة تتقدم فيها الخطبة والدعاء على الصلاة.

ثم قال له في نهاية الرسالة «فلم يكن ينبغي لك أن تخالف الأمة أجمعين، وقد تركت أشياء كثيرة من أشباه هذا. وأنا أحب توفيق الله إياك وطول بقائك، لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضيعة إذا ذهب مثلك، مع

استئناسي بمكانك وإن ناءت الدار، فهذه منزلتك عندي ورأيي فيك فاستيقنه.. ولا تترك الكتابة إلى عن حالك وحال ولدك وأهلك، وحاجة إن كانت لك، أو لأحد يوصل بك. فإني أُسَرُّ بذلك.. فنسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولانا، وتمام ما أنعم به علينا.. والسلام عليك ورحمة الله»[1].

* وفي الحق أن الرسالة صورة من أدب الخلاف في ذلك الزمان على أن هناك مسائل فرعية أخرى اختلف فيها الصديقان خلافًا شديدًا.

منها أن الإمام مالك بن أنس أجاز ضرب المتهم بالسرقة للحصول على اعترافه، حماية للأموال، مما يحقق مصلحة عامة هي أولى بالرعاية من مصلحة المضروب!

وتساءل الليث: فإذا ثبت أن المتهم بريء؟! إن حماية البريء أولى من عقاب المذنب.. ولأن يفلت عشرة مذنبين خير من ظلم بريء واحد، ثم إن الضرب في ذاته عقوبة لا يقضي بها إلا بعد ثبوت الجريمة، وإلا فالضارب والآمر بالضرب ومن أفتى بجوازه.. كلهم مسؤولون.

كما اختلف الصديقان في حكم الشركاء في جريمة القتل. فذهب مالك إلى قتل جميع الشركاء كالفاعل الأصلي.. وهذا هو القصاص.. أما الليث فرأى أن هذا يخالف روح آيات القصاص فالمقصود بالقصاص هو الفاعل الأصلي، وعقابه في جريمة القتل هو القتل. أما الشركاء فقد أخذ فيهم الليث بحكم الإمام «علي» وهو الحبس مدى الحياة حتى الموت.

* ولا ريب أن أساس كل الخلافات بين الإمام الليث والإمام مالك هو الخلاف بين منهج كل منهما في استنباط الحكم ما لم يكن النص واضحًا قطعي الدلالة،

---

(١) إعلام الموقعين جـ٣ ص٧٢، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، للشيخ محمد أبو زهرة ص ٤١٦- ٤١٧، طبعة دار الفكر العربي ــ القاهرة ب. ت، النجوم الزاهرة ٨٢/٢، وما بعدها، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، د. سعاد ماهر محمد ٢١٥/٢، وما بعدها طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية ب. ت.

فالإمام مالك يرد الحديث الذي يرويه صحابي واحد، ويأخذ بعمل أهل المدينة أو بما يستحسنه ويراه محققًا للمصلحة.. أما الإمام الليث فيأخذ بالأحاديث التي يرويها الآحاد، ويقول: إننا فتحنا باب الاستحسان والمصالح فما هي الضوابط؟. أكلما بدا للمفتى أو القاضي أن رأيا ما أحسن أو أرعى للمصلحة أخذنا به؟! وإذن تتناقض الفتاوى في المسألة الواحدة!! فلا عاصم إلا ضبط الأحكام التي لم يرد بها نص قطعي بقبول الحديث الذي يرويه الصحابي الواحد ما دام هذا الحديث يوافق روح القرآن ويوافق روح السنة، ولا يخالف العقل، أو يجافي مقاصد الشرع.

فإذا لم يكن في أحاديث الآحاد أو أقوال الصحابة أحكام تواجه الأمور المستحدثة، وتنطبق على الأقضية الجديدة، فلا غنى عن القياس.. وهو أضبط المعايير وأحراها بتحقيق العدل.

وذلك بأن نطبق الأحكام التي أوردتها النصوص على كل ما يشابهها من أقضية، ومسائل وأمور إذا تحدث العلل. وبهذا النظر واجه الليث ما استحدث من قضايا الناس في مصر ومسائلهم..

وهكذا استطاع أن يمهد الطريق الوسط بين فقه السنة وفقه الرأي.

تحليل الرسالتين:

وبعد عرض نصوص تلك الرسالتين نرى أن رسالة الإمام مالك جمعت إلى قوة الحجة وضوح العبارة ودقة اللفظ وسهولة التعبير وجمال الأسلوب. كما أنها تعكس قوة إيمان صاحبها بفكرته وثقته الكاملة في حجة دعواه.. كما يظهر من خلالها عمق الحب، وصدق الود، وخلوص النية، وسلامة القصد، وكمال الخلق، وروعة الأدب، ورقة الخطاب، وحسن العرض.. حيث بدأ الإمام مالك بالدعاء لأخيه الإمام الليث بن سعد، واختار من الدعوات ما يتناسب وموضوع الرسالة؛ ليكون ذلك توطدة لقصده ومدخلا لمراده.. ثم لا ينسى مالك أن يضيف نفسه إلى أخيه عند الدعاء تلطفًا وأدبًا بقوله: «عصمنا وإياك» «وعافانا وإياك» وهي صيغة في الخطاب أرق وأجمل!!

ثم يدخل في موضوع المناقشة في حسن تخلص، وجمال تلطف، فيكشف له عن سبب الرسالة قائلاً: «واعلم ــ رحمك الله ــ أنه بلغني أنك تفتى الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وببلدنا الذي نحن فيه» لكنه يسارع فيغلف هذا الإنكار قبل إتمامه بغلاف من الثناء الجميل فيثنى عليه بعظيم فضله وعلو شأنه في بلده، لكنه يستثمر هذا الثناء وذلك الإطراء لخدمة قضيته فيخوفه عاقبة التسرع بمخالفة ما عليه إجماع أهل المدينة، فإن تبعة ذلك ثقيلة؛ لأن الناس في مصر سيتبعونه. وكأن الإمام مالك قد استوثق من صحة دعواه وخطأ ما عداها حتى جعل ما عداها أمرًا يخاف منه، ويتقي الوقوع فيه، ويخشى على صاحبه من فعله. وحجة الإمام مالك في ذلك كما أشرنا «أن الرسول (ﷺ) انصرف من آخر غزواته ومعه نحو كذا وكذا ألفًا من الصحابة، مات بالمدينة منهم عشرة آلاف، وباقيهم تفرق في البلدان فأيهما أحرى أن يتبع ويؤخذ بقوله..»[1].

أما الإمام الليث بن سعد ما كان له أن يرد على تلك الرسالة إلا بعد أن استوثق تمام الثقة أنها من الإمام مالك.

نظر فيها و«أقامها» ومعنى أقامها: أنه أصلح منها ما قد عساه أن يكون من أخطاء كتابية جاءت عن النساخ، ثم ختمها الإمام مالك بختمه وذلك معناه: اعتمادها[2].

ولما استوثق الليث تمام الثقة أن هذه الرسالة من مالك إليه، رد عليها بردود تريح الصدور وتطمئن النفوس وتثلج القلوب، فاستحق بذلك أن يقول فيه الشافعي: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

وبعد أن فنَّد الليث كل الدعاوي التي تقدم بها الإمام مالك إليه.

---

(١) مساجلة بين فقيهين كبيرين مقال للدكتور حمدي فتوح والي، منشور في مجلة الأزهر عدد جمادى الآخر ١٤٢٢هـ سبتمبر ٢٠٠١م.

(٢) الليث بن سعد إمام أهل مصر د/ عبد الحليم محمود ص ٥٧.

انتقل الليث من موقف المدافع إلى موقف الناقد، وذكر في ذلك عدة مسائل هي:

وقد بلغنا عنكم شيء من الفتيا مستكره، وقد كتبت إليك في بعضها فلم يجبني في كتابي، فتخوفت أن تكون استثقلت ذلك، فتركت الكتابة إليك في شيء مما أنكرت، وفيما أوردت فيه على رأيك:

١ــ وذلك أنه بلغني أنك الذي أمرت زفر بن عاصم الهلالي ــ حين أراد أن يستسقي ــ أن يقدم الصلاة قبل الخطبة فأعظمت ذلك؛ لأن الخطبة والاستقاء كهيئة يوم الجمعة، إلا أن الإمام إذا دنا من فراغه من الخطبة دعا، ثم نزل فصلى، وقد استسقى عمر بن عبد العزيز وأبو بكر بن محمد بن حزم وغيرهما، فكلهم يقدم الخطبة والدعاء قبل الصلاة، فاستهتر الناس كلهم بفعل زفر بن عاصم واستنكروه.

٢ــ ومن ذلك أنه بلغني أنك تقول في الخليطين في المال.. إنه لا تجب عليهما الصدقة حتى يكون لكل واحد منهما ما تجب فيه الصدقة، وفي كتاب عمر بن الخطاب أنه تجب عليهما الصدقة ويترادان بالسوية، وقد كان ذلك يُعمل به في ولاية عمر بن عبد العزيز قبلكم وغيره، والذي حدثنا به يحيى بن سعيد، ولم يكن بدون أفاضل العلماء في زمانه، فرحمه الله، وغفر له، وجعل الجنة مصيره.

٣ــ ومن ذلك أنه بلغني أنك تقول: إذا أفلس الرجل وقد باعه رجل سلعة فتقاضى طائفة من ثمنها، أو أنفق المشترى طائفة منها، أنه يأخذ ما وجد من متاعه، وكان الناس على أن البائع إذا تقاضى من ثمنها شيئًا أو أنفق المشترى منها شيئًا فليست بعينها.

٤ــ ومن ذلك أنك تذكر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يعط الزبير بن العوام إلا لفرس واحد، والناس كلهم يحدثون أنه أعطاه أربعة أسهم لفرسين ومنعه الفرس الثالث، والأمة كلها على هذا الحديث: أهل مصر، وأهل العراق، وأهل إفريقية، لا يختلف فيه اثنان، فلم يكن ينبغي لك أن تخالف الأمة

أجمعين.

ثم يأتي الختام للرسالة، وهو ختام رائع، فيه سمات المودة والأدب، والحب والاحترام؛ وذلك يدل على نفس كريمة نبيلة، إنه يقول:

«وقد تركت أشياء كثيرة أشباه هذا، وأنا أحب توفيق الله إياك وطول بقائك لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضيعة إذا ذهب مثلك، مع استئناسي بمكانك وإن ناءت الديار، فهذه منزلتك عندي، ورأيي فيك، فاستيقنه، ولا تترك الكتابة إليَّ بخبرك وحالك، وحال ولدك وأهلك، وحاجة إن كانت لك أو لأحد يوصل بك فإني أُسَرُّ بذلك.

كتبت إليك ونحن صالحون معافون، والحمد لله، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولينا، وتمام ما أنعم به علينا، والسلام عليك ورحمة الله»[1].

** من هنا يتبين لنا ما كان يتمتع به علماؤنا من تواضع وورع وتقوى وقبول الحق مهما كان قائله.

وكذلك منزلة الإمام الليث في الفقه وما كان يتمتع به من ملكة قوية في استنباط الأحكام، وتحريه الأحاديث الصحيحة من المصادر الصادقة سواء في المدينة أو في غيرها من المدن، فالأحاديث التي رواها هي آراؤه في الفقه، فكل حديث صحيح روى عنه فهو رأيه.

وجدير بالإشارة أن هذه الرسالة هي التي حُفظت كاملة عبر التاريخ والتي تعد من أهم آثار الليث الفقهية، وأعتقد أن السبب في حفظها ــ والله أعلم ــ أن الرسالة الأولى جاءت من الإمام مالك والثانية ذهبت إليه من الإمام الليث، وكان تلاميذ الإمام مالك يدونون لمالك أولا بأول بخلاف تلاميذ الليث..!!

أما آثار الليث الفقهية الأخرى ــ فهي عبارة عن آرائه في بعض المسائل والقضايا وبعض الفتاوى ــ متناثرة في بطون كتب الفقه.

(١) المرجع السابق ص ٦٧- ٦٨.

وفي النهاية أقول بأن الليث ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ سلك منهج الاتباع وطريق الاستسلام للرسول (ﷺ) في كل ما جاء به، قال تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

[النساء: ٦٥].

ثانيًا: مختارات من مرويات الإمام الليث بن سعد في الحديث النبوي الشريف

كان العصر الذي عاشه الليث بن سعد ــ رَحِمَهُ اللَّهُ ــ عصر رواية سواء مما هو مدون في مدونات، أو مما هو محفوظ في الصدور، وعليه فإن جهود الإمام الليث الحديثية تمثلت في مروياته التي نُقلت عنه، وانتقلت بين ثنايا كتب الحديث ومدوناته..

وبناءً على أنه عاش في عصر الرواية، فجهوده الحديثية تمثلت فيما روى عنه، سواء كان ذلك مدونًا عنده في كتابات أو روايات شفهية من حفظه تلقاها عنه تلاميذه، ثم وصلت إلينا بواسطة هؤلاء التلاميذ ومن جاء من بعدهم، حتى دُوِّنت في كتب السنة الستة الصحاح التي جعلتها محلا للدراسة.

هذا وقد قمتُ بتبويب مرويات الليث بن سعد الحديثية على غرار تبويب صحيح الإمام البخاري -مع اختلاف يسير اقتضته ظروف البحث- نظرًا لاعتنائه أكثر من غيره بجودة التبويب، وجريت في تقسيم الأبواب على تقسيم الطبعة السلفية لصحيح الإمام البخاري التي قسمته إلى سبعة وتسعين كتابا..

فها نحن الآن نعرض في خشوع لبعض من هذه الكوكبة النيرة من أحاديث رسول الله (ﷺ) التي رواها الإمام الليث بن سعد (رضي الله عنه).

بدء الوحي:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يزيد بن هارون وحدثنا محمد بن رمح، أنبأنا الليث بن سعد قال: أنبأنا يحيى بن سعيد، أن محمدًا بن إبراهيم التيمي أخبره، أنه سمع علقمة بن وقاص أنه سمع عمر بن الخطاب وهو يخطب الناس، فقال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»(١).

وقال الإمام ابن ماجة: حدثنا أحمد بن سنان ومحمد بن يحيي، قالا: حدثنا يزيد بن هارون، عن شريك، عن ليث، عن طاوس، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): «إنما يبعث الناس على نياتهم»(٢).

وقال الإمام البخاري: حدثنا يحيي بن بكير قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ». قال «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني» فقال: اقرأ، «قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني» فقال: اقرأ، «قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة »، ثم أرسلني فقال:

---

(١) سنن ابن ماجة كتاب: الزهد باب: النية رقم الحديث: ٤٢٢٧ الجزء:٣ الصفحة:٥١٠.
(٢) سنن ابن ماجة كتاب: الزهد باب: النية رقم الحديث: ٤٢٢٩ الجزء:٢ الصفحة:١٤١٤.

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ [العلق: ١-٣]، فرجع بها رسول الله (ﷺ) يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنهما فقال: «زملوني زملوني». فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله (ﷺ) خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نَزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله (ﷺ): «أو مخرجي هم». قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي[1].

(١) صحيح البخاري كتاب: بدء الوحي باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (ﷺ) وهو قول الله جل ذكره {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}، رقم الحديث:٣، الجزء:١، الصفحة:٥٩.

وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد وطاعته والتحذير من مخالفته:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله (ﷺ) قال: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحي الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»(١).

وقال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح بن المهاجر المصري، أنبأنا الليث بن سعد، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير،أن عبد الله بن الزبير حدثه، أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله (ﷺ) في شراج الحرة التي يسبقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر،فأبي عليه، فاختصما عند رسول الله (ﷺ)، في شراج الحرة التي يسبقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبي عليه، فاختصما عند رسول الله »، فقال رسول الله (ﷺ): «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك» فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله، إن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله (ﷺ) ثم قال: « يا زبير، اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر» قال: فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك:

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

(١) صحيح مسلم كتاب: الإيمان باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا (ﷺ) إلى جميع الناس ونسخ الملل؛ رقم الحديث: ٢٣٩ الجزء: ١ الصفحة:١٣٤.

صفة المؤمن:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن ابن صالح، عن أبي هريرة، عن رسول الله (ﷺ) قال: «المُسلِمُ مَن سَلِمَ المُسلِمونَ مِن لسانِهِ ويَدِهِ، والمُؤمِنُ مَن أمِنَهُ الناسُ علَى دِمائِهِم وأموالِهِم» (١).

وقال الإمام الترمذي: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه أن رسول الله (ﷺ) قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة». قال أبو عيسي: هذا حديث حسن صحيح غريب(٢).

وقال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن الحارث المصري، حدثنا الليث بن سعد، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني سعيد بن المسيب، أن رسول الله (ﷺ) قال: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»(٣).

فضل الوضوء:

قال الإمام البخاري: حدثنا يحيي بن بكير قال: حدثنا الليث، عن خالد، عن سعيد بن أبي هلال، عن نعيم المجمر قال: رقيت مع أبي هريرة على ظهر المسجد فتوضأ، فقال: إني سمعت النبي (ﷺ) يقول: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته

(١) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الإيمان وشرائعه باب: صفة المؤمن. رقم الحديث:٤٩٩٥ الجزء:٨ الصفحة:١٠٤.

(٢) سنن الترمذي كتاب: الحدود عن رسول الله (ﷺ) باب: ما جاء في الستر على المسلم. رقم الحديث: ١٤٢٦ الجزء:٤ الصفحة:٢٦.

(٣) سنن ابن ماجة كتاب: الفتن باب: العزلة. رقم الحديث: ٣٩٨٢ الجزء:٢ الصفحة:١٣١٨.

فليفعل»[1].

وقال الإمام النسائي: أخبرنا عمرو بن منصور، حدثنا آدم بن أبي إياس قال: حدثنا الليث -هو ابن سعد- حدثنا معاوية بن صالح قال: أخبرني أبو يحيي سليم بن عامر وضمرة بن حبيب وأبو طلحة نعيم بن زياد قالوا: سمعنا أبوا أمامة الباهلي يقول: سمعت عمرو بن عبسة يقول: قلت: يا رسول الله، كيف الوضوء؟ قال: «أما الوضوء فإنك إذا توضأت فغسلت كفيك فأنقيتهما خرجت خطاياك من بين أظفارك وأناملك، فإذا مضمضت واستنشقت منخريك وغسلت وجهك ويديك إلى المرفقين ومسحت رأسك وغسلت رجليك إلى الكعبين اغتسلت من عامة خطاياك، فإن وضعت وجهك لله -عزَّ وجلَّ- خرجت من خطاياك كيوم ولدتك أمك». قال: أبو أمامة فقلت: يا عمرو بن عبسة، انظر ما تقول! أكل هذا يُعطي في مجلس واحد؟ فقال: أما والله لقد كبرت سني ودنا أجلي، وما بي من فقر فأكذب على رسول الله (ﷺ)، ولقد سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله (ﷺ) [2].

وجوب المحافظة على الماء:

قال الإمام مسلم: حدثنا يحيي بن حيي، ومحمد بن رمح، قالا: أخبرنا الليث، وحدثنا قتيبة، حدثنا الليث عن أبي الزبير، عن جابر، عن رسول الله (ﷺ): «أنه نهى أن يُبال في الماء الراكد»[3].

(١) صحيح البخاري كتاب: الوضوء باب: فضل الوضوء والغر المحجلين من آثار الوضوء. رقم الحديث: ١٣٣:١ الجزء:١ الصفحة:١٣١.

(٢) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الطهارة باب: ثواب من توضأ كما أمر رقم الحديث: ١٤٧ الجزء:١ الصفحة:٩١.

(٣) صحيح مسلم كتاب: الطهارة باب: النهي عن البول في الماء الراكد. رقم الحديث: ٩٤ الجزء: ١ الصفحة:٢٣٥.

جواز غسل الرجل وامرأته في إناء واحد:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا الليث عن ابن شهاب، عن عروة عن عائشة أنها أخبرته أنها كانت تغتسل مع رسول الله (ﷺ) في الإناء الواحد[1].

صفة صلاة النبي (ﷺ):

قال الإمام البخاري: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث: أنه سمع أبا هريرة يقول: كان رسول الله (ﷺ) إذا قام إلى الصلاة، يكبر حين يقوم، ثم يكبر حين يركع، ثم يقول: «سمع الله لمن حمده». حين يرفع صلبه من الركعة، ثم يقول وهو قائم: «ربنا لك الحمد». قال عبد الله: «ولك الحمد». ثم يكبر حين يهوى، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يكبر حين يسجد، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها حتى يقضيها، ويكبر حين يقوم من الثنتين بعد الجلوس[2].

الاطمئنان في الصلاة:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث عن ابن عجلان عن على ــ وهو ابن يحيى ــ عن أبيه، عن عم له بدري أنه حدثه: أن رجلاً دخل المسجد فصلى ورسول الله (ﷺ) يرمقه ونحن لا نشعر، فلما فرغ أقبل فسلم على رسول الله (ﷺ) فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل»، فرجع فصلى، ثم أقبل إلى رسول الله (ﷺ) فقال:«ارجع فصل فإنك لم تصل» مرتين أو ثلاثا، فقال له الرجل:

(١) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الطهارة باب: فضل الجنب. رقم الحديث:٧٢ الجزء:١ الصفحة:٦٠.

(٢) صحيح البخاري كتاب: أبواب صفة الصلاة باب: التكبير إذا قام من السجود. رقم الحديث: ٦٣٣ الجزء:١ الصفة:٢٢٥.

والذي أكرمك يا رسول الله لقد جهدت فعلمني؟ فقال: «إذا قمت تريد الصلاة فتوضأ فأحسن وضوءك، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ، ثم اركع فاطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن قاعدا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع، ثم افعل كذلك حتى تفرغ من صلاتك»(*).

التخفيف في الصلاة:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح، أنبأنا الليث بن سعد، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: صلي معاذ بن جبل الأنصاري بأصحابه صلاة العشاء، فطول عليهم، فانصرف رجل منا فصلى، فأخبر معاذ عنه، فقال: إنه منافق، فلما بلغ ذلك الرجل، دخل على رسول الله (ﷺ)، فأخبره ما قال له معاذ، فقال النبي (ﷺ): «أتريد أن تكون فتانًا يا معاذ؟ إذا صليت بالناس فاقرأ عبد الله

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشمس: ١]،

و﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]،

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ ﴾ [الليل: ١]،

و﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١](١).

(*) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: السهو باب: أقل ما يجزئ من عمل الصلاة. رقم الحديث: ١٣١٣ الجزء:٣ الصفحة:٥٩.

(١) سنن ابن ماجة كتاب: لإقامة الصلاة والسنة فيها باب: من أمَّ قوماً فليخفف. رقم الحديث: ٩٨٦ الجزء:١ الصفحة:٣١٥.

النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة:

قال الإمام مسلم: حدثني الليث بن سعد عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة. أن رسول الله (ﷺ) قال: «لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم، عند الدعاء في الصلاة إلى السماء أو لتخطفن أبصارهم»[1].

النهي عن صلاة الرجل في الحرير:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة وعيسي بن حماد زغبة، عن الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخبير، عن عقبة بن عامر قال: أهدي لرسول الله (ﷺ) فروج حرير[*]، فلبسه ثم صلى فيه ثم انصرف فنزعه نزعا شديدا كالكاره له ثم قال: «لا ينبغي هذا للمتقين»[2].

ختام الصلاة:

قال الإمام مسلم: حدثنا عاصم بن النضر التيمي، حدثنا المعتمر، حدثنا عبيد الله. قال: وحدثنا قيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن ابن عجلان. كلاهما، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، وهذا حديث قتيبة أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله (ﷺ)، فقالوا ذهب أهل الدثور[*]بالدرجات العلى، والنعيم المقيم.فقال: «وما ذاك؟». قالوا: يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق. فقال رسول الله (ﷺ): «أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم؟ ولا يكون أحد

---

(١) صحيح مسلم كتاب: الصلاة باب: النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة. رقم الحديث: ١١٨الجزء:١ الصفحة: ٣٢١.

(*) فروج حرير هو القباء الذي فيه شق من خلفه. النهاية ٣/ ٤٢٣ مادة فرج.

(٢) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: القبلة باب: الصلاة في الحرير. رقم الحديث: ٧٧٠الجزء:٢ الصفحة: ٧٢.

(*) الدثور: جمع دثر، وهو المال الكثير ويقع على الواحد والاثنين والجمع، النهاية٢/١٠٠ مادة دثر.

أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم». قالوا: بلى، يا رسول الله! قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون، دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة». قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله (ﷺ)، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله. فقال رسول الله (ﷺ): «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء». وزاد غير قتيبة في هذا الحديث، عن الليث، عن ابن عجلان: قال سمي: فحدثت بعض أهلى هذا الحديث، فقال: وهمت. إنما قال: تسبح الله ثلاثًا وثلاثين. فرجعت إلى أبي صالح فقلت له ذلك. فأخذ بيدي فقال: الله أكبر، وسبحان الله والحمد لله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، حتى تبلغ من جميعهن ثلاثة وثلاثين. قال ابن عجلان: فحدثت بهذا الحديث رجاء بن حيوة، فحدثني بمثله عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن رسول الله[1].

الأمر بقراءة المعوذات بعد التسليم من الصلاة:

قال الإمام النسائي: أخبرنا محمد بن سلمة قال: حدثنا ابن وهب عن الليث، قال عن حنين بن أبي حكيم، عن على بن رباح، عن عقبة بن عامر، قال: «أمرني رسول الله (ﷺ) أن أقرأ المعوذات دبر كل صلاة » [2].

النهي عن القراءة في الركوع:

قال الإمام النسائي: أخبرنا عيسى بن حماد زغبة، عن الليث، عن يزيد ابن أبي حبيب: أن إبراهيم بن عبد الله بن حنين حدثه: أن أباه حدثه: أنه سمع عليًّا يقول نهاني رسول الله (ﷺ). عن خاتم الذهب، وعن لبوس القسي

(١) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: السهو باب: الأمر بقراءة المعوذات بعد التسليم من الصلاة. رقم الحديث: ١٣٣٦ الجزء:٣ الصفحة:٦٨.

(٢) صحيح مسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.=

= رقم الحديث: ١٤٢ الجزء ١ الصفحة ٤١٦.

والمعصفر، وقراءة القرآن وأنا راكع»[1].

سكرات الموت:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا ليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن موسي بن سرجس، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: رأيت رسول الله (ﷺ) وهو يموت وعنده قدح فيه ماء فيدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: «اللهم أعني على سكرات الموت»[2].

قول الميت وهو على جنازته: قدموني:

قال الإمام البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف: حدثنا الليث: حدثنا سعيد، عن أبيه: أنه سمع أبا سعيد الخدري قال: كان النبي (ﷺ) يقول: «إذا وضعت الجنازة، فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها، أين يذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصعق»[3].

تقديم بعض الشهداء على بعض في اللحد:

قال الإمام البخاري: حدثنا ابن مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا ليث بن سعد، حدثني ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله (ﷺ) كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في

---

(١) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: التطبيق باب: النهي عن القراءة في الركوع. رقم الحديث: ١٠٤٣الجزء:٢ الصفحة:١٨٩.

(٢) سنن ابن ماجة كتاب: الجنائز باب: ما جاء في ذكر مرض رسول الله (ﷺ) رقم الحديث: ١٦٢٣ الجزء: ١ الصفحة:٥١٩.

(٣) صحيح البخاري كتاب: الجنائز باب: قول الميت وهو على جنازة قدموني. رقم الحديث: ١٢٢٨ الجزء: ٢ الصفحة:٥٦١.

ثوب واحد، ثم يقول: «أيهم أكثر أخذا للقرآن». فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء». وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصل عليهم، ولم يغسلهم[1].

الإنسان يرى مقعده في الجنة أو النار وهو في قبره إعادة الخلق:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث بن نافع، عن ابن عمر أن النبي (ﷺ) قال: «ألا إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، حتى يبعثه الله -ﷻ- يوم القيامة»[2].

فضل صدقة المُقِل:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن سعيد بن أبي سعيد والقعقاع، عن أبي هريرة: أن رسول الله (ﷺ) قال: «سبق درهم مائة ألف درهم» قالوا: وكيف؟ قال: «كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها»[3].

جزاء مانع الزكاة والمتعدي في الصدقة:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة قال: لما

---

(١) صحيح مسلم كتاب: الجنائز باب: من يقدم في اللحد وسمي اللحد لأنه في ناحية وكل جائر ملحد ولو كان مستقيما كان ضريحا. رقم الحديث:١٢٥٧ الجزء:١٢ الصفحة: ٥٧٢.

(٢) سنن النسائي (المجتبي) كتاب: كتاب الجنائز باب: وضع الجريدة على القبر. رقم الحديث:٢٠٧ الجزء:٤ الصفحة:١٠٦.

(٣) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الزكاة، باب: جهد المقل. رقم الحديث: ٢٥٢٧ الجزء: ٥ الصفحة:٥٩.

توفي رسول الله (ﷺ) واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله (ﷺ): «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله» فقال أبو بكر (رضي الله عنه): لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله (ﷺ) لقاتلتهم على منعه: قال عمر (رضي الله عنه): فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق[1].

فضل الحج:

قال الإمام النسائي: أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن شعيب، عن الليث قال: حدثنا خالد، عن ابن أبي هلال، عن يزيد بن عبد الله، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن رسول الله (ﷺ) قال: «جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة: الحج والعمرة»[2].

فضل مكة:

قال الإمام بن ماجة: حدثنا عيسي بن حماد المصري، أنبأنا الليث بن سعد، أخبرني عقيل، عن محمد بن مسلم أنه قال: إن أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أخبره، أن عبد الله بن عدي بن الحمراء، قال له: رأيت رسول الله (ﷺ) وهو على ناقته واقفا بالحزورة يقول: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض

(١) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الزكاة، باب: مانع الزكاة. رقم الحديث: ٢٤٤٣ الجزء:٥ الصفحة:١٤.

(٢) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: مناسك الحج باب: فضل الحج رقم الحديث: ٢٦٢٦ الجزء:٥ الصفحة:١١٣.

الله إلي، والله لولا أخرجت منك ما خرجت»[1].

وقال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: قال الليث بن سعيد بن أبي سعيد عن أبي شريح: أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لى أيها الأمير أحدثك قولا قام له رسول الله (ﷺ) الغد من يوم الفتح سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به: حمد الله وأثني عليه ثم قال: «إن مكة حرمها الله فإن ترخص أحد لقتال رسول الله (ﷺ) فيها فقولوا له: إن الله أذن، ولم يحرمها الناس، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرا لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب»[2].

سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه: أن أبا هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لا يحل لامرأة مسلمة تسافر مسيرة ليلة، إلا ومعها رجل ذو حرمة منها»[3].

فضل الصيام:

قال الإمام مسلم: حدثنا محمد بن رمح، أخبرني الليث عن ابن الهاد، عن سهيل بن أبي صالح، عن النعمان بن أبي عياش، عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: رسول الله (ﷺ): «ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله، إلا باعد الله،

(١) سنن ابن ماجة كتاب: كتاب المناسك باب فضل مكة رقم الحديث: ٣١٠٨ الجزء:٢ الصفحة:١٠٣٧.

(٢) سنن النسائي (المجتبي) كتاب: مناسك الحج باب: تحريم القتال فيه رقم الحديث٧٦٢٨جزء: ٥ الصفحة:٢٠٥.

(٣) صحيح مسلم كتاب: الحج باب: سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره رقم الحديث: ٤١٩ الجزء:٢ الصفحة:٩٧٧.

بذلك اليوم، وجهه عن النار سبعين خريفًا»[1].

فضل رمضان:

قال الإمام البخاري: حدثني يحيي بن بكير قال: حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني ابن أبي أنس، مولي التيميين، أن أباه حدثه: أنه سمع أبا هريرة (ﷺ) يقول: قال رسول الله (ﷺ): «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء،وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»[2].

صيام يوم عاشوراء:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح، أنبأنا الليث بن سعد، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، أنه ذكر عند رسول الله (ﷺ) يوم عاشوراء، فقال رسول الله (ﷺ): «كان يومًا يصومه أهل الجاهلية، فمن أحب منكم أن يصومه فليصمه، ومن كرهه فليدعه»[3].

تحريم الجماع في نهار رمضان:

قال الإمام مسلم: حدثنا يحيى بن يحيى، ومحمد بن رمح، قالا: أخبرنا الليث، وحدثنا ليث، عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رجلاً وقع بامرأته في رمضان، فاستفتى رسول الله (ﷺ) عن ذلك، فقال: «هل تجد رقبة؟» قال: لا، قال: «وهل تستطيع صيام شهرين؟»

---

(١) صحيح مسلم كتاب: الصيام باب: فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضرر ولا تفويت حق، رقم الحديث: ١٦٧ الجزء:٢ الصفحة: ٨٠٨.

(٢) صحيح البخاري كتاب: الصوم باب: هل يقال رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله واسعا وقال النبي (ﷺ): (من صام رمضان) وقال (لا تقدموا رمضان) رقم الحديث: ١٥٨ الجزء:٣ الصفحة:٦٤.

(٣) سنن ابن ماجة كتاب: الصيام باب: صيام يوم عاشوراء رقم الحديث: ١٧٣٧ الجزء:١ الصفحة:٥٣٥.

قال: لا، قال: «فأطعم ستين مسكينًا»[1].

الخيار في البيع:

قال الإمام البخاري: حدثنا قتيبة: حدثنا الليث، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «إذا تبايع الرجلان، فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا، وكانا جميعًا، أو يخبر أحدهما الآخر، فتبايعا على ذلك، فقد وجب البيع، وإن تفرقا بعد أن يتبايعا ولم يترك واحد منهما للبيع، فقد وجب البيع»[2].

بيع الخمر والخنزير وجلود الميتة والأصنام:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا عيسى بن حماد المصري، أنبأنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب أنه قال: قال عطاء بن أبي رباح: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله (ﷺ) عام الفتح وهو بمكة: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر، والميتة، والخنزير، والأصنام» فقيل له عند ذلك: يا رسول الله، أرأيت شحوم الميتة، فإنه يدهن بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ قال: «لا، هن حرام» ثم قال رسول الله (ﷺ): «قاتل الله اليهود، إن الله حرم عليهم الشحوم فأجملوه، ثم باعوه فأكلوا ثمنه»[3].

---

(١) صحيح مسلم كتاب: الصيام باب: تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ووجوب الكفارة الكبرى فيه وبيانها وأنها تجب على الموسر والمعسر وتثبت في ذمته حتى يستطيع، رقم الحديث:٨٢ الجزء:٢ الصفحة:٧٨٢.

(٢) صحيح البخاري كتاب: البيوع باب: إذا خير أحدهما صاحبه بعد البيع فقد وجب البيع، رقم الحديث: ٣٦٣ الجزء:٣ الصفحة:١٣٧.

(٣) سنن ابن ماجة كتاب: التجارات باب: ما لا يحل بيعه، رقم الحديث: ٢١٦٧/الجزء:٢ الصفحة: ٧٣٢.

حسن المعاملة والرفق في المطالبة بالدَّين:

قال الإمام النسائي: أخبرنا عيسي بن حماد قال: حدثنا الليث عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) قال: «أن رجلاً لم يعمل خيرًا قط، وكان يداين الناس فيقول لرسوله: خذ ما تيسر واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله تعالى أن يتجاوز عنَّا، فلما هلك قال الله عزَّ وجلَّ له: هل عملت خيرًا قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام وكنت أداين الناس، فإذا بعثته ليتقاضى قلت له: خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا، قال: الله تعالى: قد تجاوزت عنك»[1].

الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها:

قال الإمام البخاري: قال أبو عبد الله: وقال الليث: حدثني جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز، عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ): «أنه ذكر رجلان من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتي بها البحر فقال: اللهم إنك تعلم إني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيدا فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرضي بك، وأني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي أسلفه، ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا الخشبة التي فيها المال، فأخذها

(١) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: البيوع باب: حسن المعاملة والرفق في المطالبة، رقم الحديث: ٤٧٤٩ الجزء:٧ الصفحة: ٣١٨.

لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه،فأتي بالألف دينار، فقال: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلى بشيء؟ قال: أخبرك إني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدي عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدًا»[1].

فضل الغرس والزرع:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث. وحدثنا محمد بن رمح، أخبرنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله (ﷺ) دخل على أم معبد الأنصارية، في نخل لها، فقال لها رسول الله (ﷺ):«من غرس هذا النخل؟ أمسلم أم كافر؟» فقالت: بل مسلم، فقال: «لا يغرس مسلم غرسا، ولا يزرع زرعا، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء، إلا كانت له صدقة»[2].

آداب الطعام والشراب:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد،حدثنا ليث. وحدثنا محمد بن رمح، أخبرنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله (ﷺ) قال: «لا تأكلوا بالشمال، فإن الشيطان يأكل بالشمال»[3].

النهي عن الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح، أنبأنا الليث بن سعد، عن نافع، عن زيد بن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن

(١) صحيح البخاري كتاب: الكفالة حديث رقم ٢٢٩١.
(٢) صحيح مسلم كتاب: المساقاة باب: فضل الغرس والزرع، رقم الحديث: ٨ الجزء:٣ الصفحة:١١٨٨.
(٣) صحيح مسلم كتاب: الأشربة باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما رقم الحديث:١٠٤ الجزء: ٣ الصفحة: ١٥٩٨.

أم سلمة أنها أخبرته، عن رسول الله (ﷺ) قال: «إن الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»[1].

الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعد، حدثنا ليث. وحدثنا محمد بن رمح، أخبرنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر، عن رسول الله (ﷺ): أنه قال: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، وأغلقوا الباب، وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح بابًا، ولا يكشف إناء، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودًا، ويذكر اسم الله، فليفعل، فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم». ولم يذكر قتيبة في حديثه: وأغلقوا الباب[2].

وقال الإمام مسلم: حدثني عمرو الناقد، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الليث بن سعد، حدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثى، عن يحيى بن سعيد، عن جعفر بن عبد الله بن الحكم، عن القعقاع بن حكيم، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء»[3].

---

(١) سنن ابن ماجة كتاب: الأشربة باب: الشرب في آنية الفضة رقم الحديث: ٣٤١٣ جـ:٢ ص:١١٣٠.

(٢) صحيح مسلم كتاب: الأشربة باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب رقم الحديث: ٩٦ الجزء: ٣ الصفحة: ١٥٩٤.

(٣)صحيح مسلم كتاب: الأشربة باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب، وذكر اسم الله عليها، وإطفاء السراج، والنار عند النوم وكف الصبيان، والمواشي بعد المغرب رقم الحديث: ٩٩ الجزء:٣ الصفحة:١٥٩٦.

إطعام الخادم:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا عيسي بن حماد المصري، أنبأنا الليث بن سعد، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): «إذا أحدكم قرَّبَ إليه مملوكه طعامًا قد كفاه عناءه وحره فليدعه فليأكل معه، فإن لم يفعل فليأخذ لقمة فليجعلها في يده»[(١)].

إطعام الطعام وإفشاء السلام:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح، أنبأنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عبد الله بن عمرو، أن رجلاً سأل رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله، أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[(٢)].

التعوذ من الجوع:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا هريم، عن ليث، عن كعب، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله (ﷺ) يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة»[(٣)].

ماذا يفعل الإنسان إذا أراد أن يضحى؟

قال الإمام النسائي: أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن شعيب

---

(١) سنن ابن ماجة كتاب: الأطعمة باب: إذا أتاه خادمه بطعامه فليناوله منه رقم الحديث:٣٢٩٠ الجزء: ٢ الصفحة: ١٠٩٤.

(٢) سنن ابن ماجة كتاب: الأطعمة باب: إطعام الطعام، رقم الحديث: ٣٢٥٣ الجزء:٢ الصفحة: ١٠٨٣.

(٣) سنن ابن ماجة كتاب: الأطعمة باب: التعويذ من الجوع، رقم الحديث: ٣٣٥٤ الجزء:٢ الصفحة:١١١٣.

قال: أخبرنا الليث قال: حدثنا خالد بن يزيد عن ابن أبي هلال، عن عمرو بن مسلم أنه قال: أخبرني ابن المسيب أن أم سلمة زوج النبي (ﷺ) أخبرته أن رسول الله (ﷺ) قال: «من أراد أن يضحي فلا يقلم من أظفاره ولا يحلق شيئًا من شعره في عشر الأول من ذي الحجة»[1].

ما لا يجوز في الأضحية:

قال الإمام النسائي: أخبرنا سليمان بن داود، عن ابن وهب قال: أخبرني عمرو بن الحارث والليث بن سعد وذكر آخر وقدمه، أن سليمان بن عبد الرحمن حدثهم عن عبيد بن فيروز عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله (ﷺ) وأشار بأصابعه وأصابعي أقصر من أصابع رسول الله (ﷺ) يشير بأصبعن يقول: «لا يجوز من الضحايا: العوراء البين عورها، والعرجاء البين عرجها، والمريضة البين مرضها، والعجفاء[*] ا لتي لا تنقى»[2].

إشارة الحاكم على الخصم بالصلح:

قال الإمام البخاري: حدثنا يحيي بن بكير: حدثنا الليث: حدثني جعفر بن ربيعة، وقال غيره: حدثني الليث قال: حدثني جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز، عن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري، عن كعب بن مالك (رضي الله عنه): أنه كان له على عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي دين، فلقيه فلزمه، فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما، فمر بهما النبي (ﷺ)، فقال: «يا كعب» وأشار

(١) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الضحايا رقم الحديث:٤٣٢٦ الجزء: ٧ الصفحة:٢١٥.
(*) العجفاء: المهزولة من الغنم وغيرها، النهاية ١٨٦/٣ مادة عجف.
(٢) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الضحايا باب: العجفاء رقم الحديث: ٤٣٧١ الجزء:٧ الصفحة: ٢١٥.

بيده، كأنه يقول: النصف، فأخذ نصف ما عليه وترك نصفًا[1].

فضل الجهاد والرباط في سبيل الله:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني الليث، عن زهرة بن معبد، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله (ﷺ) قال: «من مات مرابطًا في سبيل الله، أجرى عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل، وأجري عليه رزقه، وأمن من الفتان، وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع»[2].

وقال الإمام الترمذي: حدثنا قتيبة: حدثنا الليث عن ابن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «ثلاثة حق على الله عونهم، المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن[3].

وقال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن أبي الخطاب، عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله (ﷺ) عام تبوك يخطب الناس وهو مسند ظهره إلى راحلته فقال: «ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس، إن من خير الناس رجلا عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدمه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس

(١) صحيح البخاري كتاب: كتاب الخصومات باب: باب الملازمة رقم الحديث:٦٤٥ الجزء: ٣ الصفحة:٢٥٩.

(٢) سنن ابن ماجة كتاب: الجهاد باب: فضل الرباط في سبيل الله رقم الحديث: ٢٧٦٧ الجزء:٢ الصفحة:٩٢٤.

(٣) سنن الترمذي كتاب: فضائل الجهاد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باب: ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم رقم الحديث: ١٦٥٥ الجزء:٤ الصفحة:١٥٧.

رجلا فاجرا يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلا شيء منه»[1].

وقال الإمام النسائي: أخبرنا محمد بن عامر قال: حدثنا منصور بن سلمة قال: اخبرنا الليث بن سعد ابن الهاد، عن سهيل بن أبي صالح، عن صفوان بن أبي يزيد، عن القعقاع بن اللجلاج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد، ولا يجتمع الشح والإيمان في جوف عبد»[2].

من فضائل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

قال الإمام البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم: أخبرنا الليث قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب: أن أبا هريرة (رضي الله عنه) قال: بينا نحن عند رسول الله (ﷺ) إذ قال: «بينما أنا نائم، رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته، فوليت مدبرًا». فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله [3].

وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام:

قال الإمام مسلم: حدثنا يحيي بن يحيي، وقتيبة، وابن رمح، عن الليث بن سعد، عن نافع: أن **صفية** بنت أبي عبيد حدثته عن حفصة، أو عن عائشة، أو عن كلتيهما: أن رسول الله (ﷺ) قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر

(١) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الجهاد باب: فضل من عمل في سبيل الله على قدمه رقم الحديث:٣١٠٦ الجزء: ٦ الصفحة:١١

(٢) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الجهاد باب: فضل من عمل سبيل على قدمه رقم الحديث: ٣١١٢ الجزء:٦ الصفحة: ١٣.

(٣) صحيح البخاري كتاب: فضائل الصحابة باب: مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي (رضي الله عنه) رقم الحديث ٢٠٠ الجزء:٥ الصفحة:٧٠.

أو تؤمن بالله ورسوله أن تحد على ميت فوق ثلاثة أيام، إلا على زوجها»[1].

العلاج بالحبة السوداء:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح ومحمد بن الحارث المصريان، قالا: حدثنا الليث بن سعد، عن ابن شهاب، أخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب، أن أبا هريرة أخبرهما، أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «إن الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام» والسام الموت، والحبة السوداء الشونيز[2].

تحريم لبس خاتم الذهب والحرير على الرجال:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث عن يزيد ابن أبي حبيب، عن أبي أفلح الهمداني، عن ابن زرير أنه سمع على بن أبي طالب يقول: إن نبي الله (ﷺ) أخذ حريرًا فجعله في يمينه وأخذ ذهبًا فجعله في شماله ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي»[3].

صلة الرحم:

قال الإمام مسلم: حدثني عبد الملك بن شعيب بن الليث، حدثني أبي، عن جدي، حدثني عقيل ابن خالد، قال: قال ابن شهاب: أخبرني أنس بن مالك، أن رسول الله (ﷺ) قال: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل

(١)صحيح مسلم كتاب: الطلاق باب: وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام رقم الحديث:٦٥ الجزء: ٢ الصفحة:١١٢٧.

(٢) سنن ابن ماجة كتاب: الطب باب: الحبة السوداء رقم الحديث:٣٤٤٧ج ٢ ط١١٤١

(٣) سنن النسائي كتاب: الزينة من السنن باب: تحريم الذهب على الرجال رقم الحديث: ٥١٤٤ج ٨ ص١٦٠.

رحمه»[1].

حق الجار:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يزيد بن هارون وعبدة بن سليمان وحدثنا محمد بن رمح، أنبأنا الليث بن سعد جميعًا عن يحيى بن سعيد، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عمرة، عن عائشة، أن رسول الله (ﷺ) قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[2].

وقال الإمام البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف: حدثنا الليث قال: حدثني سعيد المقبري، عن أبي شريح العدوي قال: سمعت أذناي، وأبصرت عيناي، حين تكلم النبي (ﷺ) فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته». قال: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[3].

البيعة على السمع والطاعة:

قال الإمام النسائي: أخبرنا الإمام أبو عبد الرحمن النسائي من لفظه قال: أخبرنا قتيبة بن سعيد قال: ثنا الليث، عن يحيي بن سعيد، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله (ﷺ) على السمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط والمكره، وألَّا ننازع الأمر أهله، وأن

(١) صحيح البخاري كتاب: الأدب و البر والصلة باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها رقم الحديث ٢١ ج٢ ص١٥٨٢.

(٢) سنن ابن ماجة كتاب: باب: حق الجوار رقم الحديث:٣٦٧٣ الجزء:٢ الصفحة:١٢١١.

(٣) صحيح البخاري كتاب: الأدب باب: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره) رقم الحديث:٩٠٢ الجزء:٨ الصفحة:٣٢٩.

نقوم بالحق حيث كانا لا نخاف لومة لائم[1].

بطانة الإمام:

قال الإمام النسائي: أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن شعيب عن الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر عن صفوان عن أبي سلمة عن أبي أيوب أنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «ما بعث من نبي ولا كان بعده خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً، فمن وقي بطانة السوء فقد وقي»[2].

الدين النصيحة:

قال الإمام النسائي: أخبرنا الربيع بن سليمان قال: ثنا شعيب بن الليث قال: ثنا الليث، عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن رسول الله (ﷺ) قال: «إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[3].

فضل بناء المساجد:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا يونس بن محمد، قال: حدثنا ليث بن سعد وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا داود بن عبد الله الجعفري، عن عبد العزيز بن محمد جميعًا، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي، عن الوليد بن أبي الوليد، عن عثمان بن عبد

(١) سنن النسائي (المجتبي) كتاب: البيعة باب: البيعة باب: البيعة على السمع والطاعة رقم الحديث: ٤١٤٩ الجزء: ٧ الصفحة:١٣٧.

(٢) سنن النسائي (المجتبي) كتاب: البيعة باب: بطانة الإمام رقم الحديث:٤٢٠٣ الجزء:٧ الصفحة: ١٥٨.

(٣) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: البيعة باب: النصيحة للإمام رقم الحديث: ٤١٩٩ الجزء: ٧ الصفحة:١٥٧.

الله بن سراقة العدوي، عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «من بنى مسجدًا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتًا في الجنة»[1].

فضل الصلاة في المسجد النبوي:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث عن نافع، عن إبراهيم بن عبد الله بن معبد ابن عباس أن ميمونة زوج النبي (ﷺ) قالت: من صلى في مسجد رسول الله (ﷺ) فإني سمعت رسول الله يقول: «الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة في سواه. إلا مسجد الكعبة»[2].

ماذا يقول الرجل عند دخول المسجد:

قال الإمام الترمذي: حدثنا على بن حجر، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن ليث، عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة الكبرى قالت: كان رسول الله (ﷺ)، وإذا دخل المسجد قال: «رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك»، وإذا خرج صلي على محمد وسلم، وقال: «رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك»[3].

احفظ الله يحفظك:

قال الإمام الترمذي: حدثنا أحمد بن محمد بن موسي. أخبرنا عبد الله بن المبارك. أخبرنا ليث بن سعد وابن لهيعة. عن قيس بن الحجاج قال وحدثنا عبد الله بن الرحمن. أخبرنا أبو الوليد. حدثنا ليث بن سعد. حدثني قيس بن

---

(١) سنن ابن ماجة كتاب: المساجد والجماعات باب: من بنى لله مسجدًا رقم الحديث:٧٣٥ الجزء:١ الصفحة:٢٤٣.

(٢) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: المساجد باب: فضل الصلاة في المسجد الحرام رقم الحديث: ٦٩١ الجزء:٢ الصفحة:٣٣.

(٣) سنن الترمذي كتاب:أبواب الصلاة عن رسول الله (ﷺ)باب: ما جاء في ما يقول عند دخول المسجد رقم الحديث: ٣١٤ الجزء: ٢ الصفحة: ١٢٧.

الحجاج المعني واحد عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله (ﷺ) يومًا، فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» قال: هذا حديث حسن صحيح[1].

الصبر على البلاء:

قال الإمام الترمذي: حدثنا قتيبة، حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة» وبهذا الإسناد عن النبي (ﷺ) قال: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»

قال أبو عيسي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه[2].

صياح الديكة ونهيق الحمير:

قال الإمام البخاري: حدثنا قتيبة: حدثنا الليث، عن جعفر بن ربيعة، عن الأعرج، عن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن النبي (ﷺ) قال: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله

(١) سنن الترمذي كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ: رقم الحديث: ٢٥١٦ الجزء:٤ الصفحة: ٥٧٥.

(٢) سنن الترمذي كتاب: الزهد عن رسول الله (ﷺ) باب: ما جاء في الصبر على البلاء رقم الحديث: ٢٣٩٦ الجزء: ٤ الصفحة:٥١٩.

من الشيطان، فإنه رأى شيطانا»[1].

التحذير من المحرمات:

قال الإمام البخاري:حدثني يحيى بن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أبي بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة: أن رسول الله (ﷺ) قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق المؤمن حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم، وهو مؤمن». وعن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي (ﷺ): بمثله، إلا النهبة[2].

توضيح الأمر المشكل:

قال الإمام البخاري: حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثني الليث قال: حدثني عبد الرحمن بن خالد، عن ابن شهاب، عن على بن حسين: أن صفية زوج النبي (ﷺ) أخبرته: أنها جاءت رسول (ﷺ) تزوره، وهو معتكف في المسجد، في العشر الأواخر من رمضان، ثم قامت تنقلب فقام معها رسول الله (ﷺ)، حتى إذا بلغ قريبًا من باب المسجد، عند باب أم سلمة زوج النبي (ﷺ)، مر بهما رجلان من الأنصار، فسلما على رسول الله (ﷺ) ثم نفذا، فقال لهما رسول الله (ﷺ): «على رسلكما» قالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما ذلك، فقال رسول الله (ﷺ):

«إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في

(١) صحيح البخاري كتاب: بدء الخلق باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، رقم الحديث: ١٤٦٣ الجزء ٤ الصفحة:٥٧٦.

(٢) صحيح البخاري كتاب: التعبير باب: ما يحذر من الحدود الزنى وشرب الخمر رقم الحديث: ١٦١٩ الجزء:٩.

قلوبكما شيئًا»[1].

ما يُرجى من رحمة الله يوم القيامة:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا الليث، حدثني عامر بن يحيى، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول (ﷺ): «يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر، ثم يقول الله عزَّ وجلَّ: هل تنكر من هذا شيئًا، فيقول: لا يا رب: فيقول: أظلمك كتبتي الحافظون؟ ثم يقول: ألك عن ذلك حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، قال: فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» قال محمد بن يحيي: البطاقة الرقعة، وأهل مصر يقولون للرقعة بطاقة[2].

لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن بكير، عن بسر بن سعيد، عن أبي هريرة، عن رسول الله (ﷺ)، أنه قال: «لن ينجي أحدا منكم عمله» قال رجل: ولا إياك؟ يا رسول الله قال: «ولا إياي إلا أن يتغمدني الله

(١) صحيح البخاري كتاب: أبواب الخمس باب: ما جاء في بيوت أزواج النبي (ﷺ) وما نسب من البيوت إليهن وَقَوْلِ اللَّهِ ﷻ: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}، {وَلاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ}. رقم الحديث:١٢٧٣ الجزء:٤ الصفحة: ٥٠٧.

(٢) سنن ابن ماجة كتاب: الزهد باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة رقم الحديث: ٤٣٠٠ الجزء:٢ الصفة: ١٤٣٧.

منه برحمة، ولكن سدود»[1].

من دعاء النبي (ﷺ):

قال الإمام أبو داود: حدثنا قتيبة بن سعيد، ثنا الليث، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أخيه عباد بن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة يقول: كان رسول الله (ﷺ) يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الأربع: من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يُسمع»[2].

وقال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح، حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبي بكر بن الصديق، أنه قال لرسول الله (ﷺ): علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: قل: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»[3].

وقال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث. وحدثنا محمد بن رمح واللفظ له، أخبرنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الحارث بن يعقوب بن عبد الله حدثه، أنه سمع بسر ابن سعيد يقول: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: سمعت خولة بنت حكيم السليمة تقول: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «من نزل منزلا، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره

(١) صحيح مسلم كتاب: باب صفة القيامة والجنة والنار باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى رقم الحديث: ٧١ الجزء:٤ الصفحة:٢١٦٩.

(٢) سنن أبي داود كتاب: باب تفريع أبواب الوتر كتاب الوتر باب: في الاستعاذة رقم الحديث: ١٥٤٨ الجزء:٢ الصفحة:٩٣.

(٣) سنن ابن ماجة كتاب: الدعاء باب: دعاء رسول الله (ﷺ) رقم الحديث ٣٨٣٥ الجزء:٢ الصفحة:١٢٦١.

شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك»[1].

وقال الإمام الترمذي: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث عن الجلاح أبي كثير عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عمارة بن شبيب السبائي قال: قال رسول الله (ﷺ): من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات على إثر المغرب بعث الله مسلحة(*) يحفظونه من الشيطان حتى يصبح، وكتب الله له بها عشر حسنات موجبات، ومحا عنه عشر سيئات موبقات، وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات» قال أبو عيسي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ليث بن سعد، ولا نعرف لعمارة سماعًا عن النبي (ﷺ) [2].

وقال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن سعيد المقبري، عن عقبة بن عامر قال: كنت أمشي مع رسول الله (ﷺ) فقال: «يا عقبة قل»، فقلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فسكت عني فقلت: اللهم اردده علي، فقال: «يا عقبة قل»، قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فقال ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ ﴾ [الفلق: ١] فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال: قل،قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ قال:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾ [الناس: ١] فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال: رسول الله (ﷺ) عند ذلك: «ما سأل

(١) صحيح مسلم كتاب: الدعوات الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره رقم الحديث: ٥٤ الجزء:٤ الصفحة:٢٠٨٠.

(*) المسلحة: القوم الذين يحفظون الثغور من العدو، النهاية٣٨٨/٢ مادة سلخ.

(٢) سنن الترمذي كتاب: الدعوات عن رسول الله (ﷺ) رقم الحديث: ٣٥٣٤ الجزء:٥ الصفحة: ٥٠٨.

سائل بمثلهما ولا استعاذ مستعيذ بمثلها»[1].

وقال الإمام النسائي: أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن شعيب، عن الليث، عن يزيد بن الهاد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والهرم، والمغرم، والمأثم، وأعوذ بك من شر المسيح الدجال، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من عذاب النار»[2].

وقال الإمام النسائي: أخبرنا أبو عاصم قال: حدثنا القاسم بن كثير المقري، عن الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سليمان بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات» قال أبو عبد الرحمن: هذا خطأ، والصواب سليمان بن سنان[3].

وقال الإمام أبو داود: حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني قال: أخبرنا، وثنا الربيع بن سليمان قال: ثنا ابن وهب قال: أخبرني الليث، عن سعيد بن بشير البخاري، عن محمد بن عبد الرحمن البيلماني ــ قال الربيع: ابن البيلماني ــ عن أبيه عن ابن عباس عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «من قال حين يصبح: ﴿فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ [الروم: ١٧-١٨] إلى:

(١) سنن النسائي: (المجتبى) كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة رقم الحديث:٥٤٣٨ الجزء:٨ الصفحة: ٢٥٣.

(٢) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من الهرم رقم الحديث: ٥٤٩٠ الجزء:٨ الصفحة:٢٦٩.

(٣) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من فتنة القبر رقم الحديث: ٥٥١٥ الجزء:٨ الصفحة:٢٧٧.

﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩﴾ [الروم: ١٩] أدرك ما فاته في يومه ذلك، ومن قالهن حين يمسي أدرك ما فاته» قال الربيع: عن الليث(١).

القراءة عند النوم:

قال الإمام البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف: حدثنا الليث قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب: أخبرني عروة، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله (ﷺ) كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه، وقرأ بالمعوذات، ومسح بهما جسده(٢).

الحلف بالله:

قال الإمام البخاري: حدثنا ليث، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وهو يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله (ﷺ): «ألا، إن الله نهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله، وإلا فليصمت»(٣).

إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله:

قال الإمام البخاري: حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: ما خير النبي (ﷺ) بين أمرين إلا اختار أيسرهما

(١) سنن أبي داود كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح رقم الحديث:٥٠٧٦ الجزء:٤ ص:٣٢١. والآيات ١٧-١٩ من سورة الروم.

(٢) صحيح البخاري كتاب: الدعوات باب: التعوذ والقراءة عند النوم رقم الحديث: ١١٨٩ الجزء:٨ الصفحة:٤٢٣.

(٣) صحيح البخاري كتاب: الأدب باب: من لم ير إكفار من قال ذلك متأويلا أو جاهلاً رقم الحديث: ٩٨٦ الجزء:٨ الصفحة: ٣٥٤.

ما لم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمات الله، فينتقم الله[١].

إقامة الحدود إذا رفعت إلى السلطان:

قال الإمام البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا ليث، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها: أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله (ﷺ)؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله (ﷺ)، فَكَلَّمَهُ أسامة، فقال رسول الله (ﷺ): «أتشفع في حد من حدود الله» ثم قام فاختطب ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها[٢].

كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، وحدثنا محمد بن رمح، حدثنا الليث، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي (ﷺ): أنه قال: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها ووالده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»[٣].

---

(١) صحيح البخاري كتاب: الحدود باب: إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله رقم الحديث: ١٦٣٤ الجزء:٩.

(٢) صحيح البخاري كتاب: كتاب الأنبياء باب: (حديث الغار) رقم الحديث: ١١ الجزء: ٥ الصفحة:٩.

(٣) صحيح مسلم كتاب: الإمارة. رقم الحديث: ٤٨٢٨.

حد التلصص:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث، عن ابن شهاب أن سهل بن سعيد الساعدي أخبره: أن رجلاً اطلع من حجر في باب النبي (ﷺ)، ومع رسول الله (ﷺ) مدرى يحك بها رأسه، فما رآه رسول الله (ﷺ) قال: «لو علمت أنك تنظرني لطعنت به في عينيك، إنما جعل الإذن من أجل البصر»[1].

الرؤيا الصادقة كانت بداية الوحي على رسول الله (ﷺ):

قال الإمام البخاري: حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب. وحدثني عبد الله بن محمد: حدثنا عبد الرزاق: حدثنا معمر: قال الزهري: فأخبرني عروة، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يري رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء يتحنث فيه، وهو التعبد، الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ، فقال النبي (ﷺ): «فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق: ١] حتَّى بَلَغَ ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ [العلق: ٥]. فرجع بها ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال (ﷺ): «زملوني زملوني». فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: «يا خديجة ما لي» وأخبرها الخبر، وقال: «قد خشيت على نفسي»فقالت له: كلا، أبشر، فوا الله لا

(١) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: القسامة باب: ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له. رقم الحديث: ٤٨٥٩ الجزء:٨ الصفحة:٦٠.

يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة ﵂ حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبري، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره النبي (ﷺ) ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، أكون حيًّا حين يخرجك قومك. فقال رسول الله (ﷺ): «أو مخرجي هم». فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي (ﷺ)، فيما بلغنا، حزنا غدا منه مرارًا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقى منه نفسه تبدى له جبريل، فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقا. فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك. قال ابن عباس: «فالق الإصباح»: ضوء الشمس بالنهار، وضوء القمر بالليل[1].

رؤية النبي (ﷺ) في المنام:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث. وحدثنا ابن رمح، أخبرنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله قال: «من رآني في النوم فقد رآني، إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي». وقال: «إذا حلم أحدكم

(١) صحيح البخاري كتاب: التعبير باب: أول ما بدء به رسول الله (صلى الله عليه وسلم)من الوحي الرؤيا الصالحة رقم الحديث: ١٨١٤ الجزء:٩ والآيات من ١-٥ من سورة العلق.

فلا يخبر أحدًا بتلعب الشيطان به في المنام»[1].

من رأى رؤيا يكرهها:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح، حدثنا الليث بن سعد، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عوف، عن أبي قتادة أن رسول الله (ﷺ)، قال: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئا يكرهه فليبصق عن يساره ثلاثًا، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه»[2].

نزول سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام(عليه السلام):

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث. وحدثنا محمد بن رمح، أخبرنا الليث عن ابن شهاب، عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله (ﷺ): «والذي نفسي بيده! ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[3].

فتنة النساء:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح، أنبأنا الليث بن سعد،عن ابن الهاد، عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل

---

(١) صحيح مسلم كتاب: الرؤيا باب: قول النبي عليه الصلاة والسلام (من رآني في المنام فقد رآني) رقم الحديث: ١٢ الجزء:٤ الصفحة: ١٧٧٦. سنن ابن ماجة كتاب: تعبير الرؤيا من رأي رؤيا يكرهها رقم الحديث: ٣٩٠٣ الجزء: ٢ الصفحة:١٢٨٦.

(٢) سنن ابن ماجة كتاب: تعبير الرؤيا من رأي رؤيا يكرهها رقم الحديث: ٣٩٠٣ الجزء: ٢ الصفحة:١٢٨٦.

(٣) صحيح مسلم كتاب: الإيمان باب: نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد (ﷺ). رقم الحديث:٢٤٢ الجزء:١ الصفحة:١٣٥.

النار؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن» قالت: يا رسول الله، وما نقصان العقل والدين؟ قال: « أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا من نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلى، وتفطر في رمضان، فهذا من نقصان الدين»(١).

شر الناس:

قال الإمام البخاري: حدثنا قتيبة: حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عراك، عن أبي هريرة: أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «إن شر الناس ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»(٢).

قول النبي (ﷺ) (بعثت بجوامع الكلم) والكذب على النبي:

قال الإمام البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله: حدثنا الليث، عن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي (ﷺ) قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أومن، أو آمن، عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلى، فأرجو أنى أكثرهم تابعًا يوم القيامة»(٣).

وقال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح المصري، حدثنا الليث بن سعد، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك، قال: رسول الله (ﷺ): «من كذب على حسبته، قال: متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»(٤).

---

(١) سنن ابن ماجة كتاب: الفتن باب: فتنة النساء. رقم الحديث: ٤٠٠٣ الجزء:٢ الصفحة:١٣٢٦.

(٢) صحيح البخاري كتاب: الأحكام باب: ما يكره من ثناء السلطان وإذا خرج قال غير ذلك رقم الحديث:١٩٩٥ الجزء:٩ الصفحة:٧١٥.

(٣) صحيح البخاري كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة باب: قول النبي (ﷺ) (بعث بجوامع الكلم) رقم الحديث: ٢٠٨٣ الجزء: ٩ الصفحة: ٧٤٥.

(٤) سنن ابن ماجة كتاب: باب تعظيم حديث رسول الله (ﷺ)والتغليظ على من عارضه =

من سن سنة حسنة أو سيئة:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا عيسى بن حماد المصري، حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس بن مالك، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «أيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع، فإن له مثل أوزار من اتبعه، ولا ينقص من أوزارهم شيئًا، وأيما داع دعا إلى هدى فاتبع، فإن له مثل أجور من اتبعه، ولا ينقص من أجورهم شيئًا»(١).

وقال الإمام ابن ماجة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن ليث، عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): «ما من داع يدعو إلا وقف يوم القيامة لازمًا لدعوته ما دعا إليه، وإن دعا رجل رجلاً»(٢).

التوحيد والقرآن:

قال الإمام البخاري: حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا» قلنا: لا، قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما». ثم قال: «ينادي مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد

باب: باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله (ﷺ)رقم الحديث:٣٢ الجزء:١ الصفحة:١٣.

(١) سنن ابن ماجة كتاب: باب تعظيم حديث رسول الله (ﷺ) والتغليظ على من عارضه باب: باب من سن سنة حسنة أو سيئة رقم الحديث: ٢٠٥ الجزء:١ الصفحة:٧٥.

(٢) سنن ابن ماجة كتاب: باب تعظيم حديث رسول الله (ﷺ) والتغليظ على من عارضه باب: من سن سنة حسنة أو سيئة رقم الحديث:٢٠٨ الجزء:١ الصفحة:٧٥.

الله، من بر أو فاجر، وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرًا ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون، حتى يبقى من كان يعبد الله، من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا مناديا ينادى: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه، فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا، ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم».

قلنا يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «مدحضة مزلة(*)، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة(*) مفلطحة لها شوكة عقيفة، تكون بنجد، يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا، فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا، في إخوانهم، يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله ﷻ: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه، وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه،

(*) المزلة: مفعلة من زل يزل زلق، وتفتح الزاي وتكسر أراد أنه تزلق عليه الأقدام ولا تثبت، النهاية٢/٣١٠ مادة زلل.

(*) الحسك: شوكة صلبة معروفة. النهاية١/٣٨٦ مادة حسك.

فيخرجون من عرفوا ثم يعودون، فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا».

قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا: «إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها». فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقوامًا قد امتحشوا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافته كما تنبت الحبة في حميل السيل، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة، إلى جانب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلوا الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه) [(١)].

وقال الإمام البخاري: حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث: حدثنا عقيل، عن ابن شهاب: حدثنا حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة: أن النبي (ﷺ) قال: «احتج آدم وموسي، فقال موسي: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة؟ قال آدم: أنت موسي الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه، ثم تلومني على أمر قد قدر على قبل أن أخلق؟ فحج آدم موسى»[(٢)].

وقال الإمام البخاري: حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أنه كان يقول: قال رسول الله (ﷺ): «ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي (ﷺ) يتغنى بالقرآن».

---

(١) صحيح البخاري كتاب: التوحيد باب: قول الله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} رقم الحديث:٢٢٣٩ الجزء:٩ الصفحة:٧٩٨.

(٢) صحيح البخاري كتاب: التوحيد باب: قوله {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} رقم الحديث:٢٣١٤ الجزء:٩ الصفحة: ٨٢٣.

وقال صاحب له: يريد: أن يجهر به [1].

وقال الإمام البخاري: حدثنا يحيي بن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب: حدثني عروة: أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاري حدثاه: أنهما سمع عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (ﷺ)، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله (ﷺ)، فكدت أساوره في الصلاة فتبصرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها؟ قال: أقرأنيها رسول الله، فقلت: كذبت، أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول (ﷺ) فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال: «أرسله، اقرأ يا هشام». فقرأ القراءة التي سمعته، فقال رسول الله (ﷺ): كذلك أنزلت» ثم قال رسول الله (ﷺ) «اقرأ ياعمر». فقرأت التي أقرأني، فقال: «كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه»[2].

(١) صحيح البخاري كتاب: التوحيد باب: قول الله تعالى {وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} ولم يقل ماذا خلق ربكم رقم الحديث:٢٢٨١ الجزء:٩ الصفحة:٨١٣.

(٢) صحيح البخاري كتاب: التوحيد باب: قوله تعالى { فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ} رقم الحديث: ٢٣٤٨ الجزء:٩ الصفحة: ٨٣٧.

منهج الإمام الليث بن سعد في رواية الحديث

وهكذا عشنا مع السنة النبوية لقطات نورانية متنوعة من خلال مرويات الإمام الليث بن سعد في الكتب الستة (محل الدراسة)، والتي شملت كل الموضوعات الدينية والدنيوية سواء كانت عقائد أو عبادات أو معاملات أو أخلاق أو حدود أو فرائض أو آداب.. إلخ، هذه الأحاديث التي أخذها الليث عن كبار علماء عصره بعد أن اتخذ لنفسه منهجًا لاختيار شيوخه، فلم يأخذ الحديث إلا عن الثقات، وهذا ما استقر أناه عندما تعرضنا لدراسة شيوخه ومن روى عنهم، والناظر المدقق في مرويات الليث يلحظ بما لا يدع مجالاً للشك أنه التزم هذا التثبيت والتحري في شيوخه، وفي رجال إسناده، ومن روى عنهم في كل مروياته الحديثية، حيث أخذ عن ابن شهاب الزهري، ونافع مولي بن عمر، ويزيد بن أبي حبيب، وغيرهم.. حتى قيل: إنه أدرك نيفًا وخمسين تابعيًّا وروى عنهم[1].

يقول ابن حجر: «وقعت لي نسخة الليث عن نافع فيها من الأحاديث المرفوعة والموقوفة نحو المائة، ومع ذلك فكان الليث يروى عنه ما ليس عنده منه مشافهة بالواسطة، وربما روى بأكثر من واسطة واحد، فإنه روى عن هقل بن زياد، عن الأوزاعي، عن داود بن عطاء، عن موسي بن الزهري الواسطة بواحد كعقيل ويونس وغيرهما، وذلك في الصحيحين، وباثنين، كما روى عن إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، وبثلاثة كما روى، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن يزيد بن الهاد عن ابن شهاب، وبخمسة كما روي عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن يزيد بن الهاد، عن إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان، عن الزهري. وسمع من أبي الزبير وحديثه عنه من أصح الحديث؛ فإنه لم يسمع منه شيئًا دلس فيه. وقد

(١) صفة الصفوة المجلد الثاني صـ ٤٧٣.

روى عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن محمد بن عجلان، عن أبي الزبير، وما من هؤلاء الوسائط إلا من سمع منه الكتب، ولكنه كان لا يحس التدليس، فكان لا يبالي إذا نزل في الرواية إذا لم يسمع، فقد حدث عن هشام بن عروة، وسمع من ربيعة وحدَّث عن يحيي بن أيوب، عن أيوب بن موسي عنه، وسمع من سعيد المصري وحدّث عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الحميد ابن جعفر عنه. وكان من سعة علمه يحدَّث من لسانه بما عنده»[1].

كما أخذ الليث عن بعض علماء عصره في الأمصار الإسلامية، وكان يحاجهم فيما ينقله عنهم حتى قالوا: إنه كان أثبت الناس فيما رواه عن سعيد بن أبي سعيد المدني، وروى عن: نافع ــ كما سبق ــ وقالوا فيما رواه عنه: إن الليث من أثبت أصحابه، وروى عن سليم بن جبر مولي أبي هريرة (ت١٢٣هـ) وبذلك عرف مرويات أبي هريرة من أقرب الناس إليه وأشدهم به صلة. فقد أتاح الرجل لنفسه فرصًا كثيرة عرف فيها ما كان عند الناس من مرويات من السنن والآثار.

وكان لليث منهج يرتكز على أن الأصل في الترجيح بين المرويات صدق الراوي وأمانته ودقته، أما المكان فلا اعتبار له؛ ذلك لأنه لا يعصم الراوي من الكذب أو يحمله على الدقة، وبذلك فكان لا يتعصب لبيئة على أخري وإنما الأمر مرده إلى ما ينتهي إليه عنده النظر المدرك لطبيعة المروي وسنده، وبذلك حافظ الليث على ما ينبغي أن يحافظ عليه من الموازنة الواعية بين المرويات وإيثار بعضها على بعض، ويظهر أن مبدأ الموازنة كان أصل المبادئ عنده، وأقربها إلى نفسه، وأحبها إلى ما يزاوله من أنواع السلوك، والليث بعد هذا كله له رأيه المستقل، وحكمه فيما يعرض عليه من مشكلات، ونقده للرواية وطريقته في ترتيب تحملها، حيث كان يفضل العرض على السماع، ثم له كذلك رأيه فيما

(١) الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية للحافظ ابن حجر صـ١٩.

تناقلته الرواية من أحكام السلف[1].

فقد روى الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي عبيد القاسم بن سلام بسنده هو الآخر إلى الليث أنه قال: العرض عندي أصح من السماع فإنه إذا عُرض علىّ تحفظت وإذا حدثت فربما سهوت، يقول أبو عبيد: إن المصريين حدثوه بمصر أن حديث الليث عن نافع كله عرض.

ويظهر أن المفاضلة بين العرض والسماع كانت موضع مشاحة بين الرواة وأهل الفقه في الأمصار المختلفة، فأهل العراق يفضلون السماع وأهل المدينة يسوون بينهما، أما الليث فإنه يفضل العرض لتلك الأسباب التي أبداها فيما نُقل عنه، كما أنه شاع في هذا العصر الخلاف بين وجوب الحرص على اللفظ في الرواية وإجازة الرواية بالمعنى، وقد سأل أشهبُ مالكًا عن ذلك فأجابه: تجوز رواية غير ما كان عن رسول الله (ﷺ) بالمعنى، أما ما كان عن الرسول (ﷺ) فلا تجوز روايته بالمعني.

والليث فيما يبدو كان يجيز الرواية بالمعني إن استكمل الراوي شرطها وتوافرت لديه أسبابها، والليث حين يري فيما عرضناه الرأي، إنما يستلم طبيعة الرواية وصلتها بالراوي، وما قد يعرض له من السهو أو الخطأ بما هو إنسان تنتابه شواغل الحياة وهمومها[2].

وقد يعدل عن الرأي إذا تبين له أنه خطأ وأن هناك رأيًا أوجه منه.

وقد تكلم مرة في مسألة فقال له رجل: في كتبك غير ذلك.. فقال: في كتبنا ما إذا مر بنا هذبناه بعقولنا و ألسنتنا.

وما كان لليث أن يعتمد على حافظته القوية فقط؛ بل كان حريصًا كل الحرص على جمعه في السطور أيضًا.. ولم لا وهو يتعامل مع سنة أشرف مخلوق

(١) د. السيد خليل صـ ١٧٤- ١٧٦ بتصرف.

(٢) الكناية للخطيب البغدادي ص ١٨٩-٢٧٩ بتصرف، الليث بن سعد، د. السيد خليل صـ ١١٧- ١١٨.

سيدنا محمد (ﷺ) !!.

ولكنه لم يكن يحدث بكل ما يعرف من أحاديث.. بل يختار ما يطمئن إلى صحته، وما يتثبت من صدوره عن الرسول (ﷺ).

ولم يكن يكتب كل ما يتحدث به فقيل له: إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك.. فقال -وكان على ظهر مركب-: لو كتبت ما في صدري ما وسعه هذا المركب(١).

والمتتبع لما يرويه الليث من الأحاديث يجد فيها كثيرًا مما يتعلق بحسن السلوك وكمال الخلق إلى جانب ما يتعلق بأحكام العبادات والحدود والمعاملات(٢).

بل يمكن أن نقول: إن سلوكه الأخلاقي الكريم «السخاء والوفاء»، إنما كان أثرًا لدراسة الحديث الشريف، وسماته السلوكية إنما هي سمات أهل الحديث الذين أخلصوا لله وجوههم في دراسته(٣).

رحم الله الليث بن سعد، الذي ظل طيلة حياته يحدث ويعلم تلاميذه السُّنة النبوية، وتناقلوها بكل دقة وإتقان عبر الأجيال إلى أن دُوِّنت في الكتب الصحاح..

* * *

(١) راجع مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢١ ص,١٤٩.

(٢) المحدثون في مصر والأزهر ودورهم في إحياء السنة النبوية الشريفة د. أحمد عمر هاشم صـ٧٧.

(٣) الليث بن سعد د.عبد الحليم محمود صـ٧٣.

الخاتمة
والتوصيات

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد.

أمَا وأن لكل شيء بداية، فإن لكل شيء -كذلك- نهاية، فسبحان من لا بداية له ولا نهاية.

فلقد انتهيت من بحثي هذا بتوفيق من الله -ﷻ- ولكن لم ينته البحث بعدُ عن هذه الشخصية الفذة سيرة ومنهجًا؛ فما بحثي إلا لبنةٌ وضعتها بين لبنات وضعها من سبقني، ولا يزال في البناءِ مواضع كثيرةٌ للبناتٍ أُخَرَ يضعها رجال أطول مني باعًا في البحث والدرس.

وبعد هذه الدراسة خرجت من دراستي لهذه الشخصية (شخصية الليث بن سعد) بعدة نتائج، أهمها:

ـ أن الإمام الليث بن سعد، مصري عربي أصيل، عريق النسب، فهو فَهَمي؛ وفهَمُ هذه بطن من قيس عيلان ومرجعهم إلى العدنانية، ومما يدلل على كونه عربيًا أنه كان ابن عم الوليد بن رفاعة بن ثابت بن ظاعن الفهمي الذي ولي مصر سنة ١٠٩هـ وتوفي وهو وال عليها سنة١١٧هـ والوليد بن رفاعة عربي صراح، من فهم، ليس في نسبه خلاف بين العلماء، ولما كان الليث ابن عمه، فهو أيضًا عربي فهمي مثله، فضلا عن أن أسماء آبائه كلها عربية، تؤكد القول بعروبته.

ـ أن الليث -رحمه الله- كان قوي الفهم، متقد الذهن، غزير العلم، واسع الاطلاع، طويل النفس في التلقي وتحصيل العلم ومذاكرته وتدريسه، عزيز النفس، متواضعًا للعلم، مؤدبًا في النقد، عف اللسان قوي الحجة أمينًا، في النقل والإسناد والتمحيص، وكان (رضي الله عنه)، دائرة معارف جمعت بين علوم الدين وعلوم

الدنيا، فقد جال في ضواحي كل فن، فكان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو.

ـ أنَّ البيئة التي نشأ فيها الليث قد أكسبته ما تُكْسِبهُ البيئات الخصبة أهلها من اللين والرقة والتواضع والتودد إلى الناس والرفق بهم، فضلا عن ذلك فقد أثرت على حياته العلمية تأثيرًا كبيرًا؛ حيث نشأ وعاش في بحبوحة من العيش وسعة من الرزق، الأمر الذي جعله لا يحمل للمعيشة همًّا، ومن ثم انقطع لطلب العلم والترحال في سبيله، فصار من العلماء الأعلام..

ـ كان من الأسباب المهمة في نبوغ الليث -إضافة إلى البيئة التي نشأ فيها- حبُّه للعلم والعلماء، وتتلمُذه على أكثر من مائة شيخ، جلُّهُم من كبار المحدثين..

ـ أن الليث -رَحِمَهُ اللَّهُ- كان له باع طويل في علم الحديث، فقد كان يُعنَي عناية فائقة بنقل الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله (ﷺ) والموقوفة على الصحابة، رضي الله عنهم.

ـ أن منهج الليث في رواية الأحاديث كان قائمًا على أن الأصل في الترجيح بين المرويات صدق الراوي وأمانته ودقته.

وكان الليث لا يعتمد في رواية الأحاديث على حافظته القوية فحسب، بل كان حريصًا كل الحرص على جمعها أيضا في السطور.

ـ أنَّ الليث كان لا يُحَدِّث بكل ما يعرف من أحاديث، لكنه يختار ما يطمئن إلى صحته، ويتثبت من صدوره عن النبي (ﷺ).

ـ أنَّ الليث كان يروي كثيرًا من الأحاديث التي تعمل على تهذيب المجتمع وإصلاحه، فنراه يروي كثيرًا مما يتعلق بحسن السلوك، وكمال الخلق، إلى جانب ما يتعلق بأحكام الحدود والعبادات والمعاملات.

ـ أنه كان يضع نصب عينيه معاني الألفاظ في أصل اللغة، وفي عرف الاستعمال، ويعمل على توجيهها توجيهًا سليمًا.

ـ أن الليث بن سعد (رضي الله عنه) كان شديد المواظبة على دروسه ومجالسه، فلا يتخلف عنها مهما حدث، وكان يحترم عقول طلاب العلم، فيترك لهم ما هو واضح في معناه ومبناه، ويطرق لهم ما هو غامض فيشرحه ويوضحه ويجليه..

ـ أن دراسة شخصية العلامة الليث بن سعد من الأهمية بمكان؛ إذ تلقي الأضواء وتكشف النقاب عن البيئة المصرية وأثرها في تكوين العلماء، ودور العلماء المصريين والبيئة المصرية في حفظ الحديث الشريف والشريعة الإسلامية الخالدة..

ـ أن الليث بن سعد عاش في فترة عصيبة وخطيرة من تاريخ الأمة الإسلامية، فترة سقوط دولة وبزوغ أخرى، وما صاحب ذلك من ظهور تيارات وصراعات.. إلخ، ومع ذلك استطاع أن يجعل لنفسه مكانًا بارزًا بين كبار علماء عصره، فضلا عن بصماته الواضحة والخالدة في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية في عصره، مما جعل الخلفاء وولاة مصر وقضاتها يعرفون قدره ويجلونه ويضعونه في المكانة الجديرة به.

ـ أن الإمام الليثَ لمكانته العلمية الكبيرة وتعدد مناقبه التي لا يستطع الباحث حصرها، جعلته يحتل ثقة علماء الحديث وعلماء الرجال والجرح والتعديل، فظفر منهم بثناء منقطع النظير.

ـ أن ما جاء في رسالة الإمام مالك بن أنس يؤكد على أهمية الشخصية المصرية في التشريع الإسلامي والحياة العلمية، تلك التي أبرزها الإمام الشافعي حينما جاء إلى مصر، وعاش فيها، واتصاله بكثير من الشخصيات التي كان لها أثر طيب في دعم الحركة العلمية بمصر وتثبيت قواعدها، وإرساء أصولها.

ـ أنَّ مجموع ما أخرجه الأئمة الستة في كتبهم عن إمامنا الليث بن سعد ألفٌ وأربعمائة وواحد وستون حديثًا، أخرج منها:

أ ــ الإمام البخاري في صحيحه أربعمائة وسبعة وثلاثين حديثًا.

ب ــ الإمام مسلم في صحيحه مائتين وثمانية وتسعين حديثًا.

جـ ــ الإمام الترمذي في سننه مائة وسبعين حديثًا.

د ــ الإمام أبو داود في سننه مائة وثمانية وأربعين حديثًا.

هـ ــ الإمام النسائي مائتين وستة وثمانين حديثًا.

و ــ الإمام ابن ماجه في سننه مائة واثنين وعشرين حديثًا.

ــ أن الليث بن سعد ظل محتفظًا بقوة البدن، وصحوة الفكر طيلة حياته التي ناهزت الثمانين عاما، لم ينقطع فيها عن حلقته في مسجد عمرو بن العاص أو بيته حتى توفاه الله.

هذا أهم ما جال في خاطري، وجاش بصدري، وأفصح به قلمي من نتائج..

وبناءً على ما ذكرت من نتائج فإنني أوصي بما يلي:

ــ تدريس نماذج من آثار الليث بن سعد في مادة التربية الدينية في المدارس، ووضع الرسائل التي دارت بينه وبين الإمام مالك، أمام الطلاب والتلاميذ موضع الإعزاز والإكبار؛ كي يتعلموا ويتأدبوا ويقتدوا بعلمائهم الأخيار في أدب الحوار، من خلال ما تحلوا به من أدب جم، وذوق رفيع، ونقاش هادئ، وحوار هادف.

ــ التعريف بالإمام الليث بن سعد وبجهوده العلمية من خلال وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، والاهتمام بتجديد مسجده الذي أثرت فيه عوادي الزمن، ونقل شعائر صلاتي الفجر والجمعة منه بين الحين والآخر عبر الإذاعة والتلفاز للتعريف الدائم به عبر هذه الآليات.

ــ إلقاء الأضواء على شخصيته التي كان لها أعظم الأثر في سير وتطور الشريعة الإسلامية والمحافظة على سنة رسول الله (ﷺ) من خلال بعض المطبوعات.

ـ فتح آفاق جديدة لدراسة مرويات الإمام الليث في كتب السنة وتخريجها.

فجزاه الله عن حديث رسوله (ﷺ) وعن العلم والعلماء خير الجزاء.

هذا.. وقد أفرغت جهدي في إعداد هذا البحث وإخراجه على هذا النحو، وهو جهد المقل، ولا أحسب أني قد وَفَّيتُ الإمام حقه في هذا البحث، ولكني أخذت من بعض ما فيه بطرف أسلمه إلى غيري لعله يجد منه نقطة البدء؛ فيأتي بشيء لم أصل إليه.

ولأن أعمال بني الإنسان موصوفة بالخطأ والنسيان موصولة بمدد لا ينقطع من عشرات الهفوات والزلات، ومهما بلغ حرص المرء ويقظته، فلا بد له من العثار في هافية القول أو غافية العقل.

والله تعالى أسأل أن يعصمنا من الزلل والخطأ والنسيان، وأن يهدينا سواء السبيل..

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾

[الأعراف: ٤٣].

د/ أحمد علي سليمان

*****

المصادر
والمراجع

المصادر والمراجع

١ــ الأئمة الأربعة لأحمد الشرباصي ط. دار الهلال ب.ت.

٢ـ أئمة الفقه التسعة لعبد الرحمن الشرقاوي ط. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ب.ت.

٣ــ الأحزاب السياسية في الإسلام، لصفي الرحمن المباركفوري. الطبعة الأولي ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م طبعة رابطة الجامعات الإسلامية.

٤ــ أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ٣١٩هـــ ـ٣٨٨هـ تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود. طبعة أم القرى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي مركز إحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة.

٥ــ أعلام في التاريخ الإسلامي في مصر د. سامح كريم. طبعة الدار المصرية اللبنانية سنة ١٩٩٥م.

٦ــ إعلام الموقعين عن رسول رب العالمين لابن القيم الجوزية، طبعة دار التراث العربيــ بيروت.

٧ــ الإمام أحمد بن حنبل حياته ومكانته في الفقه والحديث للدكتور عبد العزيز عزام طبعة دار البيان بالقاهرة الطبعة الأولي سنة١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٨ ــ الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، طبعة دار الجنان ب.ت.

٩ــ البداية والنهاية، لابن كثير تحقيق عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، طبعة دار المعرفة بيروت، لبنان.

١٠ــ تاريخ الأمم والملوك للإمام ابن جرير الطبري، ط دار التراث العربي ــ بيروت.

١١ــ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ الذهبي، حوادث

ووفيات ١٧١-١٨٠هـ تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م الناشر دار الكتاب العربي.

١٢ــ تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ للخطيب البغدادي المتوفي سنة ٤٦٣هـ جـ١٣، دار الكتب العلمية ببيروت ــ لبنان ب.ت.

١٣ــ تاريخ التشريع الإسلامي، عبد العظيم شرف الدين طبعة: العربي ــ القاهرة سنة ١٩٨٥م.

١٤ــ تاريخ التشريع الإسلامي لعبد اللطيف محمد السبكى ومحمد على السايس ومحمد يوسف البربري، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، الطبعة الثالثة٠ سنة ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.

١٥ــ تاريخ الثقات، للإمام الحافظ أحمد بن عبد الله بن صالح أبي الحسن العجلي تحقيق د. عبد المعطي قلعه جي. طبعة دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان.

١٦ــ تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت ب.ت.

١٧ــ التاريخ السياسي للدولة العربية، تأليف: عبد المنعم ماجد، طبعة القاهرة سنة١٩٦٠م.

١٨ــ التاريخ الصغير، للإمام البخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، طبعة دار المعرفة بيروت.

١٩ــ تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، للإمام محمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربي ــ القاهرة، ب. ت.

٢٠ــ تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تصنيف: أبي سليمان الربعي. تحقيق: محمد المصري ـ الطبعة الأولى سنة١٤١٠هـ ـ١٩٩٠مـ الناشر مركز المخطوطات والتراث والوثائق ــ بالكويت.

٢١ــ تكون الاتجاهات السياسية في الإسلام الأول من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، للدكتور إبراهيم بيضون، طبعة دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى سنة١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م.

٢٢ــ تهذيب التهذيب، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة٨٥٢هـ ــ رحمه الله تعالى ــ الجزء الثامن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٦هـ

٢٣ــ الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم، جمع ودراسة: صالح بن حامد الرفاعي، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة -المملكة العربية السعودية- المجلس العلمي ــ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي سنة ١٤١٣هـ

٢٤ــ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ط. إدارة المطبعة المنيرية بمصر ب. ت.

٢٥ــ الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي، بتحقيق وشرح: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية بيروت.

٢٦ــ الجرح والتعديل، للإمام الحافظ التميمى الحنظلي الرازي، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ــ الهند ب. ت..

٢٧ــ حسن المحاضرة للإمام جلال الدين السيوطي، طبعة مطبعة الوطن ب. ت.

٢٨ــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ المجلد السابع، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م، ط دار الكتاب العربي.

٢٩ــ دار المعارف الإسلامية.

٣٠ــ دراسات وبحوث جديدة في تاريخ التربية الإسلامية، د. مجاهد توفيق الجندي، الطبعة الأولى، ط دار المعارف، سنة ١٩٨٤م.

٣١ــ دراسات حول السنة، د. محمد إبراهيم الجيوشي طبعة دار الهدى

للطباعة بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٧م.
٣٢ـ دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩مـ مكتبة السنةـ القاهرة.
٣٣ـ الدور الثقافي والاجتماعي للوقف في المجتمعات الإسلامية، أحمد على سليمان، تحت الطبع.
٣٤ـ الدولة الأموية للدكتور محمود محمد زيادة، طبعة دار التأليف بالمالية بمصر سنة ١٩٦٨ـ ١٩٦٩م.
٣٥ـ الدولة العباسية ـ العصر العباسي الأول عصر القوة والنفوذ والعمل سنة ١٣٢ـ ٣٢٣هـ تأليف الدكتور السيد أحمد إبراهيم حمور، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٩هـ ـ١٩٩٨م.
٣٦ـ ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم، تخريج الحافظ الدارقطني، دراسة وتحقيق: بوران الضناوي، كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية.
٣٧ـ الرائد، معجم لغوي عصري، جبران مسعود، طبعة دار العلم للملاين ـ بيروت الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٦م.
٣٨ـ رجال صحيح البخاري للكلاباذي تحقيق: عبد الله الليثى، طبعة دار المعرفةـ بيروت سنة ١٩٨٧م.
٣٩ـ سنن أبي داود، ط دار الحديث القاهرة سنة ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م.
٤٠ـ سنن النسائي، اعتنى به ورقمه وصنع فهارسة: عبد الفتاح أبو غدة، ط: دار البشائر الإسلاميةـ بيروت ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م.
٤١ـ سنن ابن ماجه، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي.
٤٢ـ السنة قبل التدوين، للأستاذ محمد عجاج الخطيب، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣م.
٤٣ـ السنة ومكانتها في التشريع، تأليف الدكتور/ مصطفي السباعي، ب.ت.

٤٤ــ السنة النبوية وحجيتها، للدكتور إبراهيم الكندي، طبعة دار البيان للنشر والتوزيع، سنة ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م.

٤٥ــ سير أعلام النبلاء للذهبي، الجزء الثامن الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديث: شعيب الأرنؤوط، حقق هذا الجزء: نذير حمدان، ط مؤسسة الرسالة.

٤٦ــ سيرة الإمامين الليثي والشافعي، الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية في مناقب سيدنا ومولانا الإمام الليث بن سعد (رضي الله عنه) للحافظ ابن حجر العسقلاني ٧٧٣ــ ٨٥٢هـ الناشر: مكتبة الآداب بمصر.

٤٧ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للمؤرخ الفقيه الأديب ابن العماد الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٨٩، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، من منشورات دار الآفاق الجديدة ــ بيروت ب. ت.

٤٨ــ الشرطة ومهامها في الدولة الإسلامية للدكتور فاروق عبد السلام، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ــ ١٩٨٧م، طبعة رابطة الجامعات الإسلامية.

٤٩ــ صحيح البخاري، شرح وتحقيق: الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي الطبعة الأولى سنة ١٤٩٧هـ ١٩٨٧م، طبعة دار القلم بيروتــ لبنان.

٥٠ــ صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ٢٠٦ــ ٢٦١هـ ط: دار إحياء الكتب العربية ب.ت.

٥١ــ صفحات من تاريخ مصر (٢) تاريخ مصر إلى الفتح العثماني مع نبذ في أخبار الأمم التي ارتبطت بمصر إلى ذلك، تأليف: عمر الإسكندري، أ.ج، سفدج، الناشر: مكتبة مدبولي بالقاهرة الطبعة الثانية سنة١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٥٢ــ صفة الصفوة، للإمام الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، طبعة دار ابن خلدون.

٥٣ــ ضحي الإسلام للأستاذ أحمد أمين، الطبعة السابعة، الناشر مكتبة النهضة المصرية، ب.ت.

٥٤ــ طبقات علماء الحديث، للإمام أبي عبد الله الدمشقي الصالحي

تحقيق: أكرم البوشي، وإبراهيم الزيبق، الجزء الأول ١٤١٧هـ ـ١٩٩٦م، طبعة مؤسسة الرسالة.

٥٥ـ الطبقات الكبرى لابن سعد، دراسة: وتحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

٥٦ـ طبيعة الدولة العباسية، تأليف: فاروق عمر، طبعة دار الرشاد ـ بيروت، سنة ١٩٧٠م.

٥٧ـ العبر في خبر من غبر، للحافظ الذهبي جـ١ من سنة ١ إلى سنة ٣١٨م، حققه وضبطه على مخطوطتين: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ب.ت.

٥٨ـ العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٩م.

٥٩ـ علل الحديث ومعرفة الرجال، للمحدث الحافظ الأصولي على بن عبد الله المديني، شيخ البخاري، حققه وخرج حديثه وعلق عليه: الدكتور عبد المعطي أمين قلعه جي، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م دار الوعي ـ حلب.

٦٠ـ العلل ومعرفة الرجال عن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل -رحمه الله- رواية المروذى وغيره، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، الناشر: الدار السلفية بومباي الهند، ب. ت.

٦١ـ عوالى الليث بن سعد لقاسم بن قطلوبغا المتوفى سنة ٨٧٩هـ رواية حسن بن الطولوني، قدم له وحققه وخرج أحاديثه: عبد الكريم بكر الموصلي النعيمي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ـ ١٩٨٧م، الناشر مكتبة دار الوفاء للنشر ـ لبنان.

٦٢ـ الفلسفة السياسية عند أبي حامد الغزلي، تأليف محمد أيت وعلى، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م، الناشر: دار التنوير للطباعة والنشر ـ لبنان.

٦٣ـ الفهرست لابن النديم، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ

لبنان، ب.ت.

٦٤ــ قيام الدولة العباسية وتفسير جديد لدوافع الفرس إلى مؤازراتها، للدكتور محمد عبد الفتاح عليان، طبعة دار الهداية للنشر والتوزيع بالقاهرة الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٦٥ــ الكامل في التاريخ، للإمام الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٦ــ كتاب تذكرة الحفاظ الذهبي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٦٧ــ كتاب الثقات، للإمام الحافظ أبي حاتم التميمي البستي، طبع بمساعدة وزارة المعارف والشؤون الثقافية للحكومة الهندية العالية، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند سنة ١٤٠١هـ ـ١٩٨١م.

٦٨ــ الكنى والأسماء للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري ط. المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م.

٦٩ــ كنوز الفرقان، مجلة علمية دينية ثقافية في علوم القرآن الكريم يصدرها الاتحاد العام لجماعة القراء، العددان: الخامس والسادس جماد أول وجماد ثاني ١٣٧٢هـ السنة الخامسة.

٧٠ــ لب الألباب في تحرير الأنساب، للعلامة السيوطي، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، أشرف أحمد عبد العزيز، طبعة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ ـ١٩٩١م.

٧١ــ الليث بن سعد، إمام أهل مصر للدكتور عبد الحليم محمود طبعة دار المعارف.

٧٢ــ الليث بن سعد وأثره في الفقه، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الشريعة

والقانون جامعة الأزهر بالقاهرة، أعدها: محمد رشيد نافع، سنة ١٩٧٣م.

٧٣ـ لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث، للدكتور عبد الفتاح أبو غدة، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية بحلبـ سوريا، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٧٤ـ مالك بن أنس، للأستاذ أمين الخولي، طبعة الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٩٤م.

٧٥ـ المجتمع العربي والإسلامي للدكتور إبراهيم شعوط الطبعة الأولى سنة ١٣٨٢هـ، طبعة دار الطباعة المحمدية بالأزهرـ القاهرة.

٧٦ـ المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي هويدا عبد العظيم رمضان، القاهرة: ط. الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٩٤م.

٧٧ـ مجلة الأزهر الجزء السادس ـ السنة الرابعة والسبعون جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ - سبتمبر ٢٠٠١م.

٧٨ـ المجمل في تاريخ مصرـ النظم السياسية والإدارية، للدكتور ناصر الأنصاري طبعة دار الشروقـ الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـ ـ١٩٩٧م.

٧٩ـ المحدثون في مصر والأزهر ودورهم في إحياء السنة النبوية الشريفة، للدكتور: أحمد عمر هاشم، الناشر: مكتبة غريب القاهرة، ب.ت.

* * *

الكاتب في سطور

الدكتور/ أحمد علي سليمان
عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية مصر العربية
والمدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية

- الحاصل على المركز الأول على مستوى جمهورية مصر العربية في جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي في موضوع: (مواجهة الأوبئة في الفكر الإسلامي) التي تنظمها هيئة قضايا الدولة عن (وقف الفنجري ٢٠٢٢)

وسائل الاتصال

- جوال + واتس آب: **01122225115** (+2)
- جوال: **01019486655** (+2)
- البريد الإلكتروني:

drsoliman55555@gmail.com

- الصفحة الرسمية:

https://www.facebook.com/drahmedalisoliman

خبراته:

- اختير مبعوثًا فى مهمات دعوية وعلمية للتعريف بالإسلام وحضارته إلى أكثر من عشرين دولة.
- يجمع بين العلوم الدينية والآداب والفنون، فهو: أديب، أكاديمى، داعية، خطاط، مدرب، كاتب.
- من كُتَّاب "مجلة الأزهر"، ومجلة "الرابطة" التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
- حصل على دورات تدريبية متخصصة في الإعلام والتفاوض والتدريب... وغيرها من الاتحاد الأوروبى، والهيئة الألمانية للتبادل الثقافى... وغيرها

عضوية المؤسسات:

وهو عضو في:

- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية مصر العربية
- اتحاد كُتَّاب مصر - اتحاد المؤرخين العرب
- عضو مكتب جامعة الأزهر للتميّز الدولي خلال الفترة من ٢٠١٦- ٢٠١٩م

جهوده في خدمة الدعوة والفكر الإسلامي:

- أوفدته رابطة الجامعات الإسلامية (منظمة دولية مقرها بجامعة الأزهر) للتعريف بالإسلام في عدد من الدول الغربية.
- من أوائل خبراء جودة الدعوة المطالبين بإيجاد مقاييس معيارية لجودة الأداء الدعوي؛ لتقييمه، وتقويمه، وتجديده وتحسينه المستمر.
- تولى رئاسة تحرير إصدارات الهيئة العالمية لضمان جودة الدعوة ITQAN ببروكسيل.

- عمل رقيبًا على المواد الفيلمية الدينية، والمترجمة في قناة اقرأ التابعة لراديو وتليفزيون العرب ART.
- عمل مذيعا ومقدم برامج في إحدى إذاعات القرآن الكريم بالخارج في ٢٠٠٦م، وفي ٢٠١٨م.
- أسس وأدار عددًا من المواقع الإلكترونية في مصر وبلجيكا وهولندا.
- له أكثر من (١٠٠) حلقة مسجلة في إذاعة القرآن الكريم، في برامج: (حديث الصباح) - (المجددون في الإسلام) - (الإسلام والحياة) - (من كنوز المعرفة)، و (٣٠) حلقة في قناة الفجر بعنوان (كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟)،
- خبير في التنمية البشرية، ومدرب معتمد لتدريب الدعاة والواعظات وإعداد المدربين.
- اختير لتدريب الدعاة المتميزين والواعظات، ومعلمي التربية الدينية، والطلاب الوافدين، والإداريين، والدعاة الموفدين من الخارج في معسكر أبي بكر الصديق بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وفي أكاديمية الأوقاف الدولية وغيرها.
- اشترك في صياغة "الوثيقة الوطنية لتجديد الخطاب الديني ونبذ العنف والتطرف"، التي أصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مايو ٢٠١٥م.
- اختير لإنشاء (أول برنامج متخصص في الخط العربي) بجامعة دمياط، في سابقة هي الأولى من نوعها في الجامعات، وكُلِّف من مجلس الجامعة بالإشراف عليه وتحويله إلى كلية مستقلة للخط العربي.
- قدم للمكتبة العربية والإسلامية (١٨) كتابًا، (٤٥) بحثًا منشورًا، (١٥٠٠) مقالة.

اهتماماته:

- مهموم بإبراز المنهج الإسلامي الكفيل -حال تطبيقه- بإعمار الكون وإسعاد الحياة وبناء الإنسان، وبما يبرهن عمليًّا على عالمية الإسلام، وقدراته الخلاقة على التعاطي والتفاعل مع قضايا العصر، واستيعاب مستجدات الحياة.
- مهتم بقضايا تجديد الخطاب الديني (عرضًا، وتدريبا، وإنتاجًا)، وقضايا وطنه وأمته.
- حريص على إبراز المشتركات الدينية والثقافية، والتنوع والتعددية بمظاهرها الكونية والفكرية والحياتية...إلخ، باعتبارها إثراء للحياة، تغذي المجتمعات بالسلام وتحميها من أعداء الداخل والخارج... كما يؤمن بضرورة الإبداع في العلم والتربية وتوظيف العلم وصحيح التراث وكل ما يقذف به العلم الحديث من علوم نافعة لتحقيق جودة الحياة، واستعادة الريادة للمسلمين.

تكريمه:

تتويجًا لجهوده فى إثراء الفكر الإسلامى كرَّمته مفوضية الاتحاد الأفريقى، وعدد من المؤسسات والجامعات في مصر، والسعودية، والسودان، والجزائر، والأردن، وفلسطين، وإندونيسيا، وأستراليا، والدانمارك، وبلجيكا، وهولندا...

***

وبالله ﷻ التوفيق